عبد العزيز بنعبد الله
أستاذ بكلية الآداب

تاريخ المغرب

العصر الحديث والفترة المعاصرة

الجزء الثاني

مع المعجم التاريخي

اهم الاحداث والاعلام
والاماكن مرتبة ابجديا

نشر وتوزيع :

مكتبة السلام
الدار البيضاء

مكتبة المعارف
الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الاول

قيام الدولة العلوية وتجديد وحدة المغرب

الملوك العلويون من اصل حسني انحدروا الى المغرب من ينبع النخل بالحجاز وأول من دخل منهم الى المغرب هو حسن بن قاسم اواخر القرن السابع ولعل ذلك في آخر ايام السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق ، الذي انتزع الدولة من قبضة آخر الموحدين فاصبح اعظم ملك في المغرب الاسلامي وقد ورد حسن هذا على سجلماسة مع وفد الحجيج الذي رغب اليه فى ذلك ويقال بان اهل تافيلالت لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فوجهوا سفارة الى الحجاز للاتيان برجل من اهل البيت ولم يرد الحسنيون على المغرب مع عرب بني معقل(1) كما انهم لم يقوموا باي دور سياسي في البداية وانما كانوا ملجأ خلال الازمات والخصومات بين القبائل وادعياء الملك .

وأول قائد سياسي من حفدة حسن بن قاسم هو مولاى على الشريف الذى اقام بفاس وجاهد في السودان والاندلس وترك في هذه ذكرا طيبا حدا الكثير من الغرناطيين الى الرغبة في مبايعته .

---

1) كما يزعم طيراس (ص 240)

والمولى الشريف بن علي هو الذي دعا اباحسون السملالي الى امارة سجلماسة عام 1041 هـ بالاضافة الى درعة والسوس بينما استصرخ البوعصاميون بزاوية الدلاء فكانت الغلبة لبودميعة ثم قلب هذا ظهر المجن لمولاى الشريف واعتقله حتى افتكه ولده محمد الذى بايعه السجلماسيون سنة 1050 هـ في حياة ابيه وقد زوج ابو حسون مولاى الشريف فتاة مغافرية ولدت له المولى اسماعيل ٠

وكان مولاى محمد قد عبأ جيشا ضد أبي حسون الذى فر الى سوس فاستولى هو على درعة علاوة على نفوذه في اقليم سجلماسة حيث خضعت له قصور تابوعصامت وقد شعر بضرورة توسيع نطاق نفوذه لدرء الخطر الذى يهدد مملكته الصحراوية المحدودة ، فاتجه نحو الغرب وكان محمد الحاج الدلائي مستوليا على نواحي فاس ومكناس وسلا ٠

وقد استنجد اهل فاس وكذلك عرب الخلط بالمولى محمد ضد الدلائيين فاقتحم مدينة فاس الجديد عام 1059 هـ وانضوى تحت لوائه سكان فاس القديمة وبايعوه ثم اضطر الى النزوع عنها للعودة الى سجلماسة بينما ولى محمد الدلائي ولده احمد على العاصمة الادريسية فاستمر بها الدلائيون عشر سنوات الى ان استولى عليها القائد الدريدى ٠

ولما استعصى اقليم فاس على محمد بن الشريف اتجه نحو استتمام نفوذه في الصحراء الشرقية ، لربط الصلة شرقا مع تافيلالت فوصل الى بسيط انكاد حيث بايعه الاعراب من الاحلاف ومعقل من سكان وجدة وكون جيشا تزعم به حركة تحرير الاقليم الشرقي من حكم الاتراك فغزابني برناسن الموالين للترك وكانت وجدة مناطا لجنوده يغيرون منها على ندرومة وتلمسان حيث قضى على الحاميات وانضمت الى صفه قبائل اخرى تعززت بها قوته كاهل السعيدية وتاهرت والاغواط ولكن الامير محمد اضطر ازاء رد فعل الاتراك الذين زحفوا الى تلمسان الى القفول لسجلماسة ولعله خشى مغبة الاصطدام بالخصم فعاد الى مرابطه الاولى لجمع شتاته وكان قد حقق هدفه الاول وهواثاره القبائل المغربية ضد الدخلاء الاتراك الذين شعروا لاول مرة بالخطر يدهم سلطانهم في المغرب الاوسط ، فوجه اليه عثمان باشا والى الجزائر وفدا اثر وفد لمفاوضته في سجلماسة «قاعدة العرب والبربر»(1)مناشدا اياه الروابط

1) كما في نص رسالة محمد بن الشريف التى اجاب بها عن خطاب الباشا التركي ٠

الاسلامية وانتسابه للرسول الذى حظر تناحر المسلمين فتأثر المولى محمد وتعهد تلقائيا بعدم تجاوز وادى طافنــة •

وفى هذه الفترة كان العراك مستمرا فى الغرب بين الدلائيين والخضر غيلان الذى تقلص ظله تدريجيا بعد ان حاول استرجاع منطقة رئيسه محمد العياشى •

وقد توفى المولى على الشريف سنة 1069 هـ فاعاد ولده محمد الكرة عــلى شمال المغرب حيث غزا الحياينة بعد اربعة اعوام فى احواز فاس التى استنجد اهلها بالدلائيين ضد الشريف •

وكانت هذه الحركات العلوية التحريرية غير منظمة فانبرى مولاى الرشيد على اثر انحيازه عن اخيه يوطد دعائم الدولة الجديدة وكانت الظروف مواتية لان سلطة الامراء الاقليميين اذنت بالافول واصبح المغرب فى حاجة الى انتفاضـــة يتزعمها قائد حربى وهكذا انهار السعديون فى مراكش فخلفهم كروم الحاج الذى مد شبكته من الاطلس الكبير الى ام الربيع وكان باقى المغرب موزعا بين تيجل ابى حسون بسوس والاطلس الصغير والدلائيين بقلــب البلاد وغيــلان بالهبط والغرب والشيخ اعراس بالريف وتمخض هذا التقسيم عن خلل فــى الاقتصاد وتفكك فى السياسة وانحلال فى الحقل الاجتماعى فكان الشعب عن بكرة ابيه مستعدا للانضواء تحت راية زعيم مقدام يوحد الاتجاه ويستأصــل الفوضى •

وقد انحاش المولى الرشيد اول الامر الى تدغة ثم دمنات وآواه الدلائيون فى زاويتهم ثم فر منها الى ازرو وقلب بلاد البربر حيث انضمت اليه جماعــة مــن الانصار توجه بها الى فاس الجديد فعسكر بظاهره وقد اكرم الدريدى وفادته وامده بالمال والميرة وكانت هذه الجولة الاستطلاعية خير رائد للامير العلوى فى تخطيط سياسته العسكريــة •

وقد صرف وجهته نحو تازة متأثرا بخطة اخيه القديمــة واستقــر عنــد الاحلاف فى المغرب الشرقــى وكتل حوله عــرب انكاد ومعقــل بوجــدة كمــا ساندته بنويزناسن فى الاستيلاء على اموال اليهودى ابن مشعل الذى كان مقيما بين ظهرانيهم وقد وضعت كثير من الاساطير حول هذه الحادثة وحول مساعدة

بعض طلبة فاس للامير الذى لم ينس هذه الممنونية فاذن باقامة مهرجان سلطان الطلبة الذى يعتبر تتويجا للعلم وتقديرا لرجالاته .

وكانت سهول انكاد موطنا لعراك عنيف شب بين مولاى الرشيد واخيه المولى محمد انتهى بموت هذا الاخير اوائل 1075 هـ

وهكذا مرت اعوام قبل ان يتمكن الرشيد من بسط نفوذه على المغرب الشرقى ولما استتب له الامر فى هذا الاقليم اقتحم تازة وجعل منها عاصمة وضرب خيامه قرب الابراج السعدية وكانت أنباء حركته ترد على عمالة فاس فتثير الرعب فى أهلها الذين لم ينسوا بعد ما كان حل بهم من ويلات نتيجة للصراع الذى قام بين المولى محمد وخصومه مما حدا الفاسيين الى التحالف مع سكان الحوز من الحياينة والبهاليل والصفر يويين وتكوين جيش جهوى اكتتبوا لشراء خيله وعتاده واسهمت كل دار ببندقية فى هذه العدة الحربية وكانت باب الفتوح معرضا لهذه القوة .

وقد رأى المولى الرشيد من الانسب عدم تشتيت قواه فى محاربة خصومه المجليين قبل تعزيز جيشه بالعناصر الفلالية التى اخلصت منذ الطفرة الاولى للاسرة العلوية فغير وجهته نحو سجلماسة حيث قضى على ابن اخيه المولى محمد ووطد الحاميات ثم عاد الى عاصمة ملكه الجديدة .

وبادأه جيش فاس بالاغارة ولكنه رجع منهزما من غير قتال فتعقبه الرشيد الى قنطرة سبوولعل الامير شعر بعدم استكمال اداته الحربية فلم يهاجم المدينة بل فاوض اهلها وحاصرها مرتين عام 1076 هـ اصيب فى الاولى برصاصة فى اذنه ثم طوقها ثانيا وانكفأ لتجديد قواه من اجل الحملة على الريف حيث اسر الشيخ عبد الله اعراش ثم اعاد الكرة آخر السنة على فاس ففتح المدينة الجديدة وفر اميرها الهلالى الدريدى ومن الغد هجم على فاس القديمة ففر كل من رئيسى عدوتى اللمطيين والاندلس ابن الصغير واحمد بن صالح ولكن الامير ظفربهما وقتلهما .

وبذلك تمت البيعة بفاس للمولى الرشيد فى اوائل ذى الحجة من نفس السنة فاجزل العطاء واقام السنة فكان لذلك وقعه العميق فى نفوس الناس وظهر الامير بمظهر الخليفة الناصر للدين والموحد للوطن .

ولم يقر للامير قرار حتى عزز نفوذه فى المغرب الشرقى بالاستيلاء على الغرب فقصد الخضر غيلان الذى انهزم من القصر الى اصيلا .

وكانت للامير خطتان رشيدتان فى استئصال خصومه هما تبديد قواهم بالحملات الدورية وتجزئة هذه الحملات ضد اعدائه دون ان يترك لهم فرصة التكتل ضده فلم يكن يشرع فى محاربة هذا حتى ينقلب فجأة ضد الآخر فلهذا لم يكد الامير يستكمل الضغط على خصمه فى بلاد الهبط للانصياع حتى عاد الى فاس فى العام التالى وكذلك احواز مكناس لمطاردة الفلول الباقية من شيعة الدلائيين وكان محمد الحاج قد عسكر بجيشه غربى وادى فاس فتعقبه الرشيد الذى تنقل فى طفرات هجومية متوالية من مكناس الى بنى زروال ثم الى تطوان حيث اعتقل رئيسها احمد النقسيس مع ثلة من اشراف المدينة وبذلك قضى دفعة واحدة على مجموعة الامارات المستقلة بالشمال رابطا الشرق بالغرب ثم عرج على الاطلس الاوسط فدارت معركة عنيفة فى فازازببطن الرمان انهزم فيها الدلائيون واستولى على زاويتهم (عام 1079) فنقل اهل الدلاء الى فاس ثم نفى بعضهم لتلمسان .

ولم يبق امام الامير الطموح سوى الجنوب فزحف نحو مراكش فى نفس السنة حيث قتل رئيس الشبانات ابابكر بن عبد الكريم مع جماعة رجاله ثم فتح بلاد الشاوية وغزا ايت عياش فى نفس الوقت الذى فر الخضر غيلان الى الجزائر وانقلب اثناء ذلك على فاس فاقام بعض المظاهر الحضارية لتركيز دولته .

وفى عام 1081 اكتسح نواحى الاطلس الصغير والسوس فجعل بذلك حدا لملك اولاد ابى حسون السملالى (المتوفى 1070هـ)

وهكذا لم تكد تمضى سنوات معدودات على ظهور المولى الرشيد على المسرح السياسى حتى اصبح سيد البلاد غير منازع ووحد الاقاليم التى فرقت بينها امارات جهوية جعلت من المغرب صورة لعصر ملوك الطوائف بالاندلس وقد كان عامل الوحدة فى كل من الفردوس المفقود والمغرب فى القرنين الخامس والحادى عشر امير مغربى جرىء .

وما لبث الملك المتوج ان عاد الى فاس ظافرا فاستتم سلسلة مؤسساته العمرانية وكان قد امر قبل ذلك بسنتين ببناء قنطرة نهر سبو ثم جدد قنطرة الرصيف وسك نقود النحاس المستديرة واقرض التجار مبالغ من المال انعاشا للحياة الاقتصادية بعاصمة الشمال كما حفر الابار لتعمير الفلوات وشرع فى بناء مدرسة الشراطين والقصبة المسماة بقصبة الشراردة (احيلت اليوم الى ثانوية داخلية لجامعة القرويين) حيث رابط جيش شراقة اى الجنود الواردون من

المغرب الشرقى من عرب اشجع وبنى عامر وبربر مديونة وهوارة وبنى سنوس. فكانت النواة الاولى لجيش وطنى انضوى تحت رايته المواطنون من العرب والبربر .

وفي السنة التى توفى فيها (1082) هـ كان يواصل نشاطه لا ستكمال وحدة البلاد وتحريرها فوجه كتيبة من الفرسان الى طنجة واخرى الى الجنوب وعاد هو الى مراكش حيث مات في يوم ثانى عيد الاضحى فى بساتين المسرة بعد ان تهشم رأسه بفرع شجرة وهو على صهوة جواده فدفن بالقصبة ومنها نقل الى ضريح على بن حرزهم بفاس وكان لايزال فى بدء كهولته لم يتجاوز عمره اثنتين واربعين سنة .

وكانت سنوات ملك هذا الشاب رغم قلتها ــ حافلة بالمبرات فهو الى جانب نظمه لما انتثر من عقد الدولة ركز مظاهر العمران واثار الامن والرخاء رغم بعض الانتفاضات الدورية كما شجع العلم والعلماء وكابد الامرين من دسائس الفرنسيين والانجليز بالشمال وكان البريطانيون قد استقروا بطنجة بعد ان زوج اخوان السادس اخته لكارلوس الثانى ملك الانجليز وجهز اليه العروس بمفاتيح طنجة مما حدا فرنسا آنذاك الى التفكير فى احتلال بعض المراكز المغربية فى ساحل الريف ولكنها لم تفعل حيث اقتصر بعض تجارها على طلب تأسيس شركة في الحسيمة فرفض الامير هذا المقترح رغم وعود رولان فريجوس بامداده بالعتاد الحربى كما رفض التفاوض مع الهولنديين لانه كان يهدف لاقصاء الاجانب مهما كلف ذلك من ثمن ، وكانت اتفاقات بعض الملوك السعديين مع الدول المسيحية قد خلفت ذكريات مؤلمة لم تزل عالقة بنفوس الشعب وهذا ماحدا المولى الرشيد الى عدم استئصال اساطيل القرصنة بمصب ابى رقراق لانها كانت تشكل حاجزا دفاعيا ضد المغير الاوربى الذى بدأ يتعلل بابسط الاسباب للتدخل فى المغرب وكان هذا الاسطول يقض مضاجع الغربيين الذين انبثوا على الساحل : الانجليز فى طنجة والبرتغاليون فى البريجة (الجديدة) والاسبان فى المعمورة (مهدية) واصيلا والعرائش بينما طفق الفرنسيون يمخرون بسفنهم الحربية على طول المراسى بين الريف ومصب الملوية عباب البحر الابيض المتوسط حيث حصن الرشيد مرسى الحسيمة او المزمة وحجرة نكور (مركز اول دولة عربية بالمغرب فى القرن الاول للهجرة) وصارع الانجليز الذين كانوا يعملون من وراء الخضر غيلان واضعا بذلك اللبنات الاولى لتحرير الوطن بكامله من ربقة الاستعمار الغربى الناشىء .

الفصل الثانى

تطوّر المغرب في العهد الإسماعيلي

عندما توفى المولى الرشيد كان مولاى اسماعيل خليفة فى مكناس حيث بايعه سكانها مع قبائل الغرب ولم يكن عمر الامير الشاب ينيف بكثير عن ربع قرن (26 سنة) وقد نكصت مراكش عن مبايعته فهب لفتحها وفر ابـن اخيـه احمد بن محرز الذى تعزز ببعض قبائل سوس ودخل المولى اسماعيل الى عاصمة الجنوب (عام 1083 هـ) فنقل الى فاس جثة اخيه الرشيد ووطد حامية المدينة .

ومالبث المغرب ان انتقض على الملك الجديد فثـار اهل فاس وقتلوا قائد الجيش الذى اعد لفتح الواحات الصحراوية واستنجدوا بابن محرز الذى هب المولى اسماعيل من مراكش لمقاتلته فى تازا من حيث فرالى الصحراء وكان الخضر غيلان قد ظهر فى ناحية الهبط من جديد فانبرى اليه المولى اسماعيل وقتلـه (1084هـ) ثم عاد الى فاس فاستولى على شقيها القديم والجديد.

وبعد ما وضع الامير الاسس العمرانية لعاصمته الجديدة (مكناس) توجه الى اتكاد للثأر من القبائل المتمردة وبلغه آنذاك استيلاء ابن محرز على مراكش فوجه جيوشه عن طريق تادلة للاقتصاص منه والتقى الجمعان بوادى العبيـد فعاد ابن محرز الى مراكش حيث حاصره المولى اسماعيل نحوا من سنتين(1086 1088هـ) الى ان خرج عنها .

وبينما كان ابن محرز هذا في طريقه الى سوس حيث ظل المولى اسماعيل يرقب حركته ثار الصنهاجيون بالاطلس الاوسط (1) تحت راية الدلائيين فعبأ الامير جيوشا متوالية لمحاربتهم ثم وجه كتائب (عام 1089هـ) لمقاتلة اخيه الحران في جبل شاغرو قادها بنفسه ففر هذا الى الصحراء بعد ان انهزم جيشه ومرت ستة اعوام (1083ـ1089هـ) كابد الامير خلالها ضروبا من الازمات والوانا من المحن من جراء الانتفاضات المختلفة التي كادت تطيح بالمملكة الجديدة ولم تحل تهدئة هذه التمردات العارضة دون مواصلة توطيد دعائم الدولة بتعزيز الجيش الوطني وتركيز المقومات العمومية وضمان تحرير المناطق المغربية التي يحتلها الاجانب .

الجيش الاسماعيلي : كان عشرات الآلاف من المتطوعين يتواردون من شرق البلاد وجنوبها للانخراط في الجيش الوطني الذي تكونت نواته الاولى من شراكة (المغرب الشرقي) والاوداية من الجنوب واحواز الرباط والشراردة والمغافرة(2) وكذلك العبيد الذين كانوا يرابطون في مكناس وقد انضمت الى هذه العناصر القارة فلول من سوس وهم بقايا بني معقل الذين ادخلهم السعديون (اولاد مطاع وجرار وزرارة والشبانات) وكذلك اهل عبدة والمنابهة والرحامنة واولاد احمر والخلط وكان معظم هؤلاء الجنود من العرب .

وقد اقام المولى اسماعيل بالنقط الاستراتيجية معاقل (قصابي) ترابط فيها حاميات يتروح افرادها بين 400 و3000 وتمتد من تازة الى وجدة ومن مكناس الى فاس ثم من هذين الى مراكش وتافيلالت ثم تارودانت وتمدها القبائل بالمؤن وقد احصي من هذه الحصون 76 في غربي البلاد وشمالي الاطلس على الخصوص وكان القائد في كل قصبة هو المسؤول(3) عن سلامة منطقة حراسته حيث يجب ان

---

1) توجد بالاطلس المتوسط قبائل صنهاجية لاتحمل هذا الاسم وقد عدد اسماءها صاحب الاستقصا ج 9 ص 199 (طبعة دار الكتاب)

2) عندما غزا المولى اسماعيل صحراء سوس وتخوم السودان قدمت عليه الوفود من بني معقل وغيرهم وكان من بينهم بكار المغفري والد خناثة فاهداها الى السلطان وبنى بها وولدت منه مولاي عبد الله (الاستقصاج 4 ص 27) .

3) أحمد المنصور السعدي قد عمل قبل ذلك على تامين الطرق فجعل كل شيخ ضامنا لما يضيع في ايالته واكد العهود على رؤساء القبائل بذلك (تاريخ الدولة السعدية ص 66)

تسود الطمأنينة والهدوء وقد بدأت البلاد خلال هذه الفترة تعيش في بحبوحةمن الامن الاستثنائي على ان بعض الحواضر قد حصنت بالفعل هي ايضا استجابة لأبي علي اليوسي الذي لاحظ على المولى اسماعيل عدم عمارة الثغور وبدائية الاسلحة كالعصي والمقاليع وبذلك رابط العبيد في بعض هذه الحصون المقامة قرب المدن ٠

ولم يكن هنالك ديوان عام للجيش اللهم الا فيما يخص العبيد (1) واهل سوس الذين كانوا يمثلون العنصر النظامي في الجيش الوطني فكانت اسماؤهم وحياتهم تقيد فيسجلات خاصة(2)وكان المولى اسماعيل يستمد جنده من القبائل اول الامر حتى اطلعه عمر عليليش على دفتر فيه اسماء العبيد الذين كانوا في جيش المنصور السعدي وكانوا منتشرين في مراكش واحوازها وقبائل الدير فجمع منهم ثلاثة الاف وقد سمي هؤلاء العبيد بالبخاري نسبة الى الامام البخاري لانهم تعهدوا بالانصياع الى الامير الذي استغنى بهم عن القبائل واتباع السنة في خدمة المملكة وكانوا يحملون في الحروب نسخة من صحيح البخاري كرمز لهذه الوحدة بين الجيش والعرش على اساس الشريعة الاسلامية ٠

اما الاعلاج فقد حكى الرحالة طوماس بيلوانهم كانوا يشكلون كتائب صغرى على رأسها قواد اجانب وكانوا يرابطون في القصابي ولايستقرون في مكناس

---

1) تقول بعض المصادر بان عليليش جمع بامر من قاضي القضاة محمد العياشي نحو 70 الفا من العبيد الحقها بمشرع الرملة قرب سيدي سليمان(14 الفا حسب الناصري) والحق بباب السلطان نحو العشرة آلاف من الذكور و20 الفا من الاناث ويقول الزياني ان عدد هؤلاء وصل الى 150 الفا اخر ايام مولاي اسماعيل ٠

2) مازال بعض هذه الدفاتر في الخزانة الزيدانية بمكناس وتوجد دفاتر اخرى تحتوي على لوائح جنود القبائل وكان في كل قبيلة بجانب السجل الجبائي سجل خاص بالخدمة العسكرية يحرر في نسختين وقد اشار الناصري في الاستقصا ج 4ص42 الى ان قضية تجنيد العبيد مفصلة في الكناش الكبير الاسماعيلي ومن بينهم اهل الديوان المجلوبون من القبائل العديدة برسم الجندية واشار الى الخلاف الذي قام بين السلطان والعلماء حول (ديوان الحراطين) دفاعا منهم عن حرية هؤلاء وتملكهم بدون حق وقد قتل خلال هذه الازمة العالم عبد السلام بن حمدون جسوس عام (1121هـ) على يد عامل فاس٠

طويلا ولعل السلطان كان يستخدم بعض العناصر منهم في المدفعية والهندسة العسكرية ولم يستعملوا قط ـ كما فعل السعديون ـ على رأس المناصب الاساسية.

اما مسطرة التدريب العسكري فقد بدأت عام ١١٠٠هـ بتوزيع ابناء العبيد على فرق اختصاصية في النجارة والبناء وباقي الحرف قبل الانخراط في الجندية والتدرب على حمل الاثقال وركوب الخيل والكر والفر والمطاعنة والمراماة ثم تزويج المتخرجين ببنات يربين في القصر وتسجيلهم في الديوان العسكري وبهذه الوسيلة بلغ عددهم مائة وخمسين الفاوزع ثمانون الفا منهم على القلاع لحمايتها ورابط الباقي في مشرع الرملة او «المحلات» المختلفة

محاربة الأجانب وبدء حركة التحرير

لم يكد الامر يستتب للامير الشاب حتى انتفض انتفاضة جديدة نحوالمغرب الشرقي فانضمت الى جيشه القبائل على طول الحدود المغربية الجزائرية فساربها الى وادي شلف حيث تبددت هذه الكتائب المرتجلة أمام المدفعية التركية ولم يصمد في وجه الخصم الا العسكر النظامي وناشد الاتراك السلطان الوفاء بالاتفاقات المبرمة مع اخويه مولاي امحمد ومولاي رشيد فلم يسعه الا الرجوع والواقع ان المولى اسماعيل لم يكن يهدف الى احتلال المغرب الاوسط وانما اراد ان يعطي درسا للاتراك الذين تجرأوا على مساندة ابن محرز واحتلال اقليم بني يزناسن فردوا على اعقابهم الى تلمسان وراء خط الهدنة .

وقد «الى المولى اسماعيل على نفسه ان يحرر من ربقة البرتغاليين والاسبان جميع المراكزالتي كانوا يرابطون فيها بالسواحل المغربية مع مواصلة الضرب على ايدي الثوار والوالغين في الماء العكر وهكذا حرر المهدية التي استمر الإسبان في احتلالها نحوا من سبعين سنة (١٠٩٢هـ) وأسر كثيرا من رجالها وانزل بها حامية من اهل سوس وفتح في اسوار القلعة البرتغالية بابا رائعة من جهة البرمع مسجد وقصر لوالي الحامية ويجرى الآن تجديد هذه الآثار .

وبعد ذلك بثلاث سنوات (١٠٩٥هـ) توجه الجيش الى الشمال لفتح طنجة فحاصرها واضطر الانجليز الى الجلاء عنها بعد ان هدموا جانبا من اسوارها وابراجها وبعد خمسة اعوام (١١٠١هـ) حوصرت العرائش طوال بضعة اشهر

فاستسلم الاسبان تحت تأثير الالغام المغربية التى احدثت ثغرات فى الاسوار وعددهم نيف وثلاثة ءالاف نقل معظمهم الى مكناس حيث شاركوا فى بناء قصر الرياض وبعد ما استقرت الحامية الريفية فى العرائش حاصر المجاهدون أصيلا سنة كاملة فلم يرحماتها بدا من الجلاء عنها بحرا وكان التحرير مرفقا بالتعمير حيث تقام المساجد والمدارس والحمامات والمرافق الحيوية الاخرى ٠

وقد ظل البرتغاليون مرابطين فى الجديدة بينما استمر احتلال الاسبان لسبتة رغم محاصرة السلطان لها بجيش عتيد عدة سنوات وكذلك مليلية والحسيمة وبادس (1) لان معظم الجيوش كانت منهمكة فى توطيد دعائم الدولة وتامين البلاد وقد قضى المولى اسماعيل نحوا من ربع قرن فى هذه الحملات اصبح المغرب بعدها موحدا وامتدت رقعته الى مجاهل الصحراء واخصب مناطق السودان حيث لم يسبق للمنصور السعدى نفسه ان وصل واعترف الشعب عن بكرة ابيه بان له ملكا واحدا ـ كما يقول اندرى جوليان ٠

حركة مسلحة من أجل الوحدة

كان ادعياء الملك من الاسرة الحاكمة يقلقون المولى اسماعيل ويعوقونه عن استتمام تحرير اجزاء الوطن المحتلة ومن هؤلاء أحمد بن محرز الذى هب من جديد ضد عمه (عام 1094هـ) فى سوس وتحصن فى تارودانت وبعد حملات متوالية تم الصلح بين الفريقين فتفرغ الامير لثوار الاطلس الاوسط متوجها بنفسه الى فازاز حيث بنى قلاعا بعين اللوح وازرو واقام بهما حاميتين من الفرسان وكان هؤلاء الصنهاجيون الرحل ينحدرون الى السهول ويعيثون فى بسيط السايس وغيره فحالت كتائب السلطان دون غاراتهم فاستسلموا وزودهم المولى اسماعيل ـ بعد ان انتزع منهم الخيل والسلاح ـ بالاف الاغنام واسقط عنهم الضرائب فانكبوا على الفلاحة وتربية الماشية وكان المشكل الذى تصطدم به القبائل الظاعنة اقتصاديا فى جوهره لان قلة بل انعدام وسائل العيش تضطر بدو الاطلس الى انتجاع مادة الحياة فى السهول فكانت الضمانة الاساسية

---

1) فى المنزع اللطيف فى التلميح لمفاخر اسماعيل بن الشريف للمرحوم ابن زيدان ضمن الباب السابع ان الجيش الاسماعيلى فتح بادس وهدم حصنها سنة 1113هـ

للحيلولة دون ذلك هي التوزيع المنطقي للارزاق بين البادية والحاضرة واعفاء المعوزين من التكاليف الجبائية ولم تكن الخطة التي نهجها الامير المولى اسماعيل جذرية نظرا لعدم شمولها حيث اقتصر على تطبيقها في بعض القبائل دون بعض مثل ءايت آدراسن ولو امكن تعميمها ولو بالتدريج لانفرجت تلك الازمة الاجتماعية والاقتصادية التي ظلت تنخر اسس افريقيا الشمالية منذ ثلاثة الاف من السنين بسبب عدم تحقيق التوازن الاقتصادي بين البادية والحاضرة وقد اصطدم الزعيم مسينيسة نفسه بهذا المشكل منذ ازيد من الفي سنة لأنه ارتكز في حركته التمدينية على تقوية الحواضر دون البادية وهاته الظاهرة هي التي تفسر لنا تلك الطفرات الدورية التي كنا نلمسها طوال قرون في جبال الاطلس التي لم تقتصر على البربر دون العرب(1) وهي التي كانت مثار تمرد القبائل ضد القادة الحضريين منذ القرن الثاني تحت تاثير الخوارج العرب الذين نادوا باسم الاسلام بالمساواة بين جميع عناصر الشعب ضد بعض الرؤساء العرب من الانتهازيين ·

ولا يمكننا ان نفهم حقيقة مايسميه البعض ببلاد السيبة وبلاد المخزن الا من خلال هذه النظرية والا فان الشعب المغربي كان دائما موحدا في روحه لايثيره ضد السلطة المركزية سوى ادعياء يستغلون سذاجته وعوزه لتسخيره من اجل الاستيلاء على الحكم ·

ولذلك كان المولى اسماعيل يحاول الضرب على يد الأدعياء في نفس الوقت الذي يقيم الحصون والقلاع ضد الرحل المتمردين الذين لايكاد الامير يبتعد عن مرابضهم حتى يثوروا من جديد انتجاعا لمادة العيش وهكذا وقع (1096هـ) حيث غزا شرقي الاطلس واسس نحوا من عشر قلاع من وادي كيكو واد خسان الى القصابي والملوية واخضع ءايت يوسي وسغر وشن ومديونة وغيرها موقتا وهكذا وقع وسيقع في غضون تاريخ المغرب الى اوائل القرن العشرين لان المشكل الاجتماعي والاقتصادي ظل قائما خلال هذه الفترة الطويلة ولعل ملوكنا عاشوا في سلك جهنمي لان اقرار التوازن الاقتصادي لاينتج الا عن الاستقرار السياسي والامن الاجتماعي وهذا الاستقرار لم يتحقق الا في فترات عابرة لم يستغلها هؤلاء الملوك دائما لتحقيق تلك الانتفاضة الجذرية المرجوة ولهذا ظل تاريخنا مطبوعا

---

1) شاركت قبائل ازعير وبني حسن في ذلك كما حاربت في صف السلطان القبائل البربرية المحاذية للاطلس ·

بتلك السلسلة المرة من الاندفاعات الثورية التى تتخللها بين الفينة والفينة فترة هادئة تتنفس الامة فيها الصعداء وتنصرف الى استكمال اداتها الحضارية •

ولم يسع المولى اسماعيل الا ان ينساق فى هذا التيار المحتوم فهب من جديد (عام 1096 هـ) لاستئصال شأفة اخيه الحران وابن اخيه احمد بن محرز الذين استوليا على تارودانت فقتل هذا الاخير بعدما استمر تشغيبه اربع عشرة سنة وتوالت المعارك طوال سنتين ضد الحران انتهت بفتح عاصمة سوس وفرار هذا الاخير فاستقر الريفيون حماة للجنوب وقد بدأ الجيش يستخدم المدافع والمهاريس والمجانيق وآلات الحصار وعلى رأس المائة الثانية اقام الامير اولاده على الولايات تعزيزا لمملكته فاستخلف كبيرهم محرزا على فاس والمامون على مراكش ومحمد زيدان على مكناس وانكب هو على اعداد العدة لاخضاع مابقى من قبائل الاطلس (عام 1104 هـ) بعد تجريدها من عتادها الحربى (10•000 من الخيل و 30•000 بندقية) وبذلك استكمل المغرب وحدته ولكنه لم يستكمل جهازه الاقتصادى الذى ظل مختلا غب‌هذه الحروب الطويلة التى انهكته وأضعفت مقوماته ولذلك راينا بعض القادة مثل ابى على اليوسى يجهر بهذا الخلل ويطالب السلطان بتعزيز الملك عسكريا لتجهيز المراسى والحصون واجتماعيا باقامة العدل والمآوى والمساجد والمدارس والقناطر ومراقبة الحكام الاقلميين واقتصاديا بتحقيق المساواة والتوازن وذلك بجمع المال بحق وتفريقه بحق (كما ورد فى نص الرسالة(1)وتوزيع التكاليف الجبائية حسب الطاقة الفردية مع مراقبة الجباة •

المغرب الموحد وولاياته

استغرق المولى اسماعيل ازيد من ربع قرن (1083 – 1111هـ) فى النضال الدائب لجمع شتات الاقاليم الموزعة بين الادعياء وتحرير بعض المراكز المحتلة من طرف الغربيين ولولاازدواج الجبهتين الداخلية والخارجية لاستطاع ان يحرر ما بقى من مدن ساحلية فى قبضة الاجانب •

وبعد استتباب اصول الوحدة السياسية وضع الأمير تصميما اوليا لتقسيم

---

1) راجع نصها الكامل فى الاستقصا جزء 4 ص 39

البلاد الى ولايات واهتم خاصة بالتخوم الصحراوية تاركا لنفسه الاشراف المباشر على الاقاليم الوسطى وعين خمسة من اولاده على رأس هذه الولايات فعقد للمولى احمد على تادلة ولعبد المالك على درعة ولمحمد العالم على سوس ونقل المامون الكبير من مراكش الى سجلماسة وولى المولى زيدان على ناحية الشرق الا انه مالبث ان عزل عنها وخلفه اخوه مولاى احفيظ نظرا لخرقه الاتفاقات المغربية الجزائرية بالاغارة على تلمسان ومعسكر ولكن رغم هاته البادرة الطيبة استمرت المناوشات بين الدولتين وقاد السلطان بنفسه حملة ضد الاتراك (عام1112هـ)

وكان من شأن هذا التقسيم ان يعزز الوحدة لان اللامركزية لم تكن شاملة حيث ظل السلطان ساهرا على تنسيق الاتجاهات بين الاقاليم غير ان هذا الحدث مالبث ان فتح ثغرات جديدة فى هيكل الدولة بثورة بعض اولاد المولى اسماعيل مثل محمد العالم الذى دعا لنفسه بسوس واحتل مراكش فحاربه والده طوال ثلاث سنوات قبض عليه بعدها (عام 1115هـ) ونقل الى مكناس حيث توفى بعد ان قطعت يده ورجله من خلاف خلال الطريق (فى وادى بهت) وقد ثار كذلك ابو النصر بسوس بعد ثمانى سنوات (1123هـ) فقتله سكان الاقليم من عرب دليم .

وقد رفع السلطان بعض العصاميين الى رئاسة الولايات كآل الروسى على فاس والخياط على درعة وذلك تمهيدا لعزل الامراء عن الولايات كلها باستثناء ولى العهد المولى احمد الذى ظل حاكما فى تادلة والمولى عبد المالك الذى ارجع الى مراكش وباقى الجنوب حيث توغلت كتائب المخزن داخل الاطلس الكبير

ولعل هذه التجربة الثانية التى تمت بتنحية الامراء عن مراكز الدولة الا الاكفاء منهم واقامة العصاميين من الشعبيين مكانهم كانت عاملا مهما فى انبثاق نوع من الاستقرار وانتشار الهدوء والسلام(1) وانصراف الدولة الى توطيد العمران وتنمية موارد الدولة والاقتصاد الوطنى .

---

1) ذكر الناصرى ان فى هذا العصر استقامت الامور وسكنت الرعية وهدأت البلاد واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه والبلاد فى امن وعافية تخرج المرأة والذمى من وجدة الى وادى نول فلا يجد من يسألهما من اين مع الرخاء المفرط فلاقيمة للقمح ولا للماشية والعمال تجبى الاموال والرعايا تدفع بلا كلفة وصار أهل المغرب كفلاحى مصر يعملون ويدفعون فى كل جمعة او شهر او سنة ... ولم يبق سارق ولا قاطع طريق «ج4ص46»

ولكن بالرغم عن هذا الرخاء والامن فان المغرب لم يستطع اذ ذاك تركيز اقتصاده على اسس منطقية قارة لان الجبايات ظلت المورد الجوهرى وسوء توزيعها كان مثارا للقلاقل ولم تكن للدولة فى هذا الحقل الاجتماعى والاقتصادى سياسة واضحة وتصميم رصين فكان الارتجال يحدو السلطان الى اعفاء حاضرة فاس مثلا من التكاليف الجبائية فى نفس الوقت الذى يضيق الخناق على اقاليم معوزة هى اجدر بالاعفاء وسنرى كيف ان جهاز الدولة الموحد الذى لم تكن له دعامة ثابتة سينهار بعدوفاة المولى اسماعيل وهذه ظاهرة تسلسلت فى تاريخنا الوطنى الذى لم تصمم اجهزته ومقوماته على ضوء المبادىء الاجتماعية والاقتصادية البسيطة ٠

المجهود المعماري الإسماعيلي

كانت مكناس كرسى الوزارة فى عهد المرينيين فاختارها المولى اسماعيل حاضرة لملكه نظرا لطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء وسلامة المختزن من التعفين (1) وكانت المدينة زاهرة بالمساجد والمدارس والزوايا فاضاف اليها الامير الجديد بجنوب المدينة قصورا جلب لتخطيطها صناع المملكة والاسرى الاوربيين وادخلها فى قصبة جديدة جهزها اولا بالمسجد الجامع قرب قصر النصر الذى سبق ان اقامه ايام كان خليفة لاخيه الرشيد ثم اضاف اليه الجامع الاخضر المتفتح فى آن واحد على المدينة والقصبة التى فتح فى سورها عشرين بابا سامقة مقبوة تعلوها ابراج معززة بالمدافع والمهاريس واسس بحيرة تمخرها الزوارق وأهراء واسعة لخزن المحاصيل وحصنا مستديرا تصوب مدافعه الى الجهات الاربع واصطبلا تمتد مرافقه بضعة كيلومترات يسع الآف الافراس ومسلحة مربعة لايداع العتاد يعلوها قصر المنصور المحتوى على اربعين قبة تشرف على بسائط مكناس وجبالها مع الترخيمات الخشبية الرائعة كل ذلك وسط بستان شاسع الاطراف (2) وتتخلل هذه القصور المقامة داخل مدينة الرياض شوارع ورحاب وابواب شاهقة وقد تهدم معظم ذلك ايام المولى عبد الله ابن المولى اسماعيل على نسق الهدم الذى لحق قصر البديع (1119هـ) والذى اندرج بعض مرمره فى الرياض (3) ٠

---

1) الاستقصا (ج 4 ص 23)
2) طوله فرسخ وعرضه ميلان الناصرى (ج4ص26)
3) تاريخ طيراس (ج2ص267)

ولعل من العوامل التى حدت السلطان الى اختيار هذه العاصمة موقعها الاستراتيجي المؤدى إلى الاطلس الاوسط والمشرف على المنافذ الشمالية لفازاز وتادلة الشارعتين الى مراكش واقصى الجنوب واهمية هذه المناطق من الناحية العسكرية هى التى تفسر لنا تكليف ولى العهد نفسه بادارة شؤونها .

وقد اقام المولى اسماعيل فى حاضرة ملكه مجموعة من المساجد وجدد بناء الاضرحة كما رمم ضريحى المولى ادريس الاكبر وولده المولى ادريس الازهر مؤسسى الدولة وبطلى الفتوح الاسلامية وخطط لليهود ملاحا جديدا فى الربض الغربى للمدينة (1) .

وكان الامير فى تخطيطاته المعمارية رائعا منطقى التوزيع عرف كيف يصمم مواقع الجيش ومرابض الشعب واجنحة الوزراء فى بحبوحة متناسقة الاجزاء مستمدا العناصر الفنية من الهيكل الاندلسى المغربى وان كانت قد افرغت فى قالب يقل روعة عن كثير من منجزات العهود السالفة .

المولى إسماعيل وأوربا

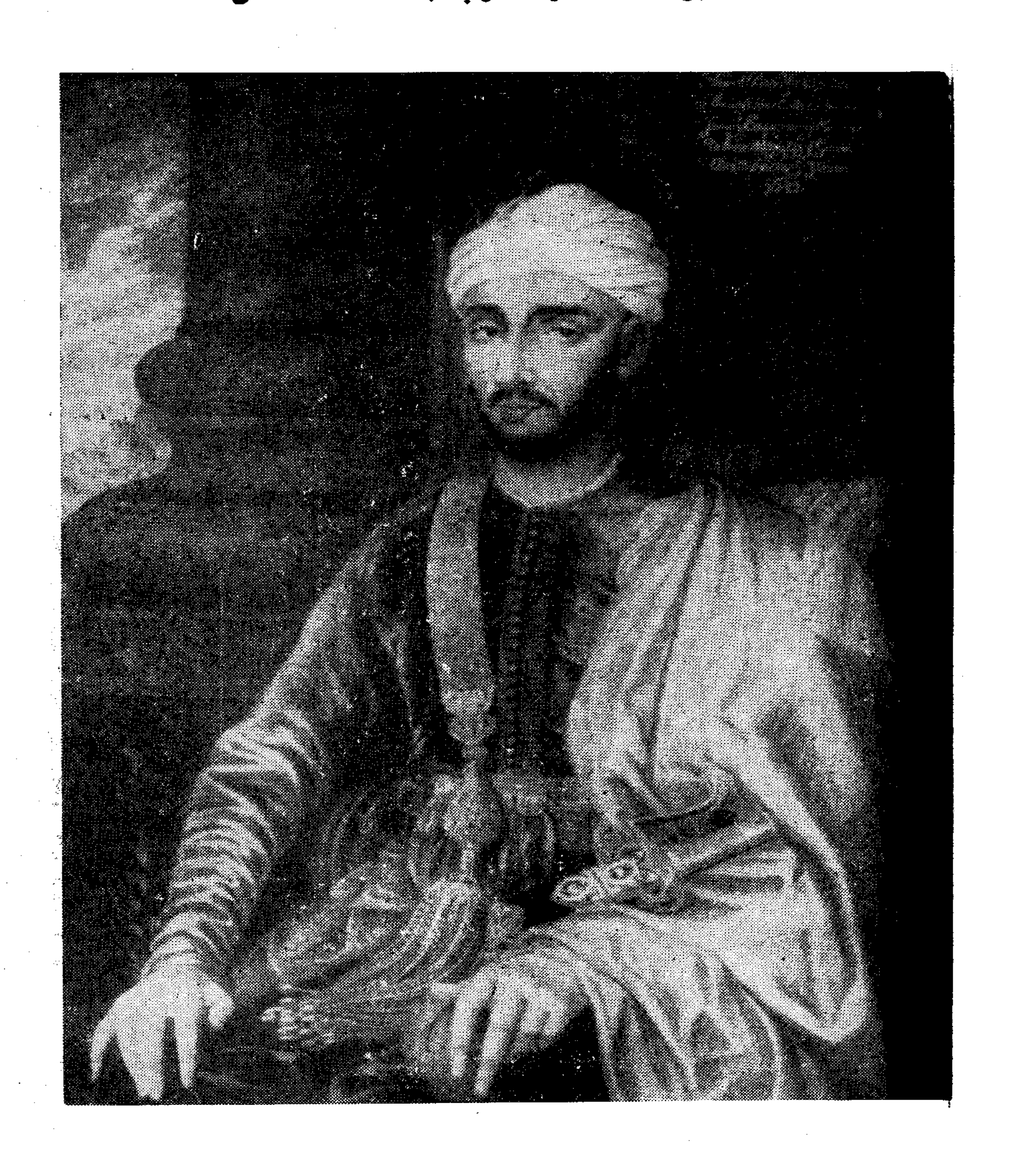
وكانت اوربا تمد المغرب بالقطنيات والجوخ والالات والاسلحة والبارود والكبريت فى مقابل الجلود واحيانا القمح والعسل واللوز وريش النعام والذهب بحيث كان الميزان التجارى بين المغرب واوربا لايتوازن خصاصه الا بالموارد المتجمعة من افتكاك الاسرى وكان المركزان الاساسيان هما تطوان وسلا حيث يرابط القراصنة والتجار من الاوربيين والمغاربة المسلمين واليهود وكان القرصان يقضون مضاجع اوربا سواء فى المحيط الاطلنطيقى او البحر المتوسط (2) .

---

1) يزعم طيراس ان المولى اسماعيل كان يضمر الحقد للمسيحية وانه قتل 127 أسيرا مسيحيا (التاريخ 2 ص 266و276) والواقع كما يؤكد ذلك مؤرخون غربيون ان الامير فى طليعة حماة المسيحيين الفرنسيسكان لانه خولهم امتيازات ماحلموا بها حتى فى الاقطار المسيحية كما سمح لملك اسبانيا ببناء مستشفى يحتوى على مائة سرير للاسرى المسيحين بمكناس واصدر ظهيرين فى آخر حياته اوعد فيهما باعدام من تهجم على المسيحيين (راجع كتابى التيارات الكبرى لحضارة المغرب ص 42)

2) راجع فصل الاسطول والقرصنة فى الجزء الثانى من معطيات الحضارة المغربية (الطبعة الثالثة)

أحمد بن حدو سفير المغرب لبلاط شارل الثانى



سفر المغرب فى لاهاى عام 1659 م



L'AMBASSADE MAROCAINE A LA HAYE
1659
D'après Dapper, Naukeurige Beschrijvinge der Afrikaensche Gewesten.

وكان فى طليعة دول اوربا التى تتعامل مع المغرب انجلترا وهو لندة ثمفرنسا
فى حين كانت احتكاكات السلطان بالبرتغال واسبانيا فى المراكز المحتلة تقلص
من هذا التبادل بينالطرفين وكان بالمغرب قناصل غربيون يسهرون مبدئيا على
مصالح مواطنيهم من التجار ولكن اغلبهم كانوا نفعيين انتهازيين وكان بعضهم
يشترى منصبه لعدم كفاءته ويسعى فى تضخم ارباحه مهما تكـن الوســائـل
لاسترداد مادفع لرؤسائه ومنهم من عين قنصلا بهذه الطريقة وهو ابن اثنتى
عشرة سنة ومنهم من استقر فى اوربا واناب عنه فى المغرب وقد نهج المـولى
اسماعيل مع اوربا سياسة التدافع نظرا لاطماع الغربيين فكان يلطف موقفه
احيانا مع فرنسا املا فى الحصول على مساعدتها ضد انجلترا واسبانيا بل كاد
البلدان يوقعان معاهدة تحالف فى المعمورة عام 1681 (1) تخفيفا من حدة غارات
القراصنة على السفن الفرنسية واستمرت المحادثات على يد بن حدو قائد قوات
الشمال ولكن لويس الرابع عشر رفض المصادقة على المعاهدة وواصلت فرنسا
محاربتها للقرصان فوجه السلطان فى العام التالىسفيرا لديها هو الحاج محمد
تميم واسفرت المفاوضاتعن امضاء معاهدة صداقة مع تنمية فكرة التحالف وحذت
المشاكل التجارية والقرصنية غير ان فرنساساستأنفـت حملاتهـا الاستفزازيـة
بدعوى عدم وفاء القرصان بالتعهدات فتوقفت المبادلات الاقتصادية مع المغرب
سنتين (1686 ـ 1688) ووجه ملك فرنسا الى زميله المغربى السفير بيدوسانت
ـ او لو ولكن المحادثات لم تسفر عن اى اتفاق لان المولى اسماعيل كان يهدف
الى عقد تحالف هجومى ضد المراكز الاسبانية بالمغرب ولم تكن حركة التهدئة
الموصولة داخل البلاد تعوق السلطان عن التفكير جديا فى الوسائل الكفيلـة
بتحرير اجزاء الوطن المحتلة لذلك عمد الامير بدون جدوى الى استيناف الاتصال
بفرنسا بواسطة سفيره القائد ابن عائشة الذى توجه الى باريس على رأس وفد
رسمى وقد اقترح الامير بواسطة سفيره الزواج بالاميرة كونتى من العائلةالمالكة
وهكذا لم يسفر الحوار المستمر عن اية نتيجة لان فرنسا لم تتنازل لمساعدة
المغرب ضد اسبانيا فتوقفت العلاقاتواستدعى القنصلان الفرنسيان من سلا
وتطوان ولم يبق لفرنسا ممثل بالمغرب مدة اربعـين سنـة تبـوأت التجـارة
الانجليزية خلالها المقامالاولولعلالنية لم تكنسيئة منالطرفينالا انالمولىاسماعيل

---

1) دليراس ج 2 ص 272

صورة الاميرال عبد الله بن عائشة مع بقية الوفد المغربى عام 1699م

الى ملك فرنســـا



سفارة المغرب بباريس عام 1682 م



كان يهدف الى غايتين هما تحرير الاسارى المغاربة المشتغلين فى الزوارق الملكية بالمياه الفرنسية والحصول على امدادات عسكرية لاستكمال تحرير البلاد فى حين كان من الصعب على ملك فرنسا التحالف مع دولة اسلامية ضـد دولـة مسيحية والتنازل عن الارقاء المغاربة فظلت والحال هذه اغلبية الاسرى الفرنسيين فى المغرب ٠

اما هولندة فان حركتها التجارية مع المغرب احتفظت بنشاطها بالرغم عن الصعوبات التى اعترضت تبادل الاسرى المعتقلين فى البحار من طرف القراصنة ولذلك كانت الروابط تتأزم احيانا وبعد جلاء انجلترا عن طنجة واضطرارها الى احتلال جبل طارق (1117هـ) اصبحت اسبانيا من الداعدائها فساعد ذلك على توثيق روابطها مع المغرب ودعم تجارتها لاسيما وان فرنسا كانت قد افرغت لها المجال ٠

وهكذا ظل المحور الجوهرى للعلائق المغربية الاوربية هو ضمان التدافع بين الدول الاوربية لاستتمام تحرير الوطن ٠

وقد عاش الامير سبعا وخمسين سنة حقق خلالها المعجزات فلم شتات المغرب ومحق الادعياء ودعم حركة التحرير ونشر الامن والطمأنينة غير انه لم يستأصل جذور الداء فتعرض المغرب بعد وفاته (28 رجب 1139هـ) الى طفرات ثورية تمخضت عن سلسلة من القلاقل بسبب تدخل العبيد فى قضايا العرش وكان المولى اسماعيل قد اختار اخف الضررين بعدم تأكيد تعيين ولى للعهد ولكنه فتح بذلك باب الفوضى على مصراعيه ٠

ومع ذلك فقد كان من ابرز الملوك الذين حظى بهم المغرب ٠

* * *



الفصل الثالث

عهد الفترة

ماكاد المولى اسماعيل يلفظ نفسه الاخير حتى بدأت لبنات ذلك الصرح الشاهق تتساقط الواحدة تلو الاخرى لأن عناصر الفوضى المنبثة وسط الشعب كانت دائما تتحين الفرصة للانقضاض وقد تضطر الفئات الصالحة احيانا ضمن الدفاع الذاتى ــ الى تضخيم عوامل الاضطراب وهكذا اصبح عبيد البخارى الذين ركزهم السلطان الراحل فى القلاع المنتشرة عبر البلاد ــ يفرضون حكمهم المطلق من خلال السلطان احمد الذهبى المنصب بتآمر بينهم وبين قواد الودايا ويسيطرون على مرافق الدولة واموالها فاثروا وأقاموا القصور الفخمة فى مكناس ومشرع الرملة مما سيحدو الملوك الى محاولة الارتكاز على القوات المعارضة من البربر الاطلسيين وعرب الجيش فى حين تواصل الجماهير جهدها فى البحث عن الملك الصالح أملا فى توطيد الآمن والنظام واستئصال دواعى الانحلال الاجتماعى والاقتصادى .

وفى بحبوحة هذه الفوضى التى اتسعت شبكتها اختلت المقاييس واودت الفتن المتلاحقة بحياة كثير من الناس فيهم المستبد الذى لقى جزاءه، وفيهم البريىء الذى انساق مع التيار الجارف وهكذا قتل الفاسيون قائدهم ابا على الروسى ودشن الذهبى نفسه العهد الجديد مدفوعا من العبيد بقتل بعض العمال واركان الدولة فعم الذعر واستقل احمد الريفى قائد الثغور الشمالية طمعا فى السيطرة

وخوفا من الضربات التى تكيلها قوات الاستبداد يميناويسارا دون وعي ولاتبصر وصده عن احتلال تطوان قائدها عمر لوقاش الذى استخفه الظفر فطمح الى اعتلاء العرش وتكونت عصابات حول الحواضر تعيث فسادا ، وهكذا ظل المغرب نحوا من ثلاثين سنة يتأرجح بين الأدعياء والطامعين ومن سار فى أعقابهم من انصار وخصوم ٠

* * *

ولم يكن الشعب يترقب هذه النكبات عند ما بايع المولى احمد الذى لقب بالذهبى نظرا لنواله الفياض ولكن هذه الاموال التي كان السلطان الجديد يغدقها لتألف الجيش وتقوية الحاشية كان مصدرها بيت مال الدولة الذى بدأ معينه ينضب فانقلب الانصار اعداء الداء يبحثون عمن يروى نهمهم الصارخ من بين ادعياء الملك ٠

وكانت الجماهير العالقة بالعرش (1) تستجيب لكل علوى تتلمح فيه سمات المثالية والاهلية ولكن ارادتها لم تكن دائما هى الغالبة ٠

قبع أحمد الذهبى فى قصره عاكفا على ملذاته وترك العبيد يفتكون بالقادة والرؤساء فقتلوا امير الاطلس على بن يشى وامير الريف احمد بن على وقائد الغرب ابن الاشقر من دعاة العرش وجباته فى الجبل والسهل فتقلصت بذلك موارد الدولة وعزل عبيد الديوان الملك الضعيف ونصبوا مكانه اخاه عبد الملك الذى استقدم من ولاية سوس (1140 هـ) وبعد البيعة وجه الملك المخلوع الى سجلماسة (2) ٠

وقد سقط فى ايديهم لان السلطان الجديد امسك عن العطاء فتناجوا بعزله وشعر ابو مروان بالموءامرة تحاك فاستنصر بالبربر ولكن الجنود العبدان الذين لم يهمهم مصير البلاد بقدرما يعنيهم ملء جيوبهم استانفوا النهب وقتلوا

---

1) لاحظ طيراس فى تاريخيه (ج2 ص280) ان روح التشبث بالعرش العلوى رغم المحن والفتن كانت نتيجة لعهدى مولاى الرشيد ومولاى اسماعيل

2) لاحظ طيراس ايضا (ص280) ان الاغتيالات العائلية كانت نادرة فى الاسرة المالكة بل حتى التعسفات ضد الامراء المخلوعين ٠

الرؤساء الذين وقفوا في وجههم فاستجار بالحرم الادريسي والتف حوله الفاسيون ودخل الذهبي عاصمة مكناس في مواكب قشيبة كالتي حفلت بمقدم اخيه قبله « ففرق الاموال والكسى في العسكر والعلماء والاشراف وبالغ في ذلك تفصيا مما نقمه العبيد » (I)

ونكصت فاس عن البيعة ملتفة حول أبي مروان وقتل اهليها القائد اليديني مبعوث السلطان الذي طالبهم بالاستسلام فلم يسع احمد الذهبي الا الزحف على المدينة وحصارها بالمدافع والمهاريس وموالاة القذائف على أسوارها ودورها طوال خمسة إشهر استسلم الناس اثرها بعد أن كابدوا الأمرين فخير المولى عبد الملك بين النزوح الى سجلماسة والمكث في الحرم فاختار البقاء بفاس ثم اغراه بعض القواد ضامنين سلامته فخنق بمكناس قبل وفاة اخيه السلطان بثلاثة ايام (4 شعبان II4Iهـ) .

الأمير مولاي عبد الله وخصومه

استمرت القلاقل بتوالي ثلة من الامراء على العرش الذي اعتلاه المولى عبد الله ست مرات والمولى عبدالله هذا ولد خناثة بنت بكار المغفري اجمع العبيد والودايا مع بقية قادة الدولة على مبايعته فاستقدم من سجلماسة حيث فر بعد محنة اخيه ابي مروان ،وكان مقيما معه قبل ذلك بسوس وقد دشن الملك الجديد عهده بنوال واسع مزجه بشيء غير قليل من العنف لاسيما مع اهل فاس الذين قطع عنهم عطاياه وسعى في انتزاع بساتينهم وقصباتهم بحجة انها ملك للدولة فتكتلوا واعلنوا العصيان ثم زحف الامير نحو المدينة فطوقها (II4Iهـ) بعد ان خرب ماكان في ارباضها من مصانع وغراسات وطم الوادي فانقطع الماء ووالى قذائفه المحرقة فضاق الخناق واستسلم السكان فتعاقب في اقل من سنةعلى فاس اربعة ولاة وتتابعت اعمال التخريب والتقتيل بتهديم خمسة ابواب وتحطيم سور المدينة أعقبها الامير في مس جنوني بدرس معالم مدينة الرباط في غمرة الليل بمعاول الاسرى المسيحيين وذلك في نفس الوقت الذي امر باكمال سور القصبة وبناء باب منصور العلج وفي غضون ذلك امر السلطان بقتل مآت

I) الاستقصاء 3 ص 58 .

الاشخاص فى القبائل منهم مائتان منحجاوة بحجة قطعالطريق وقد فرالمتفرجون عند اقتراب السلطان من مكان الاعدام بباب البطيوى الى كهف قريب فاطبقه الامير عليهم وماتوا تحتالردم واحتج جيش العبيد رغم شدته على هذه التعسفات التى لم يكن لها مبرر ولم يثن ذلك السلطان عن التنكيل بالفاسيين الذين ولى عليهم قائدا خامسا استصفى اموالهم ففر الكثير الى اقاصى البلاد بعد عنت شديد استمر أكثر من سنتين (1143 ـ 1145 هـ)

ولعل السلطان كان يهدف بهذا الاستبداد الشائن الى استعادة وحدة الدولة غير ان العنفلم يكنليزيدفورة القادة والجماهير الا انتشارا وشدةوهكذا زحف السلطان بنفسه نحو تادلا ثم سوس فضرب على ايدى الثوار ولكن جيش العبيد انهزم فى جبال ءايت أومالووبسيط ادخسان امام صمود البربروانخذ السلطان ذلك ذريعة لقتل ازيد من عشرة ءالاف من العبيد جزاء اغتيالهم لأخيه ابى مروان ولم تكن جعبة هؤلاء قد فرغت من المكايد فاجمعواعلى خلع السلطان الذى بادر بالفرار من سوس عن طريق تادلا ومراكش فنزل بوادى نول على اخواله المغافرة ٠

ونصب العبيد مولاى على الاعرج ابن المولى اسماعيل (عام 1147) مستقدمين اياه من سجلماسة التىكانت ملجأ يستجير به ادعياء الملكعندالهزيمة وقد اشتهر هذا الامير بالحكمة والتعقل ودشن عهده باسقاط الجبايات عدا الزكوات الشرعية ولكنه بعد استنفاد ذخائر الدولة فى العطاء اعتقل خناثة أم السلطان مولاى عبد الله وامتحنها بدعوى اختزانها الاموال ٠

واستمر نزاع الملك الجديد الى عام 1148هـ مع اهل فاس الذين فتحوا جبهة ثانية ضد عصابات الودايا اذ كانت تغير على المدينة وارباضها ولما استتب الامر فى هذه الناحية زحف جيش العبيد وعلى رأسهم السلطان الى ءاية اومالو بالاطلس وكانت استراتيجية البربر هى الفرار امام الجيش النظامى الى الجبال ثم الكر فجأة على المتعقبين عند توغلهم فى الثنايا والاوعار فانهزم العبيد مرة ثانية تاركين خيلهم وسلاحهم واخبيتهم ورياشهم واحترم البربر أمير المومنين فصاحبوه الى معبر وادى ام الربيع من حيث عاد الى حضرة الملك خاوى الوفاض قد نفدت من اهرائه الميرة والعتاد والمال فعاد العبيد الى التشغيب مواصلين اثارة الفتن بدوافع مادية فما عجز سلطان عن اشباع نهمهم الا عمدوا الى

خلعه وكان الشعب يعيش في سلك جهنمي بين اطماع هؤلاء الدخلاء من الزنوج (1) وبين ادعياء الملك الذين ينساقون وراء المشغبين لاعتلاء اريكة العرش ولاشك ان هذه الفوضى تتمخض عن خلل اقتصادى بسبب قلة المحاصيل وشيوع الاحتكار وارتفاع اسعار المواد الحيوية وكانت تنضاف احيانا الى عوامل الفتن عناصر الطبيعة كالجفاف فيشتد الكرب وتنهال النكبات وقد تغزر المحاصيل والاقوات فى اقاليم اخرى ولكن عسر المواصلات واضطراب الامن الناتج عن القلاقل كانا يسفران غالبا عن ازمات جهوية قاتلة .

تلك هى الحوافز الجوهرية التى فتحت المجال لتعاقب الادعياء امثال محمد بن عربية والمستضىء وزين العابدين علاوة على مولاى عبد الله الذى كان يتارجح بين النصر والهزيمة .

وهكذا زحزح مولاى على عن العرش ففر الى الاحلاف شرقا واسترجع مولاى عبد الله نفوذه وهو بتادلا (1149هـ) فسمح لاخيه بعد سنوات (1169هـ) بالاستيطان بمكناس ولكن العبيد كانوا يعيثون فسادا ويتحينون كل الفرص لبث الشقاق فاضطروا الملك بد سائسهم الى اجلاء اخيه لتافيلالت حيث قضى بقية ايامه وفى غضون ذلك استقدم الوالغون فى الماء العكر ابن عربية من سجلماسة عندما كان المولى عبد الله قد عاد الى طغيانه فقتل أعضاء الوفدين الفاسى والمكناسى الذين جاءوا لبيعته بقصبة ابى فكران وكان ابن عربية قد جاء الى فاس فنصبه اهلها ملكا (1150هـ) وفر المولى عبد الله الى بربر الاطلس واقر العبيد هذا التنصيب طمعا فى المال وضعف الملك الجديد عن الضرب على ايدى الناهبين وقد اغار المولى عبد الله مرارا على حاضرة الملك من مقره بالحاجب للثأر من العبيد الذين كانوا محور الفوضى واجلب السلطان بخيله وعبيده على البربر فانهزم وحاول تغطية هزيمته بقطع رؤوس الابرياء من اصل صفرو ونقلها الى فاس ايهاما بانها رؤوس ثوار البربر ثم انتزع اموال الفاسيين وقتل بعض اثريائهم فانتشر النهب وعم الرعب وخيمت المجاعة بشبحها المخيف حتى اضطرت

---

1) لاحظ صاحب الاستقصاء ان النكبات التى نزلت بالمغرب فى هذه الفترة هى بسبب «استيلاء العبيد على الدولة وشؤم افتياتهم عليها وتحكمهم فى أعياصها (3ص68)

جماعة من اهل فاس الى التوجه لتطوان لجلب المواد الغذائية المستـوردة مـن اسبانيا .

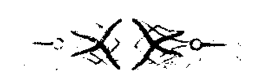
وخلع الزنوج السلطان واستدعوا اخاه المستضيء من تافيلالت فاستأنف العبث والعسف وضرب الجبايات الفادحة لنقع نهم العبدان وصار يفكك اوصال الاهراء الاسماعيلية ويبيع حدائدها وما ضمته من مواد الكبريت وملح البارود واقتلع الدرابيز وسك نحاس المدافع فلوسا واطلق ايدى النهب فى فاس وتطوان وعندما فرغت جعبته تآمر العبيد على عزله (1152هـ) ففر الى مراكش بعد ان استجار مدة عند قائد الشمال احمد الريفي وقد حاول اثارة قبائل الجنوب ولكنها تمسكت بالمولى عبد الله الذى اضطر العبيد الى مبايعته مـن جديـد (1153هـ) وانضمت فاس ومكناس الى البيعة واختار السلطان مقره الموقت بوادى زم نظرا لاستمرار عبث الزنوج فى حضرة الملك ثم استقر بمكناسة منساقا فى تيار العبيد الذين صاروا ينتزعون من الناس دورهم وبناتهم باسم السلطان وازدوجت عـوامـل الاضطراب فى المغرب بانطلاق يد باشا طنجة احمد الريفى فى الغرب داعيا للمستضيءالذى ظل مقيما بالقصبة المكناسية وقد ساعد استبداد السلطان على اندلاع الفوضى بنهب زروع المكناسيين وتوظيف الغرامات فثار العبيد ضده مرة اخرى وخلعوه (1154هـ) فتآمر مع الشمال وفر الى الجبل وفرض القائد الريفى تنصيب المولى زين العابدين الذى كان العبيد قد احتفظوا به بفاس ثم طنجة مكرما لهذا اليوم اذ كانوا يلعبون على حبلين تحقيقا لاغراضهم التى كانت المبرر الاكبر لجميع الوسائل وفى ضمنها النهب والتنكيل والاغتيال وقد تقاعس اهل فاس وجيش الودايا عن المبايعة لان تعاقب الامراء على العرش بهذه الوتيرة المزعجة كان ينذر بشر مستطير ويحدو النخبة الواعية من الشعب الى عدم الاستسلام لعوامل مصطنعة لاتلبث ان تنجرف فى تيارات من نوع جديد لاسيما وان الطابع الزنجى كان يسم هذا الخلل السياسى بلون مخيف لايتراءى شبحه الا للاحرار النزهاء وهكذا دفع العبيد الملك الجديد الى محاربة الخارجين عن البيعة غيران الزنوج الذين عجزت اوفضة العرش عن الاستجابة الى اطماعهم نزحوا عن الجيش ففر السلطان وكان المولى عبد الله متريثا فى الاطلس يتحين الفرصة للوثوب فانحدر الى فاس واجمعت الاغلبية هذه المرة على مبايعته وهى التى انضوى تحتها العبيد والاودايا وقبائل العرب والبربر غيران الزنوج عادوا بعد فترة يسيرة الى التشغيب فاستدعوا المستضيء من مراكش ولكن السلطـان

عرف هذه المرة كيف ينقذ الموقف بلم شعث الامة وتوحيد عناصرها المتنافرة من الجبل والسهل فهزم خصمه (عام1155هـ) وكانت ارباض فاس معززة بكتائب البربر من زمور وجروان وآيت ادراسن وآيت اومالو وماكاد يبزغ فجر السنة القابلة حتى اعاد المستضيء الكرة على فاس صحبة باشا طنجة الريفي مجهزين بعتاد قوى من المدافع والقذائف فتصدت جيوش السلطان بجحافلها الاطلسية الى كتائب الريف وهزمتها وسلبت اخبيتها وكراعها ورياشها واعتدتها الحربية وقد شهد الامير الشاب سيدى محمد بن عبد الله هذه الوقعة الحاسمة ثم دارت معركة ثانية عام 1156هـ على وادى لكوس قرب القصر الكبير بين فيالق القائد الريفي والمستضيء(الفحص والخلط والعبيد وبنى حسن) وارحية الجيش الملكى الذى وحد السلطان عناصره باقامة الرماة من العبيد واهل فاس وفرقة الخيالة من الودايا وزرارة واهل سوس واستعرض الجمع فى حشد حافل اضاف اليه فى الطريق كتائب من قبائل حوز فاس فانهزم الخصم وقتل الريفى وزحف الملك نحو طنجة فدخلها مظفرا وتعزز بيت المال بالغنائم التى جمعها طاغية الريف من انهابه وحاول المستضيء من جديد لف انصاره ولكنه انهزم مع دعاته من بنى حسن وواصل الملك زحفه اواخر عام 1158هـ نحو الجنوب عبر دكالة والسراغنة ثم مسفيوة يتعقب اخاه المستضيء الذى لجأ الى طنجة بعد ان لفظته حواضر الجنوب . وهنا استخلف المولى عبد الله ولده الامير مولاى محمد باقليم مراكش بينما وجه اخاه الاكبر المولى احمد خليفة بالرباط ثم عاد الى قصره بابى فكران وقد اثارت تعسفاته الجديدة ضد خصوم الامس موجة من الاستياء سواء فى الحواضر ام الاطلس مماحدا البربر الى محاربة المولى عبد الله وكذلك العبيد نظرا لشعور الجميع بان السياسة الجديدة هى «صدم التيس الاسود بالكبش الابيض (1) » وقد دخل اهل فاس آنذاك هم واهل الغرب مع « حزب البربر » مما دل على عدم وجود نعرة سلالية فى هذه الانتفاضة الجديدة ضد السلطان ودام حصار فاس ازيد من سنتين تم بعدها الصلح مع المولى عبد الله وكان البربر ينهجون ايضا ضد السلطان سياسة التدافع باثارة العبيد ضده حوالى 1162 هـ لاعادة وحدة البلاد باقصاء السلطان وتنصيب ولده سيدى محمد بن عبد الله الذى برهن عن كفاءة ونزاهة ولكن الخليفة رفض هذا العرض برا بوالده واضطر

---

1) الاستقصا ج 3 ص 81

هذا الامير الى تغيير سياسته فتدخل ولده الذى هب(عام 1163هـ) من مراكش للوساطة بين الملك والشعب فبايع العبيد للمرة السابعة ولكن طائفة من البربر انبرت تستعطف الامير الشاب (1164هـ) لانقاذ الموقف بقبول الملك لاسيما وان الحرب استمر اوارها بين الانصار والخصوم من برابرة ايت ادراسن وجروان وانتهت هذه الازمة القاسية بوفاة السلطان المولى عبد الله في صفر عام 1171 هـ بعد ان ظل اثنتى عشرة سنة (1159ـ1171هـ) فى دار الدبيبغ بفاس مهملا من الشعب ٠



الفصل الرابع

عهد الاستقرار والازدهار

(1171 هـ ـ 1204 هـ)

في هذا العهد عرف المغرب شيئا غير قليل من الاستقرار وما يستتبعه من ازدهار فقد تمكنت البلاد من تركيز وحدتها وتحرير عدد من المراكز الاجنبية في ربوعها وقامت جيوشها واساطيلها حاجزا منيعا في وجه الغزو الاجنبي على ان اوربا كانت خلال الفترة التي تقرب من ثلاثة ارباع قرن في فورة من النزاعات والحروب بين دولها زادها اشتدادا انبثاق عهد الاستعمار الجديد حيث اتجهت انظار الغربيين الى آسيا وخيراتها . فبدأ الصراع العنيف والتسابق نحو احتلال جزر الشرق الاقصى وتعزيز الصناعة الاوربية بموادها الاولية وكانت الامبرطورية العثمانية ءانذاك في طريق الأفول فتقلصت بذلك المعارك الدامية بين الاسلام والنصرانية التي استقرت منذ العهود الصليبية وخلفتها قرصنة الجمهورية القائمة على سواحل البحر المتوسط في الاقطار الاسلامية والنصرانية مما حدا مؤتمرات الحلف المقدس الى التضافر ضد الاساطيل القرصنية والتركية

وهكذا استطاع المغرب بفضل الدعة والهدوء استكمال صرح الدولة وتعزيز المرافق الاجتماعية والاقتصادية الوطنية وعقد الاوفاق التجارية ومعاهدات الصداقة مع اوربا والاقطار الاسلامية فلم يعد هنالك احتكاك حدودي بين المغرب

واتراك الجزائر حيث توطدت الروابط الودية وانتظمت سياسة جديدة في الداخل و الخارج كللت احيانا بكثير من التوفيق .

محمد بن عبد الله الخليفة

استخلف المولى عبد الله ولده الامير محمد عام 1157هـ على مراكش برغبة من اهلها بعد مطاردة الامير الشاب بالقصبة التى لم تبق بها ءانذاك سوى الاثار السعدية والموحدية ضاربا اطنابه وسط الخرائب وشرع فى بناء قصره بحدائق اجدال خارج السور الجنوبى وكان الاعراب والبرابر المستوطنون ارباض الحواضر يعيشون فسادا فى جوانب هذه المدن مثل الاوداية بفاس وزعير بالرباط والاحلاف بوجدة فكان عرب الرحامنة قد الفوا تسخير الحوز لاطماعهم فلذلك حالوا دون قيام نظام سياسى قوى فى الجنوب وطردوا الخليفة من مراكش فالتجأ الى اسفى وسرت العدوى الى رباط الفتح فاقصى اهل العدوتين المولى احمد بن عبد الله الذى التحق باخيه وتعززت الخلافة بانصار جدد من عبدة واحمر رافقوا الامير حيث نزل بالقصبة وبعث روحا جديدة فى الاقتصاد الجهوى بتعمير الاسواق وتنشيط التجارة فى الميناء ، فتكونت كتل اقتصادية من العرب واليهود والمسيحيين تنافسوا فى تركيز المبادلات مع اوربا فازدهر الاقليم وعم البشر وراجعت الرحامنة موقفها وعاد الخليفة مظفرا الى مراكش قد التفت حوله قبائل انحدرت من كل صوب فتم بناء القصر الملكى الجديد متصلا ببستان النيل وبقصر ءاخر هو القصر الاخضر او المنصور وجدد الاسوار ورمم جامع القصبة الموحدى وبنى مسجد بريمة ومدرستين وانتظم فى جيشه فرسان العبيد وعبدة واحمر والرحامنة ورجال الحوز فزحف نحو السوس (1169هـ) واستأصل بها رؤوس الفتنة ورتب الحاميات ثم عرج على الشاوية موطدا دعائم الامن فى طريقه الى الرباط والقصر الكبير وتطاوين وطنجة وما ان عاد الى حضرته عن طريق سلا التى اقفلت ابوابها فى وجهه حتى نعى اليه والده السلطان المولى عبد الله .

وكان الشعب قد سئم هذه الموجات المتلاحقة من الفتن والحروب الداخلية فرأى فى شخص الامير الفتى الزعيم الكفء لاعتلاء العرش وكان لوجهته السياسية ودعته وحنكته وتصميماته الاقتصادية الاثر القوى فى جمع الكلمة لمبايعته فهبت الوفود والمهنئة من جميع انحاء المملكة ثم غادر الملك مراكش نحو

مكناس دار الملك حيث عزز جانب العبيد الذين كانت غازات خصومهم من البربر قد انهكت قواهم واستصفت جناتهم وولى وجهه شطر فـاس حيث استقبـل بحماس اجماعى فعم نواله سائر الطبقات لاسيما بعد تملكه لمتخلف والده فى دار الدبيبغ من امو الواثات وحلى (1) وقد نهج الاميرخطة رشيدة فلم يعزل قواد ابيه الا بعد التحرى والاختيار هادفا الى الاستصلاح رغبة فى تفادى الاضطرابات

تنظيم الدولة

وقد عمد السلطان الى تنمية موارد الدولة بتعزيز الجبايات الموظفة على الاسواق بعد ان استفتى الفقهاء فى شرعية هذه المكوس التى كانت مضروبة على الموازين والسلع والغلات وقد عرف المغرب فى هذه الفترة عهد رفاهية وسلام اذ بلغ دخل المكوس بفاس وحدها على ما قيل 500 الف مثقال اى مليونين ونصف مليون فرنك بصرف ذلك الوقت (2) ونشط السلطان الحركة الاقتصادية فى كل من الجديدة والصويرة حيث جلب تجار المسيحين واسقط عنهم الجبايات موقتا ريثما تركزت فيها المبادلات بين الداخل والخارج ·

الجيش

فى سنة 1173 هـ حاول السلطان اعادة تنظيم الجيش وتعزيزه بعناصر جديدة سجلت فى ديوان الجيـش بمكنـاس فاضـاف الى العبيـد الحراطيـن

---

1) ذكر صاحب الاستقصا ـ ج 4 ص 92 ـ ان هذا المال كان اكثره ذهبا منها الف خرج او سماط من الجلد ذات اقفال ذهبية قيمة كل واحد الفان اثنان من الدنانير ، ومائة رحى من الذهب الخالص وزن الواحدة اربعة آلاف ريال كما وجد فى المتخلف 285·000 ريال ·

2) سوردون ـ افريقيا الشمالية ص 241 وقد زعم صاحب درة السلوك ان السلطان تصدق خلال ازمة الجفاف التى استمرت خمس سنوات بخمسمائة مليون دينار وهو مبلغ باهظ نشك فى صحته وان كان هنالك مايؤكد ان الدولة وزعت على الحواضر والبوادى الاقوات والاغذية كما منحت القروض للـدور التجارية لجلب المواد الحيوية من الخارج·

وذكر الناصرى (الاستقصا ج 4 ص 97) ان السلطان باع امكاس فـاس لعاملها محمد الصفار ب 12·000 مثقال ثم بضعفها (ص 98)

المستقدمين من الصحراء مثل الجبابرة والمعاركة واولاد احمد ثم اهل الحوز والبربر مثل ايت ادراسن وكروان وايت يمور بعد ان نحى خصوم هؤلاء من الاوداﻳا لعيثهم فسادا بحوز فاس والعنصر الجديد في الجيش النظامي هو البربر اذ عرف السلطان كيف يؤلف بين الطرفين وينهج بدل العنف سياسة المرونة واللين ساعيا في القضاء على بواعث الفوضى والتشغيب مهما كان مصدرها ·

وقد عزز الثغور بحاميات قوامها 16·500 جندي وزع عليها عام 1200 هـ ثلاثة ملايين مثقال كراتب مسبق لخمس عشرة سنة واقام الابراج في المراسي مثل العرائش وانفا وكذلك سلا والرباط حيث بنى برج الصراط (1169هـ) ثم برج صقالة (1190هـ) على يد المهندس احمد الانجليزي واستقدم بعثة من الخبراء الاتراك لتدريب رماة الجيش كما وجه 600 جندي من أيت عطة و 400 من عبيد تافيلالت الى طنجة لدراسة الفنون البحرية ولم يكن يانس للفنيين المسيحيين نظرا لاعتزامه اجلاء الاجانب بقوة عن المراسي المحتلة ·

وقد كون اسطولا جدد به العهد السالف ولكنه اصطدم بمصاعب في تجهيزه وان كان قد استطاع جلب بعض المواد من انجلترا والسويد وتركيا (1) فعزز حماية المياه الاقليمية علاوة على المراكب القرصانية بخمسين سفينة منها ثلاثون فركطة تحتوي على 60 قائدا وخمسة الاف بحار والفين من الرماة (الطبجية) و 15·000 من العبيد و7·000 من الرجالة الاحرار ومثلها من الغرب و 8·000 من الحوز·

نشر الهدوء والأمن

وكان من عوامل الفتنة استمرار التطاحن بين برابرة الجبل واخوانهم في السهول جريا على الظاهرة التي اطردت في تاريخ المغرب منذ القرطجنيين وهي تناحر البدو الرحالة مع القبائل القارة وكان برابرة السهول الممتدة على الدير وطول شعاب الاطلس ينضمون غالبا تحت راية الدولة غير ان الطموح الى الحرية

---

1) بعث السلطان سفيرين الى الاستانة لدى السلطان مصطفى العثماني كما وجه عام 1177 هـ التهامي المدور سفيرا الى السويد لجلب مواد صنع المراكب والبارود واوفد الى انجلترا سفيره محمد المستري لاصلاح السفن وشراء المواد البحرية ومدافع نحاسية (الاستقصا ج 4 ص 98) ·

والانطلاق من القيود حدا شتى القبائل الى الثورة فكان السلطان يضطر الى القيام بحركة للتهدئة حيث شاهدناه (عام 1175هـ) على رأس جيشه فى بلاد الشاوية وتادلا والغرب للاقتصاص من شقيرين (أيت اومالو) والحياينة وأيت سكاتو وبنى سادان وعام 1176 هـ ضد مسفيوة وزمور الشلح ومرموشة ، وفى غضون ذلك قبض على المتصرف محمود الشنقيطى بفاس وقتل الثائر احمد الخضر بصحراء فجيج وهكذا استطاع السلطان اقامة الامن فى احواز الحواضر الكبرى التى كانت مثل فاس ومكناس عرضة لغارات البربر ونقل القبائل المشغبة الى اقاليم نائية مثل اولاد بوسبع الذين طردهم من الحوز الى الصحراء واقام مكانهم اهل زمران وكذلك اهل التكنة ومجاط وذوى بلال الذين استقروا بحوز فاس بدلا من الاوداية

المؤسسات العمرانية

علاوة على الدار البيضاء المقامة فى حدائق اجدال بمراكش والتى احيلت اليوم الى مستشفى بنى السلطان دارا بيضاء اخرى بمكناس على نفس النسق والهندام (وهى اليوم اكاديمية عسكرية للجيش الملكى) كما بنى مسجد الازهر (مسجد الروى الحالى) وفى فاس أسس مدرسة باب عجيسة (الكيسة) وحصن مراسى الساحل من تطوان (برج مرتيل) الى انفا ووطد بين فاس ومراكش طريقا ساحلية ـ على هامش الطريق المارة بتادلا ـ على طولها منازل للايواء فى قصبات المنصورية وفضالة وانفا كما زود الرباط بسور جديد بالجنوب الغربى للمدينة فى اجدال الحالية حيث بنى قصرا ملكيا وجامع السنة مدرجا رباط الفتح فى عداد حواضر الملك .

اما الصويرة فقد اشرف بنفسه على تخطيطها ليجعل منها مركزا تجاريا ومربضا للقراصين الجهادية والحيلولة دون حركة التهريب فى الجنوب على اثر احتلال الجديدة على ان العامل الاساسى الذى حداه الى اختيار الصويرة لهذه المهمة الاقتصادية هو ان الحواجز الرملية (1) التى يستعصى بسببها دخول السفن الى افواه المراسى الاخرى مثل سلا والعرائش غير موجودة فى هذا المركز

---

1) حسب رحلة المهدى الغزال وقد سبق للشريف الادريسى ان اشار فى نزهته الى هذه الحواجز

الاستراتيجي الذى اتقن السلطان عمرانه وشحن الجزيرتين الدائرتين به بالمدافع وشيد برجا على صخرة داخل البحر (I)

تحرير الأسرى والمراكز المحتلة

كان الاسطول القرصني يمخر عباب المحيط ويغير على الثغور الاوربية ويقتنص المراكب الاجنبية التى لم تكن تتردد هى الاخرى فى السلب والسبى والأسر فى عرض البحار وكان السلطان محمد بن عبد الله ميالا الى المهادنة الا ان دسائس بعض دول اوربا اللاتينية حدته الى التحالف مع امم بروتستانتية مثل انجلترا والسويد والدنمارك التى عقد معها معاهدات تجارة وصداقة كما عقد معاهدة تجارة وملاحة لمدة خمسين سنة مع الولايات المتحدة (I6 يوليوز 1786 جددت عام 1836) .

ومن الدول من فضل سياسة الثأر كفرنسا التى كان القرصان المغاربة قد غنموا احد مراكبها وساقوه الى مرسى العرائش فقنبل اسطولها كل من العرائش وسلا (II78 ـ II79هـ) وقد توغل خمسة عشر مركبا من اسطول القائد الفرنسي دوشافو *Du Chaffaut* فى وادى لكوس لمطاردة السفن الملكية ولما رجعت هاجمها عرب الغرب بمدخل المرسى فاستاقوا أحد عشر قاربا وقتلوا او اسروا 230 جنديا و30 ضابطا ثم انعقد الصلح(II80هـ) على يد سفير مغربى وتقررت شروط دخول مراكب الدولتين الى المراسى الفرنسية والمغربية افتكت فرنسا بموجبه اسراها وزودت المغرب بالأدوات المركبية .

ونجدة للاسرى المسلمين الذين استنصروا بالسلطان من اسبانيا كتب الى ملكها فاطلق سراحهم ووجه السلطان (II79هـ) احمد الغزال سفيرا لشكره ثم تدخل الامير (II82هـ) بطلب من اسبانيا لدى الاستانة لتبادل اسرى الجزائر بالأسرى الاسبان فاصدر الباب العالى أوامره بذلك الى داى الجزائر .

I) يقال بان المهندس الذى وضع تصميم تجديد بناء الصويرة هو الفرنسى كورنوط *COURNOT* الذى اتقن شبكة التوزيع ورسم الاحياء ثم بنى القلعة المهندس احمد الانجليزى الذى سجل لقبه « احمد لعلج» على باب البحر .

وقد شعر الامير باستراتيجية مرافىء الاطلنطيق فعزز تحصينها وبنى الابراج ونقل اليها المدافع والمهاريس من المدن الداخلية توطيدا لسياسته التحريرية ولم يقر للامير قرار ما دام البرتغاليون يحتلون قطعا من التراب الساحلي فعبأ جيشا وحاصر مانزغان (1) عام 1182هـ فانبثقت من اسوار المدينة نيران المجانيق البرتغالية عقبتها قذائف السلطان وقنابله (2) وواصلت الحامية الصمود مستنجدة باشبونة التى امرتها بالاستسلام ولم يجل البرتغاليون عن المدينة حتى اغرقوا اربعة زوارق واحرقوا الاثاث والاوانى والماشية ومائة مدفع ونشروا الالغام التى نفطت عند دخول الجيش فتهدمت الدور (3) ولكن السلطان جرد عمرانها واسكن بها اهل دكالة.

وقد غزا الامير مليلة عام 1185هـ وطوقها ببطارياته من مدافع ومهاريس رمتها بوابل من مقذوفاتها المحرقة فعاتب ملك الاسبان مذكرا اياه بعقد الصلح المبرم بين البلدين فانهى السلطان الحصار وقد سبق له ان قام منذ عام 1173هـ بجولة استطلاعية فى ارباض سبتة وأخر تحريرها مكتفيا باقامة حامية قوية من رماة انجرة للسهر على الحدود

سياسة الوحدة الإسلامية والتحالف مع أوروبا

لم يال السلطان سيدى محمد بن عبد الله جهدا فى اقامة سياسته الخارجية على عنصرين اثنين : تحرير البلاد وتعزيز الروابط الودية مع العالم الاسلامي ولذلك توالت سفاراته الى الاستانة تبودلت اثناءها النفائس مع الباب العالى حيث اهدى الامير الى مصطفى العثمانى خيلا عتاقا بسروج مثقلة بالذهب مرصعة

---

1) كانت الجديدة تسمى بمانزاغان ، ثم البريجة ثم المهدومة قبل ان يجدد بناءها السلطان سيدى محمد بن عبد الله

2) لاحظ محمد المراكشى فى كتابه «الحلل والبهجة فى فتح البريجة ان القنابل المغربية كانت تزن قنطارا وكانت مصنوعة من سبعة معادن.

3) يقال ان البرتغاليين النازحين عن البريجة توجهوا الى البرازيل وأسسوا مدينة سموها مازاكان الجديدة.

بالجوهر ونفيس الاحجار مع أسياف مذهبة مطعمة بالياقوت الملون (I) فكافأه السلطان بمركب مجهز بالمدافع والمهاريس وآلات المراكب مع ثلاثين من الخبراء المختصين فى صناعة السفن وفن المدفعية

وقد صاهر الملك شريف مكة الامير سرور فزف اليه كريمته كما وجه توطيدا لصلاته مع الدول العربية هدايا لأمراء طرابلس ومصر والشام ولم ينس شعوب الحرمين والحجاز واليمن والعراق

كما عمد السلطان الى تقوية علاقاته الودية مع دول اوربا (2) مثل الدنمارك التى التزمت بدفع اتاوة(3)للمغرب قدرها خمسة وعشرون مدفعا و6٠500 ريال والسويد التى تعهدت بتقديم 20٠000 ريال سنويا وقد تمت تصفية الشركة التجارية الدنماركية

وعرف السلطان كيف يركز سياسته الخارجية على متناقضات قوامها الجهاد لتحرير الثغور والاسرى وتطوير الاقتصاد وتنمية الموارد الوطنية بالاهتمام بالمبادلات التجارية مع اوربا التى عقد معها اتفاقات ومعاهدات مختلفة وقد اشاد المؤرخ والقانونى الفرنسى جاك كايى بالروح الدولية التى كانت تذكى السلطان لما كان يبديه احيانا من ءاراء سبق بها ماعرفته اوربا فى العصر الحاضر اذ لم ينس السلطان فى اتفاقاته البنود المتعلقة بالسلم والحرب والحصانات الدبلوماسية واعترف للأجانب بحق ممارسة الديانة المسيحية وحرية التجول والملاحة فى المياه المغربية بشروط دقيقة برهنت عن ادراكه العميق لمقومات القانون الدولى وعن مدى اسهام المغرب فى دعم التشريعات التى تعتبر اساسا للعلائق الدولية فى القرن العشرين ٠

وقد تبلورت هذه العلائق اما فى مجرد اتفاقات واما فى معاهدات

I) وفى سنة 200 هـ توجه السفير ابو القاسم الزيانى الى السلطان عبد الحميد باحمال من سبائك الذهب ـ الاستقصا ج 4 ص II7 ـ

2) نشر المؤرخ كاييى *Caillé* كتابا ضمنه مجموعة المعاهدات والوثائق التى ابرمها سيدى محمد بن عبد الله مع دول اوربا

3) اضطرت كثير من الدول او الحواضر الى خطب ود المغرب والتعاقد معه اواداء جزية سنوية له مثل هامبورغ وبريم بالمانيا علاوة على الدنمارك والسويد

واقتراحات وتصريحات ملكية ومواثيق وعقود الحاقية تنضم بموجبها دولة أجنبية الى معاهدة مبرمة بين المغرب ودولة ما) ومرسوم ملكي (يخـول بعض الدول صلاحيات خاصة) وامر السلطان (كالامر المتعلق بالتجارة الخارجية فـي ميناء طنجة) ورسائل ملكية (كالرسالة التي منحت هولندا حق احتكار التجارة فـي مرسى العرائش)٠

وهكذا نهج السلطان في الداخل والخارج سياسة موفقة تألف بها القلوب ووطد دعائم الدولة ولم يفته دعم النشاط الثقافي بتشجيع العلماء وبناء نحو 30 مدرسة بالحواضر والبوادي وجلب المؤلفات من الشرق والاسهام شخصيا في حركة التأليف والتكوين العلمي فحفظ اشعار العرب مع صحاح الحديث وامهات الكتب تركيزا للملكة العلمية بدلا من الانكباب على المختصرات التي تحجر الفكر ٠

وكان من دعاة السلفية التي تستمد من الكتاب والسنة تلك الاشراقة اللماعة التي تطبع الروح الاسلامية ببساطتها ونصاعتها واوصفائها٠

الفصل الخامس

ثورة العبيد وازمة ولاية العهد

كان وجود العبيد الدخلاء بالمغرب نكبة كبرى مافتئت ويلاتها تنهال على المملكة فتثير الفوضى وتبث الاضطراب وتعرض النظام السياسي لشتى المحن والاهوال وقد عاش المغرب فترات مشرقة منذ قيام الدولة العلوية فى العهدين الاسماعيلي والمحمدى لان الملكين استطاعا قمع نزوات الزنوج الذين كانوا ينهلون من الماء العكر ولايعنيهم مايدهم الدولة من اخطار بسبب دسائسهم وهكذا عرف المغرب سلسلة من الاحداث المزعجة نظرا لاستمرار تلاعب الاجانب بمصير الشعب

فلم يكد يبزغ فجر سنة 1189هـ حتى تمرد العبيد ضد السلطان سيدى محمد بن عبد الله وبايعوا ابنه المولى يزيد وكان السلطان قد شعر بالالاعيب المبيتة للعرش من طرف العبيد فعمد الى القص من جناحهم بتفرقتهم في الاقاليم وامر بنقل الف عائلة زنجية من مكناس الى طنجة فاستعصت ووجه السلطان ولده لقمعها فاغرته بالبيعة وانساق في تيارها وكادت تودى بمقاليد الدولة لولا يقظة انصار الملك من قبائل العرب والبربر مثل الودايا وجروان وآيت ادراسن وقد هب السلطان من حضرته بمراكش للضرب على يدالعبيد ففر ولده الى ضريح المولى ادريس بزرهون حيث انبرى الاشراف يستسمحونه فعفا عنه واستصحبه الى مكناسة واذعن العبيد فسامحهم بشرط الخروج من المدينة وواصل السلطان سياسته الهادفة الى تشتيت شملهم بتوزيعهم على الجهات

دفعا لغائلتهم وتوهينا لعصبيتهم وهكذا اجليت فلول الى طنجة والعرائش والرباط ووزع بعض من كان منهم بهذه الحاضرة على سوس ومراكش وتجمع مع من بقى بالرباط المغربون من مكناسة ونقل بعض قادة الثورة الى المنصورية قرب فضالة بينما اقصى الباقون الى مراكش ولكن العبيد الذين رابطوا بالثغور لم يكفوا عن العيث فابتكر السلطان مسلكا جديدا لقطع دابرهم حيث راوغهم فانتقلوا من طنجة والعرائش الى سوق اربعاء سفيان وصحبهم بجيوشه من قبائل الغرب وبنى حسن فاسترقوهم ووزعوهم شذر مذر وكانت هذه البادرة الملكية زاجرة للمشغبين الذين تابع السلطان تجزئتهم على القبائل ليذوبوا فى غمار العرب والبربر .

وقد استمرت هذه الفتن سبع سنوات (1190 ـ 1196 هـ) ضعفت خلالها المحاصيل وانتشرت المجاعة فرتب السلطان فى كل اقليم بالبادية وداخل كل حومة بالحواضر واجبات غذائية توزع على المعوزين كما اقرض القبائل مبالغ طائلة لانعاش الحرث والسائمة واسقط الجبايات وزود التجار بالمال لجلب الاقوات من اوربا .

وقد نهج السلطان سياسة التهجير حتى مع غير العبيد امثال اولاد ابى السباع وزمران وتكنة ومجاط وذوى بلال وآيت يمور وكطاية وكانت بين هؤلاء قبائل مناصرة مثل جروان التى نقلت من ازغار الى الاطلس وتوجه الامير الى تافيلالت لقمع عمه حسن بن اسماعيل ونقله الى مكناس وهناك مهد اطراف الصحراء قبل العودة الى مراكش من حيث عرج على الصويرة للاستجمام فى قبته الرائعة المبطنة بالديباج والتى تعلوها تفاحة من الابريز وفى هذه الفترة بعث ولده المولى يزيد الى الحج لتنحيته عن الغرب واظهر هذا الفتى من الطيش والنزق خلال مقامه بالشرق ماحدا والده الى التبرؤ منه ومراسلة السلطان عبد الحميد العثمانى وامراء العرب لطرده فمكث يتردد بين طرابلس ومكة نحوا من اربع سنوات الى ان عاد عام 1203 هـ فالتجأ لضريح مولاى عبد السلام بن مشيش وحاول الوالد الحنون مراوغته فتملكه الجزع رغم برد العفو المتوالية وحدا الشوق السلطان وهو فى مرض موته للرحلة بنفسه الى جبل العلم ولكنه توفى بالطريق قرب رباط الفتح (24 رجب 1204هـ)

وكان المولى يزيد محبوبا فى اول امره لفتوته واستقامته وبطولته مما دفع والده سيدى محمد بن عبد الله الى لحظه بعين الرعاية وترشيحه للخلافة ، واسند قيادة المدفعية (الطبجية) والبحرية اليه فصار يتجول فى الثغور للسهر على مناعة ابراجها وكلفه بالشؤون الخارجية والاتصال بالقناصل المرابطين بالمراسى ولكن اندساس الاغمار فى حاشيته سول له الانتزاء على ملك والده فتارجح بين زاوية ابى اسحاق وضريح ابى العباس السبتى بمراكش حيث تعقبه السلطان وانزله بفاس فشن حربا ضد اخيه المولى عبن الرحمن وسط المدينة ولجأ الى زرهون مثيرا الفتن حيثما حل ولكن المجال انفسح امامه بفراغ العرش فبايعه الاشراف وهو بالحرم المشيشى وكذلك اهل جبل العلم ثم تطوان وتوالت عليه الوفود من مدن الشمال (طنجة والعرائش واصيلا) ومن فاس ومكنته حاشية والده بالعرائش من القباب والخيل والرياش التى كانت فى ملك السلطان الراحل فاجزل للكل العطاء ثم توجه الى زرهون حيث استقبل اخاه المولى سليمان الذى ورد مع ركب الصحراء للمبايعة واستقر السلطان بمكناس فتوالت بعثات المهنئين من الغرب والجنوب وانضم الى هذه الكتل حتى المتمردون من أيت اومالو وعلى رأسهم زعيمهم مهاوش وكادت الامة تلتف عن بكرة ابيها حول شخصه فعمد تأليفا لقلوب بعض عناصر الجيش الى الغاء قرارات والده التأديبية حيث نقل الودايا الى فاس بعد ان غربوا عنها ثلاثين سنة وسمح للعبيد المشغبين الذين كانوا موزعين على الثغور بالعودة الى مكناسة وبذلك مكن عناصر الفوضى من التكتل من جديد فى مرابضها بعد ان استأصل والده شأفتها ٠

محاربة الإسبان

ولم يكد المولى يزيد يعتلى اريكة العرش وتنجلى امامه بوادر الوحدة الوطنية حتى اقام ست عشرة قلعة فى نقط استراتيجية جهز كل واحدة بعشرين مدفعا ثم فكر فى استئناف الجهاد ضد الاسبان الذين تفادوا محاربته ووجهوا سفيرهم فى طنجة لتهنئته بالملك فلم يحفل به ولا بهديته وامر باعتقال القناصل والرعايا الاسبان بالصويرة والعرائش واستولى الاسبان فى هذه الفترة على مركبين لقرصان

العرائش وكان السلطان يومئذ بها فهب لمحاصرة سبتة ولكن اسبانيا فاوضته باعادة السفينتين مقابل تسريح الاسرى المنقولين الى طنجة وكانت افواج المتطوعين قد توافدت من الحواضر والبوادى برسم الجهاد وتحرير البلاد ولكن انتقاض اهل الحوز بدعوى عدم تسويتهم فى العطاء مع غيرهم ـ حدته الى رفع الحصار موقتا عن المدينة الشهيدة وكان اهل الرحامنة عنصر فتنة تجلت بوادرها السيئة ايام خلافة سيدى محمد بن عبدالله فى مراكش ثم عاد للسعي فى اقامة لف جديد مع عبدة والحوز لبيعة المولى هشام وزحف مولاى يزيد على مراكش فاحتلها وقتل ثوارها ثم اصطدم مع اخيه هشام الذى استجاش ضده قبائل دكالة وعبدة فاصيب برصاصة مات اثرها بمراكش (جمادى الثانية عام 1206هـ) بعد ان ملك سنتين ٠

مولاى سليمان (1206 ـ 1238 هـ)

وعند وفاة المولى يزيد انبرى ثلاثة امراء يطالبون بالعرش (1) المولى هشام بالجنوب حيث شايعه والى اسفى وقائد دكالة 2) المولى مسلمة بالشمال حيث كان خليفة فبايعه اهل جبالة والهبط 3) والمولى سليمان بفاس ٠

وكان هذا الاخير احب اولاد سيدى محمد بن عبد الله اليه لاسيما بعد ان غضب السلطان على ولده يزيد وذلك لمثاليته وانكبابه على دراسة العلم فى سجلماسة حيث عاش بعيدا عن اسباب اللهو محاطا بثلة من العلماء والادباء استقدمهم والده لتهذيبه من انحاء المملكة وقد التفت حوله عناصر المخزن من عبيد واودايا وبربر انضم جميعهم الى اهل فاس واستقر الامير فى حضرة ملكه بفاس الجديد فهبت قبائل بنى حسن والغرب لتهنئته مع سكان ثغور الهبط الى مصب ابى رقراق ٠

واستغرق المولى سليمان خمس سنوات (1206 ـ 1211هـ) لاستئصال خصومه لاسيما منهم مولاى مسلمة الذى كان له انصار فى رباط الفتح والذى حاول اثارة ايت يمور فزحف اليه السلطان من فاس ثم تعقبه الى الحياينة فانهزم وتخلى عنه اشياعه وطفق يتنقل من الجبل الى الريف الى بنى يزناسن ثم ندرومة دون ان يجد مجالا للاستقرار الى ان انحاز لتلمسان فازعجه عنها والى الجزائر الى سجلماسة

حيث رتب له السلطان منحة شهرية ورغم هذا البرور لم يطب له المقام فتوجه الى الشرق وبقي يتردد فيه الى ان عاد الى تافيلالت ومات بها ٠

وقد استقل المشغبون فى بعض الاقاليم النائية فترة الاضطراب فعاتــوا فسادا فى طرق القوافل كما فعلت انكاد بالمغرب الشرقى مع ركب الحجيج رغم استنفار السلطان كتيبة تحت امرة ابى القاسم الزيانى لقمعها ٠

وقد بادر الامير باسناد القيادة لاخيه الطيب الذى زحف صوب الشاوية (1207هـ) حيث تضافرت قبائل دكـالة وعبدة واحمر والشياظمة وحاحة وغيرها حول هشام فانهزم اول الامر لتخاذل قواده ولكن الرحامنة انقلبت ضد هذا الاخير بدعوى قتله عاملهم وبايعت اخاه مولاى الحسين الذى دخل مراكش (1209هـ) فلجأ هشام الى ضريح ابى العباس السبتى ثم فر الى اسفى وانقسم اهل الجنوب بين مناصر ومخاصم للامير الجديد الذى استولى على قصر الخلافـة واموالـه فتطاحنت قبائل عبدة واحمر ودكالة مع الرحامنة والحوز وانهك هذا العراك العنيف قوى الجانبين وامسك المولى سليمان عن التدخل متريثا الى ان مل اهـل الجنوب هذه الفوضى العارمة فتسللوا اليه ارسالا يستعطفونه وهو معرض رغبة فى البدء باخضاع الشاوية التى هى مدخل الحوز وكان اهلها قد شعروا بسطوته الصامتة فانصاعوا لصهر السلطان ومبعوثه المولى عبدالملك الذى استقر بأنفا حاضرة تامسنا واساء التدبير ثم دعا لنفسه وفـر الى الجنوب امام الكتـائـب السلطانية التى احتلت المرسى وعطلتها ونقلت تجارها الاجانب الى الرباط واضطر السلطان (1208هـ) الى اخماد ثورة الاخماس فى غمارة بتولية اخيه الطيب على الشمال من تطوان الى العرائش فانقاد اهلها بعد عراك كان الظفر فيه للجيش الملكى ٠

واستكمل السلطان فى دعة وهدوء وحدة الوطن باستسـلام الشاويـة والرحامنة ثم دكالة 1211هـ ودخوله منصورا الى مراكش حيث وفد المهنئون من سوس واسفى والصويرة وحاحة فاستخلف السلطان اخاه الطيب وعاد الى فاس عن طريق تادلة بعد ان اعتقل المشغبين من اهل زمور ووجه جيشا الى المغرب الشرقى لاسترجاع وجدة من يد الاتراك محررا بنى يرناسن والمهاية وبقيـة القبائل وكان الوباء قد تفشى بالجنوب (1212هـ) ومات من جرائه اربعة من اخوة

الملك (I) غير انه كان عابرا مالبثت البلاد ان استرجعت ازدهارها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب حيث تم تأمين سبل القوافل حتى فى الفيافى النائية بين سوس ودرعة (عام I2I6هـ) لاسيما بعد قطع دابـر الفلول المتمردة فـى الاطلس الاوسط الريف (2) وتازة ووجدة والصحراء الى تيكرارين وتوات I2I8هـ وقد عقبت ذلك حركات لجمع الجبايات ٠

وادى حيف الاتراك بالجزائر ومطاردتهم للطرق والزوايا (I220هـ) الى مبايعة تلمسان لملك المغرب الذى ابى الا الحفاظ على روابطه الطيبة مع الباى متدخلا للمصالحة بينه وبين التلمسانيين الذين فضل كثير منهم النزوح الى المغرب الزاهر الرغـد ٠

الحرب بين قبائل البربر (1226هـ)

وفي بحبوحة هذه الطمانينة الشاملة شبت فتن بين بربر الاطلس الاوسط بسبب خلافات اقليمية فى ايت ادراسن وكروان ضد أيت او مالواهل جبل فازاز وكانت المعارك سجالا ينحاز خلالها هذا الفريق لذاك واضطر السلطان الى التدخل بعدما استنجدت به ادراسن لجعل حد لهذا التناحر الاخوى ولكن الوالغين فى الماء العكر استغلوا الفرصة لاثارة فتنة عارمة اجج اوارها الثائر مهاوش الذى عاثت عصاباته فسادا وهاجمت السلطان بصفرو ولم تكن هذه الثورة منبعثة ضد شخص الملك ولكن ضد تمسكه بوال أجمع البربر على بغضه لسوء سيرته وهو محمد واعزيز ويظهر ان السياسة الملكية كانت مرنة فى هذا لان السلطان كان فى الغالب يعزل كل عامل تذمرت منه الرعية تحريا للعدل وهكذا اضطر الامير حسما لعوامل الفوضى فى الاطلس ان يعبىء جيشا عرمرما من العرب والبربر زحف به ضد كروان بازرو حيث قرر التراجع فجأة الى ايت يوسى فتعقبه مهاوش واوقع بمؤخرة الجيش الملكى ثم انهزمت الكتائب السلطانية تاركـة خيولها وحمتها من المطاردين كل من ايت يمور وايت ادراسن فاحتـق ذلـك

I) الطيب وهشام وحسين وعبد الرحمن (الاستقصا ج 4ص I38 ويرى طيراس ان من جملة من مات مولاى مسلمة ٠

2) حيث جمع جباة السلطان ضرائب ثلاث سنوات

الاعراب الفارين واشاعوا ان البربر كلهم سواء في الثورة ضد السلطان واظهرت عصابات ابى بكر مهاوش عنصرية حدتها الى محاربة كل من يتكلم بالعربية .

السياسة الخارجية

استغرق المولى سليمان على اريكة العرش نيفا وثلاثين سنة لم يثر خلالها اى مشكل خارجى مع اوربا وقد عزز علاقاته الودية مع الاتراك ومع صاحب تونس حمود باشا على الذى اوفد شيخ الاسلام سيدى ابراهيم الرياحى مبعوثا الى السلطان يطلب امداد الايالة التونسية بالاغذية نظرا للمجاعة الطارئة فاسعفه بذلك .

وقد عقد الامير مع الاسبان مهادنة كانت اكثر تسامحا من الاتفاقية المبرمة بين اسبانيا وسيدى محمد بن عبد الله ولكن رغم هذه الروح الطيبة تحالفت الدول الاوربية ضد السلطان بدعوى : محاربة القرصنة المغربية وقضت على القرصان في تونس وطرابلس بينما انهزمت بالجزائر (1231هـ) وتعهد المولى سليمان للويز الثامن عشر باستئصال القرصنة وقد ضغط عليه نابليون للانضمام الى ماكان يسمى اذ ذاك بكتلة الحصار البرى وهى الحركة التى هدف بها الامبراطور الفرنسي عام 1806م الى اقفال جميع الموانىء في وجه انجلترا وقد هدد نابليون ملك المغرب في رسائل شديدة اللهجة باكتساح افريقيا بمائتى الف جندى ولكن المولى سليمان قابل ذلك بالرفض والبرود غير ان المؤامرات الاوربية استفحلت وتمخضت في نهاية الامر عن اجبار السلطان على التجرد من اسطوله الذى كان يحتوى اذ ذاك على 47 قطعة مجهزة بمدافع وبستة الاف من البحارة المهرة(1) كما اضطر السلطان الى السماح بتصدير الحبوب الى اوربا بعد ان حارب على ذلك قبائل الريف (1227هـ)

استفحال الفوضى وبوادر الازمة

وهكذا كانت الطمأنينة سائدة ولكن فلول المشغبين عكرت صفوها فانبرى السلطان يمهد بجيوشه انحاء المملكة لاستئصال شأفة عناصر الفوضى بالحوز

---

1) كودار ص 156

السلطان بحفاوة واستخلف هذا عليهم المولى عبد الرحمن وزحف نحو تطوان لتهدئتها فوفد اليه اهلها وهو فى الطريق تائبين ولكن ماكاد السلطان يهدىء الشمال والغرب حتى تمرد عرب الشراردة بالحوز بدعوى نهب جنود الامير لزاويتهم وكانت الشراردة ميالة الى مهادنة الملك غير ان حاشية البلاط اوغرت صدر الامير فثارت الحرب وانهزم الجيش السلطانى ووقع الملك فى قبضة الثوار ولكنهم اكرموه ورافقوه فى امان الى مراكش وشعر هو بدسائس الرحامنة والحاشية التى تمخضت عنها هذه الفتنة ومل مسؤولية الملك وابدى رغبته فى التنازل عن العرش لابن اخيه ثم اشتد مرضه من جراء توالى تعسفات المشغبين فامضى العهد للمولى عبد الرحمن وتوفى فى ثانى عيد المولد عام 1238 مبرهنا عن اخلاصه للعرش ومستقبله ٠

المآثر السليمانية

وقد ظل المولى سليمان اثنتين وثلاثين سنة مثالا للفضيلة والحكمة والرفق وقد عمد الى تركيز نظام الدولة على دعائم شرعية فاسقط مكوس الابواب والاسواق(1 واكتفى بالزكوات واعشار المراسى المستخلصة من التجار الغربيين واليهود ويظهر ان التخفيف من الجبايات الاقتصادية ساعد على نمو النشاط الفلاحى فقوى الانتاج وتضخمت الماشية اذا اعتبرنا المظهر المادى لهذه النهضة الاقتصادية وهو النصاب الجبائى الموظف على المنتجين برسم الزكاة الشرعية الذى تزايد بثلاثة اضعافه ٠

وكانت له عناية زائدة بالعلم والعلماء حتى تنافس الشعب فى طلب العلم لما كان يحظى به اهله من نوال فياض وكان يضرب المثل الصالح بمعارفه الواسعة وبسياسة التقشف بمرتبه البسيط واجور كتابه الزهيدة وقد استطاع بمرونته ودعته ان يحقق توازنا موصولا بين العناصر المتنافرة فى المجتمع المغربى وان يحتفظ بعلائقه الطيبة مع الخارج رغم تحرشات الغربيين والواقع

---

1) كانت هذه الجبايات مضروبة على السلع والغلل والجلود والتبغ اى عشبة الدخان وكانت تدر نحو نصف مليون مثقال اى ما يكفى لتسديد نفقات الجيش واللائحة المدنية السلطانية (الاستقصا ج 4 ص 16)

ان قيمة بعض ملوكنا لايمكن ان تقاس بمقياسها الحقيقى الا اذا قورنت بسيرة ملوك معاصرين فى اقطار اخرى (I)

وكان ايفاد ولده ابراهيم الى الشرق فرصة جدد فيها روابط المغرب الوثيقة بالحجاز ومصر والشام والعراق حيث وزعت اموال طائلة برسم المساعدة الاجتماعية وقد صاحب الاميروفد من علماء المغرب ناظروا بعض زملائهم الوهابيين بالحرمين وكتب المولى سليمان رسالة نحا فيها منحى السلفية الصحيحة بالتحذير من الحياد عن المذهب السنى وعدم التغالى فى المراسم الصوفية .

وقد ازدانت حركته المعمارية ببناء مساجد ومدارس وقناطر واسوار ومد الطرق وتعزيز القلاع وتجديد القصور مما اضفى على الفن رونقه التقليدى الاندلسى المغربى .

I) وقد لاحظ الزيانى فى البستان هذه الحقيقة .

الفصل السادس

المغرب والاستعمار الفرنسي بالجزائر

لم يكن المولى عبد الرحمن بن هشام يقل عن عمه المولى سليمان نزاهة وفضلا ودراية ولذلك رشحه للعرش وهب المغرب عن بكرة ابيه لبيعته عام 1238ه وكانت هذه البادرة من الملك الراحل مظهرا حيا لديمقراطية العرش المغربي باختيار الاصلح(1) وقد انصاعت القبائل البربرية الثائرة مثل ايت ادراسن وكروان بعد ان انضم الزعيم الزموري محمد الغازي(2) الى البلاط وحاول المولى عبد السلام بن المولى سليمان الانتقاض فى مراكش لفائدة اخيه عبد الواحد المبايع فى تافيلالت ولكنهما اضطرا للرضوخ امام التيار العام وكان اول عمل قام به الامير الجديد هو توسيع ضريح المولى ادريس الازهر مؤسس اول دولة عربية بالمغرب غير انه شفع هذه الميزة بجولة استطلاعية انتقل فيها من الشمال الى الجنوب للم الشعث وتنظيم ماتبدد من قوى الامة غب الثورات المتلاحقة وقد بادر بالتوجه الى مراكش لعزل واليها المتعسف واقامة اخيه المامون مكانه ومر فى طريقه بمكناسة فوجد صناديق بيت المال فارغة والعبيد قد باعوا الخيل والسلاح فجهزهم

---

1) ولو بتنحية الاولاد وقد كان لذاك صداه العميق فى المغرب العربى حتى قال الشاعر التونسى الشيخ ابراهيم الرياحى فى المولى عبد الرحمن :

لو لم يكن كفؤ لما أوصى به
وبنوه ترفل فى ملابس مجده

2) على اثر تسريح السلطان لشيخه مولاى العربى الدرقاوى سجين الودايا

والصحراء لم تكن لأحد

le désert n'appartient à personne

وجدة

أولاد بن زكري

ouled ben zekri

أولاد علي بن طلحة

كدبات الزرع

من جهة الشرق رعية الترك

مدينة تلمسان

الطابع

المداويز

جبل 1212

ذراع الدوم

يصب في تافنة

se jette dans le Tafna

بني يزناسن

أولاد صالح من كيس

أمسيردة

بقوة جديدة وكانوا فلولا قليلة قد انهكتها الدسائس والغارات بعد وقعة ظيان ثم اخضع ايت يمور لعيثهم فى زرهون الغرب ثم قبائل الشاوية فدكالة حيث نصب ابن عمه محمد بن الطيب بعد ان ولى على فاس وكان قوى الشكيمة ذعرت القبائل لسطوته (وهو الذى جدد بناء منزغان على احدى الروايتين فسماها بالجديدة بدل البريجة والمهدومة ثم انتقل الى الصحراء لجباية الاعشار وبعد أن اخفق فى مهمته بوجدة عين ادريس الجرارى عام 1243 واليا بالمغرب الشرقى الذى كان السلطان يوليه عناية خاصة لمتاخمته لاتراك الجزائر كما ولى ابا زيان الاحلافى على عمالة تازة محاولا تنصيب الولاة والقواد من نفس الاقاليم ترضية للسكان .

وبعد تمهيد الحدود الشرقية واصل الامير حركته الاستطلاعية للتأكد من مناعة الثغور الساحلية فزار تطوان ثم مراسى المحيط الاطلنطيقى من طنجة الى آسفى غير ان انتقاض بعض القبائل كان يعرقل الخطط الملكية اذ لم يكد يصل الى ازمور حتى بلغته تعسفات الشراردة فى الحوز ضد اخيه المولى المامون عامل مراكش فاجلب عليهم بخيل العبيد والودايا وايت ادراسن وزمور وبنى حسن وبنى مالك وسفيان من العرب والبربر الذين اصبحوا يشكلون الجيش ودار العراك سبعة ايام استولى بعدها السلطان على زاوية الشرادى التى كانت رباطا للثوار (1244هـ) .

تمرد الودايا

وكان السلطان قد وجه بعوثا الى تلمسان من بينهم الودايا فعادوا مثقلين بالاسلاب والغنائم المنهوبة معتزمين التمرد مع العبيد ولكن هؤلاء خذلوهم بينما استمر كثير من الودايا فى غيهم فبايعوا محمد بن الطيب وكان المولى عبد الرحمن قد تحصن فى فاس البالى فهب لمحاصرة الودايا بفاس الجديد طوال اربعين يوما مواليا قذائفه من عين قادوس وباستيونات ابى الجنود وباب الجيسة وباب الفتوح فاستسلم الودايا (1247هـ) ونقلوا الى العرائش ثم جبل سلفات بعد ان تم محوهم من ديوان الجيش كما اجلى المغافرة الى مراكش واهل السوس الى الرباط وحوزه (المنصورية وقصبة تمارة) وكان السلطان يكتفى بالزحف الخفيف نظرا لحلمه الذى حداه مرارا الى العفو عن الثوار وكانت الاضطرابات من نوعين فهى تنتج اما رغبة فى خلق الفوضى للعبث والفساد كما وقع لعرب عامر باحواز

سلا وزعير باحواز الرباط (1265هـ) وزمور وتادلا (1269هـ) واما تنافس بعض القبائل فتتمخض عن اصطدامات جهوية وتضطر السلطان الى التدخل لحسم عناصر الفتنة ، فقد انقسم مثلا برابرة الواحات الصحراوية فريقين (1271هـ) فشب العراك بين ايت عطة القوية وايت يفلمال التي انهزمت رغم تشجيع الاشراف المحليين لها وانبرى ابراهيم يسمور داعيا باسم السلطان فاوقع بالعطاويين(1) وكان يشعر ان الانحياش الى البلاط يكسبه قوة معنوية ولكن نشوة الظفر دفعته الى الانتقاض على الامير الذى كان قد ولاه على تافيلالت فتوجه بعث عسكرى لقمعه غير انه اغتيل من طرف احد اقربائه .

السياسة الخارجية

وكان اساس الروابط الدبلوماسية مع اوربا ضمان حرية التجارة اوحل المشاكل القرصنية ، فقد امضى السلطان معاهدة مع سردينية لهذه الغاية واضطر للتدخل شخصيا فى حادث العرائش مع المراكب النمسوية التى سيقت عام 1245هـ الى الرباط والعرائش من طرف قرصان العدوتين لعدم توفرها على الجواز الضرورى لمخرعباب المياه المغربية فقنبل النمسويون المدينة ونزلوا الى البر وشعلوا النار فى المراكب ولكن رد فعل الجماهير كان عنيفا فقتلوا كثيرا من المغيرين وفر الباقون وقد شعر السلطان بضعف جانبه فى الحقل الملاحى فاصدر الامر بالكف عن الجهاد فى البحر لاسيما بعد استعانة الفرنسيين بالانجليز تمهيدا لاحتلال الجزائر على تقنين الحركة الاسطولية غيران تضامن المغرب مع الايالة المجاورة حداه الى خوض معركة قاسية رغم قلة الوسائل (2) كانت انجلترا تحاول فى غضون ذلك تركيز نفوذها بالمغرب لاسيما فى الحقل الاقتصادى وقد تدخلت بين المغرب والنمسة فرافق سفيرها الوفد النمسوى الى بلاط مكناسة (1246هـ) وابرمت فى طنجة عام 1273هـ بين البلدين معاهدة تشتمل على ستة وثلاثين بندا خمسة عشر منها فى توطيد العلائق التجارية وتحديد

---

1) ابراهيم كان زعيما لآيت يفلمال لا ءايت عطة خلافا لما أثبه طيراس (التاريخ ج 4 ص 318)

2) فى عام 1268 هـ قنبل الفرنسيون سلا بدعوى نهب مركبين فرنسيين وكانت القطع ستا مجهزة بازيد من ستين مدفعا فرت كلها فى ظلام الليل (الاستقصا ج 4 ص 202) .

الاعشار الجمركية والباقى لتامين رعايا الدولتين فى كل من البلدين مما ساعد على نمو المبادلات المغربية مع انجلترا التى اصبحت تعمل طوال نصف قرن على مساعدة المغرب فى الدفاع عن كيانه .

وبدات خطة فرنسا تتجلى تدريجيا خلال هذه الفترة وكانت تهدف الى وضع اسس الاستيلاء على مجموع افريقيا الشمالية فقد قلصت الاسطول الوطنى واجبرت المغرب بعد معركة ايسلى على التنازل عما كان يتقاضاه من تعويضات من دول اوربية مثل السويد والدنمارك وها مبورغوبريم واثارت ضد المغرب حربا شعواء لمساندته للزعيم الجزائرى عبد القادر بن محى الدين واستمر العراك العنيف ست عشرة سنة .

حرب الجزائر

استقرت فرنسا فى عاصمة الجزائر آخر محرم 1246هـ (5 يوليوز1830) فبدأ انهيار الحكم التركى ولم تتجاوزالفيالق الفرنسية اول الامر السواحل فاجمع اهل تلمسان على مبايعة المولى عبد الرحمن ووجهوا له وفدا بذلك فتردد ونصحه معظم علماء فاس بعدم القبول لارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية ولكن التلمسانيين الحوا فقبل السلطان بيعتهم ورشح ابن عمه عليا ابن سليمان لولاية تلمسان فجهز فيالق من الخيالة والرماة والمدافع والمهاريس فانحرف الكرغلية الاتراك مع قبيلتى الدوائر والزمالة ولكنهم انهزموا وطاف عامل وجدة لاستكمال البيعة وظل كثير من العرب مخلصين للاتراك بينما انضم البعض الى الفرنسيين بوهران واشتد الخلاف بين القواد والعسكريين الذين انتهبوا امتعة الكرغلية وانصارهم فاستدعى السلطان الجيش .

ويظهر ان الجند الملكى توغل فى الجزائر اذ وصل الى مليانة والمدية مما حدا الدوق دور فيكو *Le Duc de Rovigo* خليفة المريشال كلوزيل الفرنسى الى الاحتجاج لدى السلطان وكان الفرنسيون قد حاولوا السيطرة على الايالة الجزائرية بعد تنحية الاتراك وذلك بواسطة صنائع من الدايات فى المدينة وقسطنطينة ووهران ثم مد الفرنسيون شبكة نفوذهم فى السواحل بعنابة وبجاية ومستغانم فانبرى قادة وطنيون ضد المغير مثل الباى احمد فى قسطنطينة وعبد القادر بن محى الدين

في ناحية معسكر وقد زحف هذا الاخير على وهران فاوقع بالفرنسيين معززا ببني عامر الذين التفوا حوله وتناقل نبأ انتصاره الى اهل تلمسان فانضموا اليه واظهر الامير انقياده للسلطان المولى عبد الرحمن خاطبا به على المنابر فامده هذا بالخيل والعتاد ودارت معارك طاحنة بين الامير الجزائرى والجيش الفرنسى كان الانتصار سجالا حول تلمسان وواصل المغيرون زحفهم فاحتلوا اقليم قسطنطينة ووطدوا الجيش الافريقى على يد الوالى العام بوجو *Bugeaud* الذى شكل فرقا متنقلة انهكت القبائل بغاراتها ولم تكد تبزغ سنة 1275 هـ حتى تم استيلاء فرنسا على مجموع الايالة فصار الامير يتنقل فى اطراف الصحراء الى ان اضطر الى الانحياش للتراب المغربى بوجدة والريف وقد وجد استجابة من الشعب المغربى وملكه للمشاركة الفعالة فى الجهاد ضد المغير وتعللت فرنسا بهذه الامدادات فشنت غارات متوالية على عمالة وجدة وعاثت فى الحدود فهاجم الجيش السلطانى كتيبة استطلاعية فرنسية ولكن بوجو حاول التفاوض مع قائد وجدة رعيا لانجلترا مقتصرا على المطالبة بطرد الامير عبد القادر وضبط الحدود المغربية الجزائرية فى تفنة فقابل السلطان ذلك بالرفض وبادر بوجو بالدخول الى وجدة فانبرت كتيبة بامرة ابن عم السلطان المولى المامون واجلت الفرنسيين فارتدوا نحو مغنية واستنفر السلطان جيشا بقيادة ولده المولى محمد وكان الاسطول الفرنسى قد نقل الرعايا الفرنسيين المرابطين بالثغور وطفق يقنبل طنجة والصويرة ثم تقدم بوجو فاصطدم بالجيش قرب وادى ايسلى صباح منتصف شعبان عام 1260هـ (13 غشت 1844) فالتحم الفريقان (1) وكان السلطان قد غير سحنته فى المعمعة فحسب الجند انه هلك وماج الناس وعمد بعضهم الى خباء السلطان فانتهبوه وتناحروا على الاسلاب وفر الكثير فاستشعر السلطان بالهول بعد ان تشتت الجيش الذى منى بهزيمة منكرة بعد بضع ساعات بسبب سوء القيادة ورداءة التنظيم وقلة الضباط والجنود المحترفين وانانية الانتهازيين فتراجع السلطان الى تازة وعمد الى جمع شتاته لان انهزامه فى معركة لم يفل من عزمه ويظهر ان انجلترا ضغطت على فرنسا فلم تستغل انتصارها لاقتطاع جزء من المغرب ولكن السلطان اضطر الى امضاء معاهدة طنجة فى نفس السنة (1260هـ)

---

1) مابين 30.000 و 40.000 من المغاربة وأحد عشر الفا من الفرنسيين مجهزين بالعتاد ومعززين بحرا بالاسطول .

او IO شتنبر 1844) نفذت بمقتضى معاهدة لالة مغنية(18 شتنبر 1845) فالتزم السلطان باجلاء الامير عبد القادر وتقررت الحدود المغربية الجزائرية(1) فى خط يمتد من البحر الى ثنية ساسى الى الاطلس الصحراوى ٠

مصير الامير عبد القادر

وتتحدث مصادر مغربية عن طموح الامير عبد القادر بعد هزيمة ايسلى الى احتلال المغرب ومكاتبة فاس وزحفه الى القعدة الحمراء بين التسول والبرانس ولعل الامير انما اراد ان يتخذ من المغرب الشرقى قاعدة لعملياته العسكرية ولكن حركته اتسمت بشكل احتلال مما اضطر السلطان الى بعث ولده محمد على رأس جيش قوى لصد هذه الغارة فهبوزير الامير للاعراب باسم الزعيم الجزائرى عن ولائه للعرش المغربى ودحض ما اذيع من ادعاءات ومما يؤيد اندساس عناصر مثيرة :لاستغلال سوء التفاهم بين الجانبين انه فى نفس الوقت الذى وجه الامير وفدا الى المولى عبد الرحمن بفاس لتقديم مراسيم الطاعة عمد الى مهاجمة الجيش المغربى فتاججت معركة عنيفة فر أثناءها عبد القادر الى مشرع الرحائل من مصب وادى ملوية وتعقبه محمد بن عبد الرحمن الى الحدود حيث اضطر الامير بعد ان انسدت فى وجهه مصاريع الصحراء الى الاستسلام للجيش الفرنسى (عام 1263-1847) ٠

❀ ❀ ❀

ومرت ثلاث عشرة سنة استغرقها السلطان فى تهدئة البلاد ودعم الثغور وكان آخر ماكلل به هذا التجهيز العسكرى ان استقدم من انجلترة مركبا مثقلا بالعتاد الحربى ثم توفى بمكناسة فى 29 محرم 1276 هـ ٠

وقد ملك هذا الامير المغرب فى فترة عصيبة من تاريخه عرف بحزمه وحكمته كيف ينقذ خلالها الوطن المهدد من كوارث خطيرة كما استطاع بورعه

---

1) كانت الحدود فى عهد الاتراك مغايرة كما يتبين ذلك من خريطة وضعت عام 1256 بامر من مصطفى ابن اسماعيل الجزائرى الذى تزعم قبائل الزمالة والدوائر ووالى الفرنسيين وملكهم البلاد ٠

وحلمه ان يكفل استمرار الهدوء النسبى ووحدة البلاد رغم تضافر عناصر الفوضى وتسرب الدخلاء •

وقد تقلص الخلل الاقتصادى بفتح ديوانات فى المراسى اغنت عن احتكار التجارة الخارجية واقيم امناء لمراقبة المداخيل الجمركية واصبح المغرب يصدر الى اوربا فائض منتجاته حيث وجه عام 1260 عن طريق ميناء الصويرة وحدها خمسة وسبعين الف طن من القموح والقطانى وبلغت قيمة رواج هذا المرفأ التجارى عام 1267 هـ ستة ملايين فرنك •

وفى اواخر عهد المولى عبد الرحمن ازدهرت الصناعة التقليدية وكانت سلا والرباط تحتلان الصف الاول بعد فاس ومراكش من حيث ضخامة الانتاج(1) وقد توفر المغرب حسب الاحصائيات الصادرة فى السنة التى توفى فيها المولى عبدالرحمن على ثمانية واربعين مليون رأس من الغنم وستة ملايين من البقر (2) وهذه ثروة اقتصادية لاباس بها اذا اعتبرنا ان المغرب اجتاز فى هذا العصر فترة سياسية عصيبة •

---

1) انتجت مصانع العدوتين فى عام واحد 840 زربية صدر ثلثها الى الخارج و63.000 حايك و 460.800 منديل والاف المياتر من المنسوجات وكان فى منصب ابى رقراق 150 معملا للاحذية و 40 دارا للدباغة وعشرة مراكز للصباغة وثلاث دور لضرب السكة تقوم بتذويب تسعة قناطر من المادة الاولية يوميا (مظاهر الحضارة للمؤلف ج2ص30) •

2) كتاب « قضية المغرب » للسيد لامارتينيير الصادر فى نفس السنة اى عام 1859م وقد اكد المؤرخ كودار (ص 188) ان هذه الثورة بلغت حينذاك 40 مليون راس غنم وما بين 10و12 مليون معز و 6ملايين راس بقر و5 ملايين من الجمال والافراس والحمير والبغال •

الفصل السابع

محمد الرابع

عين السلطان سيدى عبد الرحمن بن هاشم ولده المولى محمد وليا للعهد كما استخلفه فى حياته وفوض اليه قيادة الجيش ينوب حيثما غاب الملك فاذا كان والده بمراكش استقرهو بفاس اومكناسة او العكس وقد صادف حسن الاختيار نظرا لما اتسم به الامير الفتى منذ صباه من اتئاد واستقامة ودراية وكان سيدى محمد بمراكش عندما مرض والده بمكناسة فهب لعيادته وبلغه نعيه وهو على مرحلتين من الحمراء فبايعه الشعب بفاس ومكناس ثم مراكش ٠

والتف المغرب حول ملكه الجديد ولم يكدر صفو هذا الاجماع سوى المولى عبد الرحمن بن سليمان الذى زحف نحو فاس مع طائفة من العبيد والبربر فاضطر امام انتفاضة شراكة الى الفرار والقبوع خاملا بزاوية العياشى ٠

وكان هدوء نسبى يسود المغرب وتضخمت المبادلات التجارية مع اوربا فاسفرت عن ارتفاع ثمن العيش وانخفاض قيمة العملة (1)التىعجزتعنمنافسة

---

1) ظهرت هذه البادرة منذ سنة 1261هـ حسب صاحب الاستقصا (ج4ص198) الذى اكد ارتفاع الاسعار على اثر انعقاد الصلح مع فرنسا والغاء الجزيات التى كانت تؤديها دول اوربية الى المغرب وتهافت السلع على المراسى بسبب تنازل الدولة عن احتكار التجارة الخارجية ٠

العملة الاوربية حيث غمرت المراكز التجارية بالثغور وراجت المضاربات النقدية بين المغرب واوربا .

وقد شعرت الامة بالخطر الذى يهدد الكيان الاقتصادى القومى من جراء حرية التجارة الخارجية وانطلاق التنافس بدون مراقبةولا حماية للمقومات الوطنية فنشأ عن هذا الخلل تبرم عام ضد الاجنبى لاسيما وان الاسبان بدأوا آنذاك يبذرون نواة لتوسيع شبكة نفوذهم فى الشمال فاحتلوا الجزر الجعفرية واقاموا الابنية فى الحدود بين سبتة والانجرة بدل الاكواخ الخشبية فهدمها الجمهور الذى واصل غاراته على سبتة واهان الراية الاسبانية وقد تدخل ممثل اسبانيا بطنجة فطالب نائب السلطان محمد الخطيب بتسليم اثنى عشر رجلا من الانجريين وتدخل الانجليز لاقناع الخطيب بتسليم هؤلاء ضامنا عدم وقوع اى مكروه لهم فثارت ثائرة اهل انجرة ووسطوا الشريف مولاى عبد السلام الوزانى لدى السلطان وكان المولى عبد الرحمن قد توفى فى غضون ذلك فقرر السلطان بعد استشارة حاشيته اشهار الحرب على اسبانيا لارغبة فى الجهاد ولكن تحاشيا لتسليم رعاياه الى الخصم .

حرب تطوان

وقد ابرق السلطان الى الثغور للتاهب للجهاد وامدها بالمال والعتاد ووجه طلائع الى ارباض تطوان قبالة سبتة لا يتجاوز عددهم ستمائة وانضاف اليهم من انجرة والقبائل المجاورة واطراف البلاد نحو خمسة الاف واجهت خمسين الف جندى اسبانى (I) تحت قيادة الجنرال اودونيل وبريم واستمر العراك نصف شهر بين زحف هؤلاء فى صفوف متراصة وكر اولئك وفرهم على عادة العرب ثم عزز السلطان هذه القوة باخيه المولى العباس على رأس خمسمائة فارس وبعد خمسة وعشرين يوما كلها مناوشات قام الاسبان بهجوم عنيف صمدت له الكتائب المغربية ولكن الجيش الاسبانى الذى كان معززا بالاسطول زحف عن طريق الساحل الى الفنيدق فتقهقر المولى العباس فى غير ترتيب ولا انضباط

I) عشرون الفا حسب صاحب الاستقصا (ج 4 ص 2I4) ثم عززت بنحو خمسين الفا اخرى (ص 2I8)

الى مجاز الحجر يغير بدون نظام ولا دراية عسكرية ولم يعرف كيف يستغل الزوابع والامطار التى هطلت فى هذه الفترة فتشجع الخصم واتجه نحو تطوان وكان وفد من التطوانيين قد ورد على السلطان بمكناسة لاستنجاده ضد الخطر الداهم فوعدهم بالمدد القوى ولكن الامدادات التى كانت تترى على الاسبان من سبتة برا ومن الاسطول بحرا فسحت امامهم مجال احتلال برج مرتيل ثم الاغارة على تطوان بفرقتين مسلحتين بالمدافع وقد صمد التطوانيون امام هذه الهجمات الشديدة وعززهم السلطان بكتائب جديدة بامرة اخيه المولى احمد ولكن الجيش الاسبانى كاد يحدق فى زحفه الموصول بالجيش السلطانى فانجلى العباس الى مؤخرة المدينة مارا بوسطها حيث استاذنه الناس فى التحصن بالجبل واستغل الانتهازيون من رعاع القبائل المجاورة هذا الاضطراب فامتدت ايديهم فى النهب والتناحر على الاسلاب الباردة فاضطر اهل تطوان امام هذا الخلل الصارخ الى فتح ابواب المدينة فى وجه الجنرال الاسبانى الذى دخلها يوم الاثنين 13 رجب 1276هـ (5 يبراير 1860) حيث عاث فسادا واحال مساجد الى كنائس ثم دارت محادثات بين اودنيل والعباس لاقرار الصلح فرفض السلطان الشروط الاسبانية واغارت الجماهير على معسكر العدو ونكلت بجنوده فى ليلة حالكة وتصدى الجيش الاسبانى لقمع الكتائب المغربية فصادف فى بوصفيحة عرب الحياينة الذين هبوا مع مآت المتطوعين لايقاف زحف الاسبان وفتوا فى اعضادهم وامعنوا فى تقتيلهم ولكن الخصم ظل يواصل سيره لاتوقفه هذه الصدمات العابرة التى لم تكن سوى انتفاضات غير منظمة للذب عن حوزة الوطن المهدد وكانت الجماهير تستميت فى الدفاع ولكن بدون جدوى لعدم انضباط القوات المناضلة التى كانت عناصر منها تنسل اذا حمى الوطيس وتجدد التفاوض بين الطرفين للصلح بعد ان تدخلت انجلترا التى خشيت زحف الاسبان على طنجة وابرمت المعاهدة فى اواخر شعبان عام 1276هـ شريطة ان يدفع المغرب عشرين مليون ريال وتتسع منطقة نفوذ الاسبان بسبتة وظل الاسبان محتلين لتطوان مدة سنة ادى السلطان خلالها نصف الغرامة واقيم مندوبون اسبان فى المراسى لاقتضاء الباقى من موارد الديوانة فتم الجلاء عن تطوان (فى ثانى ذى القعدة سنة 1278 ـ مايه 1862م) بعد احتلال استمر ازيد من سبعة وعشرين شهرا ٠

وقد كانت هذه الهزيمة الشنعاء فاتحة التدخل الاسبانى فى الشمال وعاملا حدا السلطان الى التفكير بجد فى ترتيب النظام العسكرى على اسس

جديدة عززها مولاى الحسن بعد ذلك بنظم طريفة تبعا للمقتضيات المستحدثة فقد كان جيش المشاة الذى استمات فى حرب تطوان غير نظامى فاصبح لكل قبيلة طابور يبلغ عدد رجاله ثلاثة الاف اواقل حسب اهمية القبيلة اذ كانت كل عائلة تسهم بفرد من اعضائها وربما تضخم الطابور فى القبائل الكبرى فاصبح عبارة عن «الاى اوفيلق اما معدل الطابور العادى فهو خمسمائة جندى بامرة قائد الوحى الذى كان له مساعد اشبه بالليوتنان كولونيل وكل رحى تنقسم الى سرايا من مائة رجل يشرف عليها قائد المائة الذى شبهه البعض بالقبطان والمائة تتوزع بدورها الى جماعات يتركب كل لفيف منها من اثنى عشر جنديا على راسهم مقدم او نقيب عسكرى (سوزوفيسيى) ولم يمنع ذلك من الاستعانة بالمتطوعين عند الحاجة اما فى الحواضر فقد اتسم الطابور بميزة خاصة اذ كان رجاله يناهزون الالف والخيالة الذين بلغوا احيانا عشرة الاف كانوا موزعين ايضا الى طوابير هى عبارة عن كوكبات تتركب من ستمائة فارس وكتائب الخيالة هذه لاتتدخل فى العمليات الحربية الا عند الاقتضاء فى حين ان الرجالة كانوا دوما على ساق لمواجهة الطوارىء ولم تكن كتيبة الفرسان تعدو فى فترات الهدوء خيالة الدرك او الحرس الموزعين على مختلف المراكز العسكرية (400 فارس فى كل قلعة من الاثنتين وتسعين قلعة المؤسسة فى عهدى المولى اسماعيل والمولى يزيد) وقد عززت المدفعية (الطبجية) باعتدة قوية من مهاريس ومدافع ومجانيق وقذائف مختلفة .

السياسة الخارجية

وقد اضطر السلطان الى طبع سياسة الدولة الخارجية بطابع جديد استجابة للوازم العصر فاتخذ من طنجة عاصمة دبلوماسية استقر بها مندوبو الدول الاوربية وكان المشرف على الدبلوماسية المغربية هووزير البحر الذى كان باشا طنجة يقوم بصلة الوصل بينه وبين السفراء الاوربيين عدا القضايا الهامة التى كانت تقتضى انتقال البعثة الدبلوماسية الاجنبية الى فاس وقد بدأ المغرب يشعر بضغط انجلترا التى كانت تقف احيانا فى صف البلاط فتشجعه على الصمود فى مواقفه اللهم الا اذا تواطأت النيابات الاوربية بطنجة .

وكانت علائق المغرب ودية مع انجلترا الا ان استفحال الحمايات حدا يهود

المغرب الى طلب وساطة التاجر اليهودى البريطانى روتشيلد لدى السلطان من اجل ضمان حريتهم فأصدر الامير تطييبا لخاطر الانجليز ظهيرا عام 1280هـ لم يزد فى الواقع على ماكان اليهود يتمتعون به قانونيا بمقتضى نصوص الشريعة الاسلامية فى خصوص الذميين ولكنهم تطاولوا لاسيما فى المراسى فنشر السلطان مرسوما جديدا هدد فيه المشغبين واكد كفالته للرعايا المخلصين من اليهود وفى هذه السنة امضيت اتفاقية مغربية فرنسية لتنظيم حق الحماية والسماح لكل دار تجارية فرنسية ولكل فرع من فروعها باتخاذ موظفين مغربيين على ان العملة المغاربة الذين يستخدمهم الفرنسيون لم يعد من حق العدالة متابعتهم قبيل اعلام السلطة القنصلية وبذلك انفتح مجال خطير للتدخل اليومى فى شؤون الدولة المغربية وقد توجهت عام 1282هـ بعثة مغربية الى باريس مؤلفة من قائد الجيش محمد بن عبد الكريم الشرقى وعامل سلا محمد ابن سعيد فحظيت بحسن الاستقبال وقد شارك المغرب فى معرض باريس الدولى عام 1284هـ(1867م) الذى نظمه نابليون الثالث بالمنتجات المغربية من سروج ومناطق وقطائف وانواع الزليج وسائر المصنوعات التقليدية مع فوج من الخبراء والصناع فى مختلف الحرف

وقد ظل الفكر العام مع ذلك حذرا من تطور هذه العلائق مع اوربا لان اعتداء اسبانيا على التراب المغربى وقبلها فرنسا فى قضية الجزائر اذكت حماس الجماهير ضد الوجود الاجنبى بالمغرب لاسيما وان نمو المبادلات التجارية ادى الى تضخم الاسعار والى ازمة مالية (1)

السياسة الداخلية

وقد اهتم سيدى محمد بن عبد الرحمن منذ كان خليفة لوالده بمراكش بالاصلاح الفلاحى فحقق منجزات فى الرى واصبحت اراضى الرحامنة فى الجنوب حدائق مخضرة وجنانا مزهرة وقد استدعى الامير الشاب قبل وفاة

---

1) هذه الازمة المالية توازت مع ادخال تعديل جديد على قيمة العملة المغربية عام 1285هـ واتخاذ مقياس للمعاملات هو المثقال وثمنه عشرة دراهم بالوزن الشرعى لهذا النقد على اساس ماكان تقرر عام 1180هـ اول الدولة العلوية (الاستقصا ج 4 ص 231)

والده بسبع سنين خبيرا فرنسيا (I) الى مراكش وكلفه بجلب الات فلاحيـــة وادوات علمية فوصلت بالفعل الة حراسة يجرها اربعة افراس اشرف الامير بنفسه على تركيب اجهزتها وقد اسهم الامير فى طبع الحضارة المغربية بميسم جديد حيث جلب ادوات علمية مستحدثة من ساعات فلكية ومجاهر وكان مظهرا حيا للاناقة يلبس القفاز والجوارب والزى الاوربى كما كان ملما باللغة الفرنسية وقد ارتأى قبل معركة ايسلى ضرورة محاربة فرنسا بسلاحها واستخدم احدث الطرق فى المناورات العسكرية والعتاد الحربى فاسس فيلقين من ثلاثة الاف جندى نظامى بقيادة ضباط حاربوا مع عبد القادر فى حرب الجزائر وقد اتصـــل بعلماء بلجيكيين واسس مراصد فلكية بمراكش وفاس وكانت حاشية الملـــك منكبة على دراسة العلوم الرياضية وقد اضفى اهتمام الامير بالفلاحة والعلوم على البلاد طابعا علميا اكثر منه حربيا رغم الظروف القاسية التى عاشها المغرب اذ ذاك على ان الاسبقية اعطيت للاصلاح الزراعى بتجديد حفر القنوات ونقب الابار على الطريقة العصرية والتفكير فى تاسيس مصانع منها مصنع الجوخ (نوع من النسيج الصوفى) وكان القطن يغرس بالمغرب فى النواحى التى لاتعلو كثيرا عن سطح البحر وحول المدن الكبرى وقد شجعت انجلترا رعاياها القاطنين بالمغرب عام I864م (2) على زرع القطن فى ناحية الجديدة فانتجت دكالة وحدها عام I865م نحو اربعمائة قنطار قيمتها مائة الف فرنك ذهبى اى ازيد من عشرين مليون فرنك تقريبا بالصرف الحـــالى وهو مبلـــغ مهـــم اذا قيـــس بمجمـــوع الصادرات التى بلغت قيمتها اثنين وعشرين مليونا اى ازيد من اربعة ملايير فرنك وكان هذا القطن نوعين معروفين فى اوربا «سى ايسلاند» لهما سدى

I) هو القنصل لوكونط دووسكواط الذى حدثنا عن دقة دراية الامير وحصافة فكره والمامه بمعطيات السياسة الاوربية وقيامه بتعريب بعض الكتب العلمية مثل كتب نيوتن فى علم الفلك على يد ترجمان انجليزى من مالطة اعتنق الاسلام وقد اكد ذلك عام I87Iم وزير فرنسا بطنجة م . طيسو .

وحتى بعد ان اعتلى الامير اريكة العرش ظل منكبا على دراسة العلوم لاسيما ما يتصل منها بالفنون العسكرية حتى قال كل من فرانسوا شارل رو وكذلك كاييى بان هذا الملك اخترع مدفعا

2) حسب تقرير كتبه نائب القنصل الفرنسي بالدار البيضاء تيودور جيلبير (راجع النشرة الاقتصادية الاجتماعية المغربية 5I)

حريرى طويل من الطراز الامريكى الذى تقبل عليه اوربا وكانت مصانع محلية تنقى القطن الخام بواسطة الالات ٠

وقد اهتم الامير كذلك بزراعة قصب السكر وحاول استقدام اختصاصيين مصريين لتصفية هذه المادة فى مصنع اكدال بمراكش (I)

ولو لم تستعر الحروب مع فرنسا واسبانيا لانبثق عن عهد محمد الرابع ازدهار كان من شأنه ان يغير اتجاه المغرب الحضارى ومكانته الدولية وحتى الثورات الداخلية كانت لها صلة بهذه الحروب فالجيلالى الروكى قد ثار خلال الاصطدام باسبانيا وهو من عرب سفيان بالغرب (ناحية كورت) وتقدمت الاوباش المنضمةاليه بالعصى والمقاليعفقتلت القائد عبدالكريم الحارثى وجماعةمن ذويه ونهبت دورهم وقد افتتنت العامة بهذا الثائر لما كان يختلقه من خوارق ويضمنه لها من حصانات فى العراك فوجه السلطان اخاه المولى الرشيد وقمع الثورة بسهولة ونقل الاسرى الى الرباط ولجأ الروكى الى الحرم الادريسى بزرهون حيث قتله شريف علوى بعد ان احتز رأسه ويديه وعلقت بجامع الفنا بمراكش زجرا للمشغبين ٠ وخلال اشتغال السلطان بمحاربة الاسبان كذلك ثار عرب الرحامنة بالحوز فانتهبوا سوق الخميس بمراكش وجردوا الجنان والحقول واغتصبوا المحاصيل وسلبوا القوافل وقطعوا الطرق وحاصروا المدينة ولم يكد السلطان ينفض يده من حرب تطوان وقمع الروكى حتى هب للايقاع بالرحامنة فسيقوا مكبلين الى سجون الحمراء وحملت رؤوس قادة الثورة على اسنة الرماح الى الساحات العمومية بفاس عام I278هـ)٠

وبهذه الانتفاضات الزجرية عم الهدوء وانتشر الامن والرخاء رغم ماعاناه الشعب فى البداية ورخصت الاسعار وارتفع مستوى الحياة وتباهى الناس فى اقتناء الدورة والعقار والمراكب الفارهة والكسى الرفيعة لاوذخائر النفيسة (2)

I) الاتحاف لابن زيدان (ج 3 ص 556)

2) الاستقصا (ج 4 ص 233) حيث اكد الناصرى ان الناس « تانقوا فى البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لاسيما بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية وكان للسلطان سيدى محمد فى كل بلد عيون يكتبون له بما يقع من الولاة فمن دونهم فكانت الرعية كأنها فى كف يده » ٠

الفصل الثامن

الحسن الأول

لما توفي محمد الرابع خلفه ولي عهده الحسن الاول الذي برهن عن شهامة وفضل واتزان عندما كان خليفة لوالده ٠ وقد وافاه النعي وهو بحاحة فبايعه الناس في مراكش (رجب 1290هـ) ثم توالت الوفود من جميع الاصقاع فاجزل عليها نواله وجهز جيشه وهب في اول رمضان للقيام برحلة عبر المغرب لتوطيد الامن مارا بطريق السراغنة حيث بلغه تمرد ازمور ثم انتقاض فاس لمطالبة رجال الحرف وفي مقدمتهم الدباغون باسقاط المكس فتكفل العلماء والاعيان بذلك جمعا لكلمة الناس على المبايعة فانعقدت ولكن الجبايات استمرت في الاسواق والابواب فثارت الجماهير وتنصل الفاسيون من المسؤولية في رسالة وصلت الى السلطان وهو بتامسنا فواصل سيره نحو الرباط حيث استقبل وفود المغرب في تهانيء العيد في ضمنهم اهل ازمور الذين اقتص من مشغبيهم وهنالك قام المولى عبد الكبير بن عبد الرحمن بن سليمان في عمالة فاس فاسر وزج بـه في السجن وعرج السلطان على بني حسن حيث اوقع باهل العيث منهم ثم دخل زرهون ومكناسة واصطدم ببربر الاطلس الاوسط فهزم بني مطير وايت يوسي وانتهى الى ما وراء الحاجب فاستقبله اهل فاس بحفاوة ولكن اصرار الدباغين على مطالبهم وتنكيلهم بالمخالفين واطلاقهم الرصاص على فاس الجديد حـدا السلطان الى حصار فاس البالي واقتحام الاسوار غير ان انطلاق الجند في النهب

والعيث اثار موجة من السخط عرف السلطان كيف يلطف لاواءها بالعفو العام 1291هـ ولكنه اضطر الى عزل عامل فاس السراج وتعيين قائد بخارى وتجديد نظام الجيش ·

الجيـــــش

عمد الحسن الاول صونا لحوزة البلاد ووحدتها الى تجهيز القبائل بالعتاد العسكرى وتكديس الاسلحة المختلفة بفاس وقد سبق لوالده محمد الرابع ان اسس معملا للبارود بمراكش واقام باشقار قرب طنجة برج المنار لتوجيه السفن المغربية والاجنبية فى الاطلنطيك وقد سلك المولى الحسن نهجا مرنا فى مدافعة الدول بعضها ببعض وضمان توازن يهدف الى الحيلولة بينها وبين اى تدخل فى شؤون البلاد فاسند الى ضابط انجليزى قيادة احد الفيالق والى بعثة من الخبراء الفرنسيين التدريب العسكرى للجنود واناط بضباط ايطاليين ادارة مصنع الاسلحة بفاس وكلف مهندسا المانيا ببناء برج بالرباط وكان السلطان يشهد بنفسه تدريب الجيش كل يوم اثنين فى مشور ابى الخصيصات بفاس ويستعرضه كل اربعاء وقد كانت لفرقة الطبجية عشرون بطارية من نوع كروب وشنايدراومن نوع رشاشات «ماكسيم» واستخدم المشاة البنادق مـن طـراز «شاشبو» او غيرها المصنوعة بفاس على وتيرة خمس فى اليوم·

وكان السلطان يطوف بالثغور لتفقد ابراجها واسوارهاويسهم شخصيا فىالرماية المدفعية مراقبة منه وتشجيعا وقد زار منذ السنةالثانية منولايتهمراسى الجديدة وازمور وانفا او العدوتين فى مصب ابى رقراق ·

تهدئة المغرب

وقد ثارت عدة قبائل فى كثير من سهول المغرب وصحرائه والاطلس استجابة لعناصر لم تكن راضية عن الوضع وكثيرا ما كانت النزعات تتساوق لان التحلل من الجبايات كان يغرى الكثير بالانضمام الى المشغبين رغم تعلقهم بالعرش وانكارهم للفوضى ·

وهكذا بدأ السلطان بتوطيد الامن فى أيت سغروشن وبنى سادانواستكمل

ذلك عام 1305هـ باخضاع جميع قبائل او مالو باستثناء أيت شخمان ثم قمع عناصر من غياثة كانت في عمالة تازة فالزمها اداء مانهبته علاوة على الاعشار وهنالك سيق اليه ابوعزة الهبري فسجن بفاس وانتهى المطاف بالامير الى حدود المغرب الشرقي .

وكان السلطان يستغل فترة الشتاء للاستجمام بفاس وجمع اشتات الجيش وتجديد جهازه والقيام ببعض المنجزات العمرانية كبستان امنة بفاس الجديد والدار الكبرى بازائها تركيزا للمآثر الفنية والمظاهر المعمارية الرائعة من نقوش وتسطيرات ورفيع الفرش والقطائف ولكن جفنه لم يكن يغمض عن التشغيبات التى ينبثق اوارها هنا وهناك من ذلك تلبيته لرغبة سكان عمالة وجدة بضمها الى عمالة تازة وثورة العامل المعزول ازاء هذا القرار ثم قيام الكنتافي (1) في جبل تينمل ضد القائد الذى اغرى السلطان بمحاربته رغم تمسكه بالبيعة وهذه من بواعث الفوضى العارمة التى كانت تنخر كيان المغرب لاسباب تافهة وكان الشعب غالبا بمعزل عن الخوض فى هذا الاضطراب الذى يثيره انتهازيون يثورون كلما خلا الجو بوفاة امير او بضعف جهازه العسكرى فتتجدد بذلك الثورات بشكل رتيب وفى نفس الاقاليم فمن ذلك انحراف طائفة من الرحامنة وزمران واولاد ابى السباع وعيثهم فى الحوز مما اضطر السلطان الى قمعهم وكذلك تطاول غياثة على تازة ثم لجوءها الى الجبل حيث اقتحم السلطان بنفسه حصونهم الاطلسية واستاصل شأفة الفوضويين بعد عراك عنيف وكان بنويزناسن ينهبون وجدة وارباضها فاسترد الجيش منهم المظالم واقيم الامن والنظام فى هذه الناحية التى كانت تعتبر من الثغور الاستراتيجية بين الجزائر المحتلة والمغرب وقد عاد الحسن الاول الى العاصمة الادريسية بعد غياب طويل (رمضان 1293) لاستيناف تاسيساته العمرانية بفاس ومراكش ومكناسة ولكنه مالبث ان اصدر اوامره للاستعداد من جديد لجولة تفقدية عارمة فاستصدر من معمل الحمراء 1.620 بندقية و410.000 رصاصة وعشرة قناطير من البارود ومائة قنطار من ملح البارود ومدفعين اثنين علاوة على الاجهزة العسكرية العادية ثم حشد بمكناسة العسكر المرابط فى الثغور والقلاع بالسهل

---

1) ورد بعد ذلك على السلطان مستأمنا فعفاعنه وولاه على تينمل .

والجبل وزحف نحو زمور والسهول وزعير ثم بني عمير وبني موسى ثم (عام 1296 هـ) ايت عتاب وبنى مطير قطاع الطرق والذين هزمهم السلطان واسترد مظالمهم وحملهم مسؤولية الامن فى عمالتى فاس ومكناس وكان يستنزل الفارين الى الاطلس ويؤمنهم حسما لتلك العقدة النفسية التى كانت من بواعث الخلل والانتقاض بالاضافة الى ثقل عبء الضرائب على البدو الذين يلتحقون برؤوس الجبال تفاديا من تعسف الجباة وهكذا ظل مشكل التوازن الاجتماعى والاقتصادى عاملا قويا فى عدم الاستقرار بالمغرب وفى انبثاق مايسمى ببلاد المخزن وبلاد السيبة .

واستكمالا لحركات التهدئة هب السلطان (عام 1298 هـ) نحو مراكش من حيث توجه فى العام التالى الى سوس ونقلت المؤن على ظهر السفن من الجديدة والدار البيضاء لارفاق الجيش وكان قصده هذه المرة ان يقف بنفسه على جنوب المغرب حسما لمطامع الاسبان الذين كانوا يرغبون فى احتلال ايفنى بمقتضى معاهدة تطوان زعما منهم بانها هى المركز التجارى الذى اغتصبوه قديما وسموه بسانطا كروزا وقد رتب السلطان بهذه المنطقة الحاميات والعمال واحال مرفا اسكا الى مرسى تجارية واقام بتزنيت قيادة جيش الجنوب واستمر ذلك الى عام 1303 هـ حيث زحف الامير نحو الصحراء لقمع الثوار الذين تواطأوا مع الانجليز بين ماكنزى وكورتيس لبناء مركزين تجاريين فى طرفاية وايت باعمران فطمس هذه المعالم الاجنبية غير ان حكمة السلطان حدته الى مسالمة الشريف التزروالتى مولاى الحسين الذى انخلع مع الثوار وانبرى كقائد للسلطان لاقصاء ماكنزى عن طرفاية بعد ان عاد اليها .

وانتهى مطاف السلطان فى تسع عشرة حركة الى تافيلالت عام 1310 هـ فمهد الواحات بعد ان وطد بعض النواحى الواقعة فى الملوية العليا والاطلس الاوسط (غريس) وقصر السوق ووادى زيز وقد انصاعت قبائل الجبل وادت الجبايات مما حدا السلطان الى التعجيل باوبته بعد نصف شهر مارا بتدغة وورزازات والاطلس حيث كان قواد كلاوة يشكلون لفا تحت راية السلطان شرقى الاطلس مع متوكة فى غربه وكندافة فى وادى نفيس .

السياسة الخارجية

وقد احتفظت انجلترا بامتيازات اقتصادية فنمت مبادلاتها التجارية مع

المغرب لاسيما وانها كانت توالى دفاعها عن كيان المغرب منذ معركة ايسلى التى عقبتها احتكاكات مع فرنسا فى حدود الجزائر وقد انبثقت اطماع دول اوربية أخرى مثل اسبانيا التى صارت تحلم باحتلال مقاطعات مغربية واستعــرت (عام 1310) معركة عنيفة بين اهل الريف والاسبان من مليلية نظرا لتطاول هؤلاء على مساحات وراء الحدود فاضطر السلطان حسما للنزاع والتدخلات الى دفع دية عن القتلى تبلغ اربعة ملايين ريال وقد عمل البلجيكيون ايضا على احداث مؤسسات اقتصادية ومولت المانيا بعض الرحلات العلمية وكان السلطان ينهج سياسة التدافع بين هذه الدول فيوجه سفراءه الى اوربا مثل محمد الزبدى الذى اوفده 1293هـ الى فرنسا وانجلترا وايطاليا وبلجيكا فى مهمة سلميــة وقد ورد على السلطان فى العام التالى سفراء فرنسا واسبانيا والبرتغال وبدأت فرنسا منذ ذلك العهد تقترح ادخال اصلاحات كالتلغراف والقطار الحديدى وواجهت المملكة المغربية فى هذا العهد مشكلة عويصة هى مشكلة الحمايات التى كان بعض المغاربة يتوقون اليها للتخلص من نفوذ الولاة وحاول السلطان التخفيف من حدة هذه الحمايات غير ان تضافر الدول الاوربية اضطـره الى الخضوع بمقتضى اتفاقية مدريد (1880) وملحق طنجة (1881) الى ارادة اوربا التى خولت لالمانيا والنمسا وبلجيكا والدنمارك واسبانيا والولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا وايطاليا وهولندا والبرتغال والسويد والنرويج الامتيازات التى لم تكن تتمتع بها سوى فرنسا وانجلترا ٠

وهكذا بدات القضية المغربية تتسم بطابع دولى من جراء الصراع الذى تولد عن اطماع الدول الاوربية وقد قاوم الحسن الاول كل التدخلات ودافع بين الدول وتوفى (3 ذى الحجة عام 1311 هـ) وهو فى غمرة هذه المعركة التــى ضاعفــت خطورتها تمردات جهوية كانت تفت فى أعضاد الوحدة المغربية ٠

الفصل التاسع

النظام السياسي والإداري قبل الحماية

العمالات :

يمكن القول دون تحديد دقيق ان المغرب قبيل الحماية كان يشتمل على ست عمالات (I) هي :

I ـ المغرب الشرقي الذى يبتدىء من وجدة ويمر من تازة الى تافيلالت.

2 ـ ناحية الشمال وفيها تطوان وطنجة والقصر والعرائش ووزان ومركزها العام هوالعاصمة الادريسية

3 ـ الغرب ومركزها مكناس

4 ـ ناحية العدوتين وتامسنة وتشمل الرباط وسلا وقبائل الشلوية ودكالة .

5 ـ ناحية الحوز ومركزها مراكش مع اسفى والصويرة .

I) وقع فى ايام السلطان محمد ابن عبد الله تقسيم المغرب الى عمالات عديدة تتناول حتى اقصى الجهات مثل توات

وهاذا مذكور فى « الترجمان » لأبى القاسم الزيانى لدى ترجمة السلطان الأنف الذكر

6 ـ الجنوب ويمتد من المحيط الى حدود الجزائر وتزنيت ويندرج فيه اقصى الجنوب الى نهر السنغال (شنقيط والساقية الحمراء وتوات وعين صالح الخ).

دار المخـــزن

وقد كانت اجهزة الدولة المغربية صورة طبقا لأصلها الاندلسي الاموى وكانت هنالك ثلاثة عناصر هي دار المخزن والوزراء والقضاة والحكام .

اما دار المخزن فقد كانت بين جوانبها ءالاف الخدمة والحشم والحرس ويشرف الحاجب على قسمها الداخلي بينما يهتم قائد المشور بالقسم الخارجي الخاص بالاستقبالات والاوامر الملكية والاتصالات مع القبائل .

وللحاجب نائب يعينه على تسيير اعمال اصحاب الوضوء والغطاء والماء وافراك (الاخبية السلطانية او العسكرية المتنقلة) والسكـين (اى الجـزارة) والفراش والمحفة» (وسائل التنقل) «والروى» (اى اصطبلات الخيل) وكان على رأس كل فرقة قائد يساعده خليفة .

اما قائد المشور فقد كان له نائبان يعينانه على ضبط علاقة القصر عـن طريق المشاورية بالبنيقات او مكاتب الوزراء وكبار البلاط .

وكانت مسطرة الاقتبالات ان الصدر الاعظم يتلقى الطلـب فيرفعـه الى السلطان الذى يكلف عند الرضى قائد مشوره بتنظيم المقابلة التى يحضرهـا الحاجب احيانا.

وقد كان الى جانب المشاورية طائفة المسخرين او الرقاصة من قبائـل الجيش يكلفون بنقل الرسائل بين القصر والقبائل ويتجلى اهتمام السلطان بهؤلاء الاعوان فى الاشراف المباشر، على قائدهم .

الهيئـة الوزاريـة

1 ـ كان للسلطان اعوان او وزراء يساعدونه على تسيير دواليب الحكم وكان لكل وزير بنيقة اى مكتبه الخاص وحوله كتبته وفى طليعتهم الصـدر الاعظم الذى لم يكن رئيس الحكومة لان الحكومة كانت تتشخص فى السلطان الجامع بين رياسة الدولة ورياسة الحكومة ولم يكن للصدر حق التقرير لان البت من حق السدة العلية وحدها وكان ينوب عنه كاتبه الاول او باقى الكتاب

(الثاني والثالث) عندما يتغيب ويعرف مكتبه بالبنيقة الكبرى لتعدد كتابها .

وكان الصدر يشرف خاصة على نشاط القضاة ونظار الاحباس ونقباء الاشراف وعلى الباشوات والقواد فى خصوص ما يخلعه السلطان على رعاياه من تحف وهدايا (التنافيذ) او اداء المصاريف التى يامر السلطان بدفعها او تحرير الظهائر والمراسيم المولوية وتسليم العطاءات العقارية او تنفيذ التعيينات فى الوظائف المختلفة او عزل الموظفين او تسليم القرارات السلطانية الى قائد المشور فى شأن الحركات وتنقلات الجيش واعداد المؤن

2 ـ وزير الشكايات وهو صاحب الرد فى الاندلس مهمته النظر فيما يرد على السلطان من شكايات وابلاغ اصحابها ما يتخذ الامير من قرارات ولم يكن للسلطان اى اختصاص فى ميدان الشرع ولو كان عالما الا انه كان له حق جمع العلماء لاستفتائهم فى قضية فقهية قبل احالتها على قاض جديد فيكون مجلس المفتين بمثابة محكمة عليا للنقض والابرام واحيانا يبت العلماء كانهم هيئة استئنافية .

3 ـ العلاف الكبير يشبه نوعاما وزير الحرب وان كان لايهتم فى الواقع الا بالسهر على تموين الجيش فى السرايا والغزوات وتجهيزه بالسلاح والعتاد وهو الذى كان يعد سجل الديوان العسكرى ويقدمه الى السلطان مؤشرا ومذيلا بامضاء الصدر كما كان يشرف على المصاريف الشهرية لمخازنية البلاط الداخليين

4 ـ وزير البحر

اسس الحسن الاول هذه الوزارة لضبط علائق المملكة مع ممثلي الدول الاجنبية فكان واسطة بين السلطان والسلك الدبلوماسى يهتم بقضايا المحميين القنصليين ويحضر مشاريع الاتفاقيات والمعاهدات بين المغرب ودول اوربا ويحرر الرسائل اليها ويوجه الى القواد الاوامر السلطانية بخصوص المحميين القاطنين فى عمالتهم كما يشرف على كل ما يتعلق بالبعثات الاجنبية بالمغرب وكان اول وزير للبحر هو الفقيه محمد بن المفضل غريط .

5 ـ امين الامناء الذى تنحصر مهمته فى جزء من الاختصاصات العادية لوزراءالمالية مثل السهر على تعيين امناء المراسى اى جباة الجمارك والديوانات والاملاك المخزنية والمستفاد اى الضرائب المباشرة

وكانت موارد الديوانة تسلم مباشرة الى امين الدخل من طـرف امنـاء المراسى بعد اسقاط المصاريف المحلية مثل اجور عملة الديوانة وجنود الحامية التى تدفع بدون مراقبة بخلاف النفقات العارضة الاخرى التى لم تكن تؤدى الا باذن خاص من امين الامناء والباقى يركز فى بيت المال الذى هو الخزينة العامة للدولة وكانت هنالك بيوت للمال فى فاس ومكناس ومراكش ولكـن اهمـها الصناديق المودعة بالقصر السلطانى بفاس الجديد والموصدة داخل غرفة تلى القوس باربعة اقفال تؤمن مفاتيحها عند اربعة من كبار الموظفين بحيث لاتفتح الا بحضور الجميع فى حفل خاص بشهادة عدلين ويصبح القوس مستودعامؤقتا عند غياب السلطان يسيره امين القوس بدل امين الدخل الذى يرافق السلطان

وكانت دار عديل عبارة عن خزينة تجمع بفاس موارد المكس يشـرف عليها امين المستفاد بمساعدة امينين اثنين .

الا ان صرف محتويات بيت المال لا يتم الا بواسطة امين الخراج او الصائر او الشكارة علاوة على امين الدخل «وبنيقة الصيار» (I) هى التى تؤدى مرتبات الوزراء والكتاب والجيش والمخازنية والمشاورية بالاضافة الى الصدقات والهدايا للأضرحة والزوايا .

وكان للسلطان بيت المال الداخلى «الشخصى» يمون علاوة على الهدايا بموارد عزايب السلطان (اى ضيعه الفلاحية) او عقاراته بفاس ومكناس ومراكش وغيرها

6 ـ امين الحسبة العام الذى يركز حسابات الامناء ونظار الاحـباس ووكلاء الغياب ويسهر على تطبيق مقتضيات الاتفاقيات الاجنبية فى خصوص مداخيل الديوانة ومراقبة زكوات المحاصيل واعشار القبائل فيسجل بذلك دخل الدولة ونفقاتها .

7 ـ امين الصائر : يقوم بتعليمات من الصدر بتنفيذ قرارات السلطان فى خصوص الاداءات واجور الموظفين والجند بعد تاشير امين الامناء .

8 ـ امين «الفرقوش» اى حيوانات النقل او ماشية المخزن فيراقب افراس الدولة وبغالها وجمالها وتعويض مامات منها والسهر على تجهيزها .

I) أى مكتب النفقات (النفقة = الصائر)

9 ـ امين العتبة الشريفة الذى يهتم بموارد القصر الشهرية من لحوم وغيرها ويراجع حسابات القصور الملكية فى مختلف المدن ويذيلها بامضائه قبل ان يعرضها امين الامناء على السلطان ويركز مفاتح صناديق المال ويراقب توصلات عبيد البخارى وحراس البلاط باجورهم كما يهتم بتسيير شؤون القصور كلها ٠

وكان السلطان هو المنسق الاكبر لشؤون الدولة بصفته الرئيس الفعلى للحكومة والقائد الاعلى للجيش فقد كان الحسن الاول مثلا يدرس كل صباح ملفات الوزراء ويمضى الرسائل التى ينقلها وصيف الدار الى الحاجب فيوجهها هذا الاخير مع صاحب الوضوء الى الوزارات المعنية بعد ان يسجلها فى دفترخاص وهو الذى كان يختم الصادرات ويسلمها لقائد المشور ليوصلها رقاص البريدالى اصحابها فى مختلف انحاء البلاد ثم يتوجه السلطان الى قاعة العرش لاقتبال وزرائه وينهى احد الفرايكية (اى الطائفة المكلفة بتنقلات السلطان) هذا النبأ الى البنيقات ويستدعى السلطان من يريد بايفاد صاحب الوضوء الى قائدالمشور الذىيعرض علىانظار السلطان الرسائلالواردة منالاقاليم دونانيفض خاتمها ثم يرفع قائمة الاشخاص الراغبين فى مقابلة السلطان الذى يصدر اوامره فى هذا الشان والسلطان هو الذى يفتح المراسلات بنفسه ويعقب عليها بيده ثم توزع على الوزراء للتنفيذ ٠

ثم تتوالى الاقتبالات فيدعو السلطان الصدر ثم امين الامناء ووزير البحر فيدرس مع كل واحد القضايا الداخلة فى نطاق اختصاصه ثم ياتى دور الاستقبالات العادية وهكذا يحل السلطان مشاكل الوزارات المختلفة دون ان يكون للصدر مجال لابداء رايه ٠

ويستأنف السلطان من العصر الى المغرب فى ردهة العرش هذه السلسلة من الاستقبالات والاجتماعات وبعد العشاء يعلق على الرسائل التى ستوجه فى الصباح الى الوزراء ثم ينهى السلطان يومه بتلاوة الكتب السياسية والتاريخ وفى يومى الاحد والثلاثاء يستمع الى الشكايات بحضور الوزير المسؤول الذى يقدم له ملف كل قضية فيصدر السلطان قراراته بعد امعان النظر وتدقيق البحث ويخصص ايام الاثنينلشاهدة تدريباتطلبة مدرسة المدفعية وايام الاربعاءلاستعراض الجند من اجل مراقبة عدد افراد الجيش والصوائر العسكرية ويقضى السلطان ايام الخميس فى نزهة مع حرمه بحدائق القصر كما يفرد ايام الجمعة باقامة

الصلاة في موكب فخم وكان يوم السبت هو اليوم الاول في الاسبوع تدشن فيه بداية « المخزنية» اى الاعمال السلطانية ·

الحكام والقضاة

البَاشَوَاتُ وَالقُوادُ

الباشوات كانوا قوادا عسكريين يشرفون على قبائل الجيش وعلى بعض المدن الاندلسية مثل فاس والرباط وطنجة وحتى مراكش حيث يتولى الباشا قيادة الحامية العسكرية بينما يراقب القائد الامن بالمدينة ويسهر على جمع الضرائب ويقوم بدور التنفيذ للاحكام ويظل القائد في منصبه مادام متمتعا بثقة الجمهور والا عزله السلطان بضغط من الفكر العام على ان السلطان نفسه كان عرضة للخلع اذا صدر راى الجماهير الشعبية وكان السلطان يراعى فى تعيين القواد رغبة الاعيان لاسيما منهم العلماء والاشراف ورؤساء الحناطى (النقابات الصناعية) والتجار ·

وكثيرا ماعين السلطان على رأس فاس البالى قائدا عسكريا من العبيد او خدام القصر نظرا للمكانة الخاصة التى كانت تشغلها هذه الحاضرة واخر القواد الذين عرفتهم فاس هو بوشتة ابن البغدادى (ابو الشتاء) الذى اذاق الفاسيين الأمرين لشدته وغلظته وكانت سلطة القائد واسعة في الميدان الجنائى (من الاعدام الى الذعيرة او التعزير بالسياط) ولم يكن له اى نفوذ في الشؤون المدنية والتجارية التى كانت من اختصاص المحتسب ·

القَضَاءُ

المدن الكبرى هى التى لها قضاة وعددها نحو الخمس عشرة لا في مجموع المملكة وكان في كل من فاس ومراكش ثلاثة من القضاة وقد بلغ عدد هؤلاء فى اواخر الحماية مائة واربعة عشر اما القبائل فلم يكن فيها سوى نواب عن القضاة الحضريين فكان النائب يشرف على مجموعة من القبائل عدا الاطلس حيث كان العرف هو المحكم وقد انحصر اختصاص القاضى فى الاحوال الشخصية والدماء مع الاشراف على العدول والوكلاء والعلماء والاشراف والموظفين الدينيين ووكلاء الغياب ونظار الاحباس وكان قاضى السماط بفاس هو مراقب جامعة القرويين

وعلمائها فكان القاضى يلعب دورا سياسيا هاما بصفته منفذا للشرع بالنيابة عن الامام وهو السلطان لذلك كان هذا الشخص يختار من العلماء النزهاء الورعين وكثيرا ما كان العلماء يفرون من هذا المنصب منذ صدر الاسلام وكان القاضى ملزما بالحكم بالمشهور من الآراء بما جرى به العمل وبالعرف والعادة تبعا للمذهب المالكى وينص ظهير التعيين على ذلك بوضوح ولم يكن حكم القاضى يستأنف الا بالشكوى للسلطان الذى يستدعى العلماء لابداء رايهم ·

3 - المحتسب

هو الذى يسهر على حماية الفقراء وحقوق المعوزين ومصالح التجار ويراقب المكاييل والاوزانو المبيعات لمقاومة التدليس والاختلاس والواقع انه كان يشرف على جميع مرافق الحياة الاقتصادية (التجارية والصناعية) بتحديد الاثمان بناء على اسعار المزايدات العامة وله وحده حق التعزير والتأديب بالسجن والايقاف والحجزفىهذا الميدان ويفضالنزاعات التجارية باستشارة الخبراء وامناءالحناطى وللمحتسب اعوان ومفتشون ومخازنية يخضعون له مباشرة وهو الذى يوجه يوميا لامناء المرسى لائحة الاسعارلتحديد الاعشار الموظفة علىالواردات والصادرات والمحتسب هو المشرف على الحناطى التى كانت عبارة عن نظام نقابى واسعالحرية لم يتقلص ظله الا بالاتصال بالحضارة الاوربية وكان المخزن يحترم الحرية التجارية (1) وقد شبه البعض وظيفة الحسبة بوظيفة شيخ البلد او عميد الشرطة بفرنسا (2)

وهكذا انتظمت بالمغرب فى اخر عهد الاستقلال مؤسسات الدولة والادارة المركزية وهيأة القضاء والمنظمات الاقتصادية والنقابية بصورة اتسمت بشىء غير قليل من الروعة والفعالية والاصالة وكان هذا الجهاز فى تطور مطرد تبعا للمقتضيات المتجددة غير ان تسرب العناصر الاستعمارية اقام الاشواك فى طريق المغرب الذى حالت هذه الجبهة الاستغلالية دون استمراره بجد فىاقتفاء آثار الدول المتمدنة فى النهضة والانبعاث وهكذا شلت كثير من تلك المقومات تحت ضربات المستعمر المتوالية ممافسح مجالات واسعة لتدخل الاجانب تدريجيا فى شؤون المغرب الاقتصادية ثم السياسية ·

---

1) راجع كتابى « التيارات الكبرى للحضارة المغربية » (ص 60)
2) الوثائق المغربية ج 1 ص 13 و 51

الفصل العاشر

الصحراء المغربية

ان الصحراء الافريقية التي يحدها الاطلس شمالا هي اعظم الفلوات واجمل الفيافي العالمية لانها تشكل سلسلة من السهول والاودية والانهار والجبال حيث تتساوق الرمال مع الاحجار وقد عاش الصحراويون وحدهم قرب ينابيع المياه حتى هاجر اليها الرحل بجمالهم بعد الاحتلال الروماني لافريقيا الشمالية وتسرب العنصر العربي الشرقي في نفس الوقت الى القارة الافريقية حيث تحسنت الحياة نسبيا وتطورت المواصلات بفضل استعمال الجمل المستورد من اشوريا وفارس حينذاك تدخل الزناتيون في الصحراء فحفروا الآبار وغرسوا النخيل في بعض الواحات لاسيما في توات منذ ظهور الاسلام.

وقد عرفت الصحراء نوعا من الاستقرار تبلور فيإقامة القصور بالاضافة الى الواحات وتسرب عناصر حضارية عن طريق برابرة الشمال الافريقي بعد ان اخفق فيذلكالرومان والاغارقة والصنهاجيون مثل هوارة ولمطة الذين كانوا اول القبائل من البرابرة البيض الذين غزوا الصحراء منذ القرن الثالث الميلادي وهذه القبائل هي التي نقلت الاسلامالىالتخوم الجنوبية ومنذ هذا العهد برزت الصحراء كامتداد طبيعي لافريقيا الشمالية نظرا للوحدة النباتية والحيوانية والتجانس بين النوالة المغربية ونوالة خط الاستواء وبين رسوم الريف والسودان والموسيقى المغربية والزنجية (هسبريس مجلد II عام 1930).

ان صنهاجة احتلت جزءا من الصحراء يسير الراكب فيه مسافة ستة اشهر فى المغرب ومن بين القبائل الصنهاجية مسوفة ولمتونة الملثمون الذين اسسوا الدولة المرابطية بالمغرب وكانوا يقطنون جنوبى الصحراء الرملية وهم على ماقيل عرب حميريون (1) وكان اول ملك منهم بالصحراء يتلوتان اللمتونى المسلم الذى ملك بلاد الصحراء باسرها ودان له ازيد من عشرين ملكا من ملوك السودان(2)

وقد توفى فى عام 222 هـ بحيث يمكن القول بان الصحراء كانت مسلمة كلها وكذلك بعض بلاد السودان فى القرن الثالث على ان مدينة تاتكلاتن التى كان يسكن بالقرب منها قبائل من السودان قد اسلمت على يد عقبة بن نافع نفسه (القرطاس ص7) بل زعم بعض المؤرخين ان عقبة غزا التكرور الى غانة والمحتمل انه بلغ ينابيع الساقية الحمراء وقام احد عقبه وهو عبد الرحمن ابن حبيب عام 127هـ بتأسيس خط من الآبار يمتد الى اودغشت بموريطانيا الشرقية

ومن الصعب تحديد تاريخ دخول الاسلام الى الصحراء وانبساط النفوذ المغربى عليها فزناتة وصنهاجة كانوا مستوطنين الصحراء قبل الاسلام ولـم يتجاوز الرومان حدودهم المعروفة المارة بابى رقراق « حيث لم يستطيعوا الوصول الى تلك الكتلة البربرية فى المغرب الجنوبى» كما يقول كوتيى(3) فى حين وصل عقبة بن نافع الى الجنوب واحتل المولى ادريس الازهر نجل المولى ادريس الاكبر الاطلس ولم يكن رفقاؤه من العرب يتجاوزون الخمسمائة وبهذا يمكن القول ــ مع كموتيى ــ بان توغل المولى ادريس وراء الحدود الرومانية فتح ابـواب الشمال فى وجه المرابطين والموحدين ومن هنا يبدأ تاريخ المغرب (4) وكذلك تاريخ الوحدة الافريقية بارتباط الصحراء بالمغرب وقد حدد ابن خوردابه المملكة الادريسية فى جغرافيته منذ القرن الثالث الهجرى والتقاوب الزمنى يوذن بمزيد الاطلاع ــ فكتب مايلى : وفى يدى ولد ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الطالبى تلمسين ٠٠ وطنجة وفاس وبها منزله ٠٠ وخلفها طنجة وخلف طنجة السوس الادنى ٠٠ وخلف السوس الادنى السوس الاقصى ٠٠ وفى يديه ايضا

---

1) القرطاس (طبعة الرباط) ج 2 ص 3
2) القرطاس ج 2 ص 6
3) العصور الغامضة فى المغرب 289
4) نفس المصدر ص 290

وليلة ومداكة وزلولة ومدينة راقون وحجرة وحجيرة والحاجز وماجرا اجرا وفيكون والخضراء وهي على البحر .. وما يتصل ببلاد داعي بن داعي والسودان والعراة الى ماحاذاه من نواحي البحر .. (I)

وتحدث ابن حوقل كذلك عن حدود المغرب في القرن الثالث فذكر ان المغرب «يمر على ماسة ومغارب سجلماسة وظاهر السوس الاقصى ويمتد على ظواهر اودغشت وغانة وكوغة ...

فالمغرب كان يمتد اذن في ذلك العصر الى حدود السودان وهذا يؤيد ماعند ابن خردادبه .

وقد ورث الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي ملك اللمتونيين المنسبط على السودان حيث استمر في محاربة الزنوج غيرالمسلمين الى غام 427 (2) وكذلك رنحل الى الحج ولقى في طريقه اباعمران الفاسي بالقيروان فدله على واكاك ابن زلو من تفيس بالسوس الاقصى فندب هذا عبد الله بن ياسين الجزولي مهدي المرابطين الذي قدم للملك يحيى بن عمر اللمتوني «فاستولى هذا الاخير على جميع بلاد الصحراء وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها (القرطاس ص I7 والاستقصاء 3 ص 48) ثم دخل سجلماسة ودرعة بطلب من اهلها عام 447هـ. وقد خلفه اخوه ابوبكر عام 448هـ حيث خرج بجيوشه الى بلاد المصامدة والسوس جاعلا على مقدمتها ابن عمه يوسف بن تاشفين فتم غزو المغرب الى تامسنة حيث توفى ابن ياسين (كريفلة) ثم جعل الامير اللمتوني ابن تاشفين على المغرب (ص33) .

وارتحل هو بنصف جيشه الى الصحراء عام 453 لاتمام غزو السودان ومالبث اول المرابطين ان خطب له على 1900 منبر من الاندلس الى جزائر بني مزغنة الى اخر جبل الذهب من بلاد السودان (القرطاس ص 37) .

I) الجريدة الاسيوية 1865 ـ السلسلة السادسة المجلد الخامس ص 78
وقد اسس عبد الله بن ادريس مدينة تمدلت وجعل منها مركزا تجاريا في الصحراء وقد تهدمت في القرن الثامن وقد اسست مدينة تندوف عام 1270 هـ على يد محمد المختار بن الاعمش واحتفظت بمغربيتها الى عام 1955 حيث الحقها الاستعمار بالجزائر فثار الشعب ونكل به الفرنسيون .

2) القرطاس ص 8

وعند استيلاء الموحدين على الحكم ظل جزء من الصحراء فى قبضة صنهاجة فى حين تم لعبد المومن بن على « ملك افريقية كلهامنتظما الى مسلكة المغرب فملك فى حياته من طرابلس المغرب الى سوس الاقصى من بلاد المصامدة ، واكثر جزيرة الاندلس » (المعجب ــ طبعة سلا عام 1357 ص 138) .

ولعل الموحدين لم يستطيعوا التوغل فى الصحراء لانهم جبليون لاعهدلهم بالفيافى بخلاف المرينيين والسعديين والعلويين الصحراويين الذين تغلغل نفوذهم فى الصحراء فقد ذكر المؤرخون انه عندما جلس ابو الحسن المرينى على العرش واتصل ملكه بالجزائر جاء وفد السلطان منسا موسى بن ابى بكر وهو من اعظم ملوك السودان يعظم السلطان ابا الحسن ويوجب حقه ويؤدى طاعته ويذكر من خضوع منساوقيامه بحق السلطان وسعيه فى مرضاته ومما يؤكد انبساط النفوذ المرينى على الصحراء الرملية ان ابا الحسن او عز الى اعراب الفلاة من بنى معقل بالسير مع الوفد السودانى فشمر لذلك امير اولاد جرار من معقل وصحبهم امتثالا لامر السلطان وقد اعترف طيراس « بان نفوذ ابـى الحسن المرينى انبسط من قشتالة الى السودان الى مصر» (تاريخ المغرب ج 2 ص 61) .

ولكن فى آخر الدولة المرينية انكفت ايدى ملوك المغرب عن القرى الصحراوية حتى جاء المنصور السعدى فجدد الاتصال ببلاد تيكورارين وتوات وما انضاف اليها وذلك عام 990هـ وقبله محمد الشيخ تجاوز الساقية الحمراء ووصل الى ودان .

اما فى السودان فقد دانت امارة محمد سكية للخليفة العباسى بعد ان لقيه بمصر فى طريق حجه آخر المائة التاسعة .

وقلدت السودان اذاك بعض المظاهر العربية العباسية وبعد ان مات خلفه ولده داود فغزته جيوش المنصور واستولت على السودان بعد ان دانت منه لآل سكية مسيرة ستة اشهر وقد اوفد صاحب برنو وفد لتقديم البيعة الى المنصور والتزام طاعته وهذه اول مرة طمح فيها المغرب الى احتلال السودان فى حين ان دولة المرابطين على ضخامتها ودولة الموحدين على عظمتها ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همة واحد منهم لشىء من ذلك (الفشتالى) .

وقد سارت الاسرة العلوية على هذا المنوال فلم تكتف ببسط نفوذها على

الصحراء المغربية كما يتأكد ذلك بالنصوص القطعية سواء في خصوص الواحات الصحراوية (راجع) اربعة قرون من تاريخ المغرب في الصحراء) ام في شنجيط المتاخمة للسودان •

بل ان المولى اسماعيل طمح مثل المنصور السعدى الى استرجاع السودان وقد اكد ذلك الافرانى في نزهة الحادى حيث ورد ان المولى اسماعيل ملك الاراضي الخصبة في السودان حيث توغل ابعد مما وصل اليه المنصور السعدى (الجزء الذي طبعه هوداس ص 505) •

ويقال ان مولاى الرشيد وصل الى النيجر (النيل) متعقبا احد الثوار السوسيين ووصل السلطان مولاى عبد الله مرتين الى السودان كما في تذكرة النسيان (ترجمة هوداس ص 102و248)

واستمر النفوذ العلوى منبسطا على الصحراء وحتى السودان الى سنة 1893 اى عهد مولاى الحسن من خلال النظام الباشوى ـ كما يقول طيراس ـ الذى احدثه السعديون ويرجع انفصال السودان عن المغرب الى ابتداء الحملة الاستعمارية التى انتهت آخر القرن الميلادى المنصرم واوائل الحالى باحتلال فرنسا لموريطانيا والواحات الصحراوية واسبانيا ليريو دى اورو والساقية الحمراء وايفنى وغيرها •

وعند احتلال فرنسا لتنبكتو جاء وفد سودانى الى السلطان يطلب معونته كما وقع بعد ذلك عند احتلال توات وتيديكلت •

وقد اكد المؤرخون كلهم ـ مسلمين واجانب ـ مغربية الصحراء وقد وصف صاحب «التبيان في تخطيط البلدان » المؤلف قبل الحماية (ص 402) الصحراء الكبرى بانها «صقع كبير واسع بافريقية الشمالية يمتد من وادى النيل الى المحيط الاطلسي ومن مراكش والجزائر وتونس وطرابلس من الشمال الى ممالك السودان بالجنوب وهى واقعة بين الدرجة 17،29 من العرض الشمالى وبين الدرجة 19 والدقيقة 22 من الطول الغربي والدرجة 34 تقريبا من الطول الشرقى ثم ذكران حدها جنوبا خط يبتدىء من مصب نهر سنغال مارا بمدينة تنبكتو وقد لاحظ قبل ذلك (ص 129) ان بلاد تيديكلت وتوات وغورارة وكل مجموع واحات الصحراء الواقعة بالجنوب الغربي من بلاد الجزائر تعترف بنفوذ السلطان الدينى وكذلك باقى البلاد المعروفة بالصحراء المراكشية مثل واحات درعة ونون

الساقية الحمراء فلو اعتبرنا مراكش فى اكبر عرضها الجغرافى بما يتبعها من الصحراء لرأينا ان طول سواحلها يبلغ 1750 كيلومترا (منها 425 على بحر الروم و60 على المضيق و1٠300 على المحيط) ٠

وقد اكد دولا شابيل (هسريس ج 11 ص 80 عام 1930) ان العلويين وصلوا الى ودان عام 1665 والى ادرار عام 1678 والى تاكانت عام 1680 والى شنجيط بل السودان عام 1730 والى تيشيت عام 1769 ووجه السلطان الجنود عام 1672 لاعانة امير الترارزة الذى قلده السلطان الامارة اذ ذاك وكذلك وقع فى عهد سيدى محمد بن عبد الله ومولاى الحسن واخيرا فى عهد محمد الخامس فى غضون ابريل 1958 ٠

ويرجع فضل تعريب الصحراء الى العرب السلميين والهلاليين الذين دخلوا الى المغرب ايام المنصور الموحدى وقد توغل نحو المائتين من بنى معقل الحميريين فى موريطانيا حيث اصبح منذ ذلك عنصران اثنان : بنو حسان المنحدرون من معقل والبرابرة الصنهاجيون ٠

الفصل الحادي عشر

الثقافة والفن

لم يكن نظام التعليم بالمغرب يختلف عنه في الاندلس وبقية العالم الاسلامى حيث كانت الكتاتيب القرآنية مرحلة اعدادية الى التعليم الحقيقى فى اسلاكه الثلاثة فى ظلال المساجد ولم تكن المدارس سوى مآوى للطلبة كالاحياء الجامعية فى العصر الحديث ٠

وقد عرف المغرب الدراسة العالية فى القرويين الذى بنى عام 245 هـ قبل جامع الازهر الذى اسسه جوهر الصقلى عام 359هـ ومنذ القرن الرابع الهجرى بدأ جامع الاندلس ينافس القرويين ثم صار اكبر فروعه وقد اشاد المؤرخون الغربيون بجامعة فاس فلاحظ دلفان ان القرويين اول مدرسة فى الدنيا (1) كما اكد على باى العباسى (باديا لابليس (2) ان مدينة فاس كانت فى افريقيا اشبه بأثينة عاصمة الفكر باوربا ٠

وقد اقام كلينار بفاس عام 1540 م ايام ابى العباس الاعرج السعدى (948هـ) وكتب رسائل باللاتينى يصف فيها القرويين ودروسه بها وعوائد الطلبة والمدرسين واسلوب التدريس وانواع العلوم المدروسة وكانت العلوم

---

1) فاس وجامعتها والتعليم العالى « طبعة 1889 ص 12»

2) فى رحلته التى طبعت فى باريس عام 1884 فى ثلاثة مجلدات

التى تدرس بالقرويين هى التفسير والحديث والاصول والفقه والنحو والبيان والمعانى والبديع والمنطق والعروض والحساب والتنجيم والكلام والتصوف واللغة والتصريف والتوحيد والتاريخ والجغرافية والطب والقضاء والاحكام والادب

اما الاجرة على التدريس فالغالب انها كانت معدومة اوتكاد • فقد كان يشتغل بالعلم ارباب الهمم العلية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه

على ان اساتذة الجامعة كانوا يتقاضون علاوات من لحم وحبوب وزيت وسمن وصابون اى كل مايحتاجون اليه طوال السنة بل كانوا يتمتعون بحق السكنى مجانا والتعليم نفسه كانا مجانيا بالقرويين •

ولم يكن يجرى اى امتحان للطلبة بل كان الشيوخ يعطون الاجازة لتلاميذهم المبرزين والى جانب هذه الاجازة الخاصة كان ينتظم حفل الى عهد السلطان مولاى عبد الرحمن يحضره الاساتذة والطلبة بالقرويين فيلقى كل استاذ على الطالب المنتهى اسئلة فى مختلف العلوم فاذا وفق فى اجوبته عينه القاضى فى الطبقة الرابعة للعلماء •

وتعطل الكلية يومى الخميس والجمعة وكذلك يوم الثلاثاء وقد ذكر النعيمى فى «الدارس» ان الدروس كانت تعطل يوم الجمعة والثلاثاء فى دمشق (ص 194)

ويقال بان جيلبير وهو البابا سلفستر الثانى درس بالقرويين وادخل الارقام العربية الى اوربا والارقام الهندية اطلع عليها العرب وكونوا منها سلسلتين احداهما الارقام الهندية التى شاعت فى بغداد والجانب الشرقى من العالم الاسلامى والثانية وهى الغبارية فى الاندلس وافريقيا والمغرب الاقصى وهى المستعملة الان فى اوربا ولم يستطع الاوربيون استعمالها الا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد

وقد درس بالقرويين طلبة موفورون تواردوا فى مختلف العصور من طرابلس وتونس والجزائر والسودان •

وكان عدد طلبة القرويين الافاقيين (من جزائريين ومغاربة) يبلغ سبعمائة بينما لم يكن عدد الاساتذة يتجاوز فى الغالب الاربعين •

وكانت سوق العلم نافقة فى عهد المرابطين والموحدين والمرينيين وفى

ايام ابى عنان المرينى كانوا اعز الناس واكثرهم عددا واوسعهم رزقا (نيل الابتهاج للسودانى ص 260) .

وبدأ المغرب ينحل فكريا ايام الوطاسيين ثم عاد الى الانبعاث فى عهد الشرفاء فتطورت حركة البحث والتأليف وتخرج من القرويين علماء افذاذ كانت اسواق العلم عامرة ونجوم افلاكه نيرة زاهرة (تاريخ الضعيف) ويسكن الطلبة فى احدى المدارس الاربع عشرة (الشراطين والمصباحية وباب الجيسة والصفارين والعطارين) ويتقاضون خبزة فى اليوم وقد جرت العادة منذ اواخر القرن الماضى بان يشترى الطالب غرفته فى المدرسة وله ان يبيع المفتاح عند انتهاء مدة الدروس .

وقد لاحظ ابن مرزوق ان انشاء المدارس (اى مساكن الطلبة) كان فى المغرب غير معروف حتى انشئت مدرسة الحلفائيين (مدرسة الصفارين عام 670 هـ) ثم مدارس العطارين والبيضاء والصهريج والوادى ومدرسة مصباح ثم انشأ ابوالحسن ..فى كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط مدرسة (تازة ومكناسة وسلا وطنجة وسبتة وانفا وازمور وآسفى واغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد بتلمسان والجزائر (المسند الصحيح الحسن هسبريس 1925) ويقال بان يوسف بن تاشفين اسس مدرسة الصابرين وعرفت فى القرن الثانى عشر بمدرسة بومدين .

وفى القرن الماضى فكر الحسن الاول فى تكوين اطر فى العلوم الحديثة وكان متفتحا الى ابعد الحدود ولكنه كان يواجه قوتين تحولان لاسباب مختلفة دون اتجاه الفكر المغربى نحو الحياة العصرية بما فيها من لوازم ومقتضيات فهنالك هيأة المحافظين التى لم تكن تعادى التطور ولكنها كانت تخشى ماقد يؤدى اليه تطور على الطراز الاوربى من تاثير على ذهنيتنا العربية وخلقنا الاسلامى وكياننا الوطنى نظرا للدسائس الاوربية التى كانت قد بلغت اشدها فى تلك الآونة اما القوة الثانية فهى عبارة عن كتلة قليلة من المغرضين استولوا على مقاليد الحكم فصاروا يعملون على توطيد نفوذهم على حساب مصلحة المغرب العليا معرقلين تحقيق اى نوع من التطور خشية انبثاق عناصر فتية اكثر اهلية للحكم ومع ذلك ظل السلطان يكافح فى هدوء الى ان تغلب على هذه القوى وكان شغله الشاغل هو تعزيز الجيش المغربى لمواجهة الاخطار التى تهدد كيان

المغرب من الداخل والخارج فعمد اولا الى تاسيس ما يشبه (مدرسة مركزية للمدفعية بالجديدة) (المغرب الحديث مملكة تنهار ـ كامبو ـ1866 ص 16)
ثم صار يوجه مغاربة للتدريب سريا فى انجلترا واسبانيا وحتى امريكاكما وجه بعثات الى فرنسا ويطاليا والمانيا للدراسة فى معاهدها وكان المقصود من هذه الدراسة التكوين العام ثم التكوين الهندسى العسكرى ولكن بعض المسؤولين لم يكونوا يختارون دائما العناصر الصالحة ذات المستوى الثقافى المناسب ثم اذا اختير فتيان اكفاء وتخرجوا من اوربا لايلقون من هؤلاء المسؤولين اى نوع من التشجيع يحدو طلبة آخرين الىمقاساة التغرب من اجل الدراسة ذلك ان المهندسين الذين انهوا دراستهم الفنية بتفوق فى انجلترا والمانيا وايطاليا عادوا الى المغرب فصاروا يتقاضون 14 (سوردى) يوميا فى مقابل عمل جامد فى المكاتب الجمركية بالرباط وطنجة الى حد ان مختلف البعثات الموجهة لاوربا لم تسفر عن اية نتيجة بالرغم عن تخرج مهندسين وخبراء لاباس بهم على ان الجهود الفردية كانت تتبعثر حتى بالنسبة للطلبة الذين يدرسون فى الداخل فقد كان هنالك (فقهاء يدرسون الهندسة في كتاب لوجندر ويحفظون القواعد ويحملون لقب مهندس ولكن لايحاولون المزيد من العلم لعدم التشجيع (المغرب الحديث جول اركمان ص 94)

وقد نشرت مجلة هسبريس (عام 1954 مجلد 31 ص 121) بحثا بقلم جاك كايينى حول المغاربة المتمرنين فى مدرسة الهندسة العسكرية فى مونبيليى بفرنسا (من عام 1885 الى 1888) وكانت هذه البعثة تحتوى على اثنى عشر مغربيا توجهوا الى فرنسا فى 24 يونيه 1885 صحبة ميكيل دوكاستور قنصل البرتغال السابق الذى اسلم ودخل فى خدمة السلطان .

وبعد مرور سنتين رجع دوكاسترو الى المغرب لان الطلبة المغاربة كانوا قد حذقوا فى نظره اللغة الفرنسية ولم يعودوا فى حاجة الى ترجمان وقد سكن الطلبة القلعة اى ثكنة الهندسة العسكرية وقد جاءوا الى فرنسا بلباسهم المغربى فاضطروا الى (التكبط) على الطراز الغربى مع الاحتفاظ بالطربوش وكان السلطان يدفع فرنكين اثنين فى اليوم لكل طالب .

وكانوا يدرسون صباحا ومساء ماعدا يومى الجمعة والاحد فيقضون الصباح فى دراسة اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية وفى شهر مايو 1886 رجع اثنان منهم الى المغرب

اما دروس العشي فقد كانت مخصصة مبدئيا للاعمال التطبيقية من تمارين نارية وتحصينات وبناء خنادق واجهزة الدفاع وضرب الأخبية وصنع آلات الحصار وكان الطلبة المغاربة الخمسة يسجلون الملاحظات ويحررون مذكرات في الموضوع نظرا لمستواهم الثقافي المناسب وصار اثنان منهم يتلقيان بطلب منهما دروسا في التلغراف الجوي مع الجنود الفرنسيين ثم اضيفت الى الدروس النظرية النحو الفرنسي ودروس الاشياء والتعمق في الحساب والهندسة ثم خمسون درسا في علوم الهيئة والرياضيات والكيمياء ثم دروس في التلغراف والتلفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ثم اثنا عشر درسا في مساحة الاراضي وتحرير التصميمات الهندسية وكان معظم الطلبة يتابعون الدروس بعناية وقد لاحظ دوكاسترو نفسه سوء اختيار الموظفين المغاربة لبعض اعضاء البعثة ·

وبقي في المدرسة تسعة شبان واصلوا دراستهم الى خريف 1886 حيث تقرر ارجاعهم ولكن وزير فرنسا في طنجة الذي كان يرى ان (البعثة المغربية يجب ان تثير في ذهن اعضائها فكرة عظمة الحضارة الفرنسية) او عزباطالة مقام الوفد المغربي وكان ذلك من السهل حيث ان الحسن الاول كان قد قرر عدم عودة الشبان المغاربة من مدرسة الهندسة الابعد الحصول على تكوين تام لهذا وقع تحضير برنامج جديد لعام 1887 اطول وادق من برامج السنوات الاخرى وما كادت تهل سنة 1888 حتى كان المتمرنون قد وعوا وحذقوا كل ما يمكن في الهندسة العسكرية وفي شهر مايه من نفس السنة انهت فرنسا الى علم الصدر الاعظم (1) ان من المناسب عودة البعثة الى المغرب وتعويضها بفوج جديد من الطلبة ووصل الطلبة الى طنجة في دجنبر حيث اقتبلهم مندوب السلطان محمد الطريس وعبر لممثل فرنسا باسم السلطان عن كامل الارتياح الذي يشعر به ازاء التطور الفكري والثقافة التي حصل عليهامواطنوه بفرنسا وكان الصدر الاعظم قد كتب الى باريس طالبا ان يظل بفرنسا اربعة او خمسة من الطلبة بضعة شهور اخرى للتدريب في الكهرباء من اجل تسيير دواليب الآلات المهداة للسلطان ·

وفي يونيه 1888 تبودلت المذاكرة في شان تعويض المتمرنين المتخرجين بخمسة عشر من الشبان المغاربة يوجهون الى فيرساي حيث ترابط فرقة للمدفعية واخرى للهندسة ولكن كل ذلك لم يتم لاسباب مجهولة ·

---

1) توالى على الصدارة العظمى ءال الجامعي ثم بعد وفاة ابا حماد الحاج المختار ثم عزل وحل محله فضول غريط

مظاهر الفن

عندما استتب الامر للعلويين فى عهد مولاى الرشيد بدأ هذا الامير يهتم بتجديد معالم الفن المغربى والسعدى بتعزيز الاجهزة العسكرية ومتابعة بناء المعاهد والمدارس والمساجد وقد استطاع اقامة بعض المؤسسات رغم قصر امد امارته الملأى بالحروب ومن ذلك بناؤه عام 1075 هـ بالآجر والجير فى نهر سبو وعلى بعد اربعة كيلومترات من فاس لقنطرة طولها مائة وخمسون مترا مرفوعة على اعمدة تتخللها ثمانية اقواس (ثلاثة منها انما بناها سيدى محمد بن عبد الله (الناصرى ج4 ص121) ثم تقوية اسوار فاس البالى كما شرع عام 1081 فى بناء مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز ولا تخلو هندسة ونقوش هذه المدرسة من جمال الان معالمها بعيدة عما يتسم به الفن المرينى من صفاء (1)

واقوى امير واعظم بناء فى الاسرة العلوية هو مولاى اسماعيل (2) الذى وجه عنايته خاصة الى مكناس الا ان مقتضيات التهدئة اضطرته خلال عقدين من السنين الى الجولة فى اقصى الاقاليم التى جهزها بقلاع يبلغ عددها ستا وسبعين فى الغرب وشمال الاطلس (3).

وفى مكناس التى اختارها مولاى اسماعيل عاصمة اقام قصورا فخمة داخل القصبة نفسها منها مدينة الرياض التى لم يبق منها سوى باب الخميس وقد . . للموحدين ان جددوا بناء مكناسة المسماة بتكرارت (اى المحلة) . بنى المرينيون قصبتها علاوة على ماشيدوه بها من مساجد ومدارس وزوايا وربط وعندما اراد المولى اسماعيل بناء الرياض هدم مايلى القصبة من الدور وبنى سورا على الجانب الغربى وهدم الجانب الشرقى كله من المدينة وزاده فى القصبة القديمة ولم يبق امامه الا الفضاء فجعل ذلك كله في؟ قصبة وبنى سور المدينة وافردها عن القصبة «جالبا الصناع لذلك من جميع حواضر المغرب وقبائله وكان قد سبق له ان

---

1 — تاريخ افريقيا الشمالية اندرى جوليان ص490 وقد استعيض بهذه المدرسة عن مدرسة اللبادين وهى تحتوى على عدة غرف ذات نوافذ .

2 — الهندسة المعمارية الاسلامية فى الغرب — جورج مارسى 383) وقد وهم مارسى فذكر أن مولاى اسماعيل هو ولد مولاى رشيد .

3 — راجع كتابى حول مظاهر الحضارة بالعربية والتيارات الكبرى لحضارة المغرب بالفرنسية (ص 90)

اسس قصر النصر ايام اخيه مولاى رشيد (1) وقد وصف الناصرى قصور مكناسة ومساجدها ومدارسها بانها « فوق المعهود بحيث تعجز عنه الدول، كما ذكر الزيانى انه لم يشاهد فى آثار الدول اعظم من آثار هذا الامير (2) ولا يخفى مافى ذلك من ايغال بالرغم عما تنم عنه بعض الآثار الباقية من روعة الاصل (3) وتقوم الى الآن وسط بقايا هذه القصور الدار البيضاء التى بناها السلطان محمد ابن عبد الله والتى رممت وأحيلت الى اكاديمية عسكرية وتوجد امام هذه الدار ساحة فسيحة كانت تجرى فيها تدريبات الجيش واستعراضاته وكان السلطان يجلس مع حاشيته اثناء حفلات الاستعراض واستقبال القواد والولاة داخل رواق جميل (4) مرتفع ومتفتح فى احدى زوايا هذا القصر

وفى مراكش اقيمت دار المخزن بساحتها المغروسة المعروفة بعرصة النيل (5) ومنازهها وقبتها الكبرى المدعوة الستينية ومساكنها واروقتها العديدة ومسجدها مع مختلف ملحقاتها المشابهة لقصر البديع .

ومن المساجد التى يرجع تاريخها الى العهد العلوى مسجد لالة عودة الواقع داخل القصر الملكى بمكناس وقد فتحت بالقرب من المحراب باب تتصل بممر مستطيل يؤدى الى القصر الملكى ومن هذه الخوخة كان السلطان يدخل بعد اداء فروضه الى الستينية التى تقطنها الآن اسرة مولاى عبد الرحمن بن زيدان مؤرخ الدولة العلوية ونقيبها وتقوم بجوار هذا المسجد مدرسة وميضاء جددت الاوقاف معالمها بعد الاستقلال .

---

1 — الاستقصا ج 4 ص 23

2 — الاستقصا ج 4 ص 48 — 49

3 — فى عام 1145 هـ اصدر السلطان مولاى عبد الله امره بهدم مدينة الرياض — الزيانى — الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب — ترجمة هوداس ص 71)

4 — جورج مارسى — الهندسة المعمارية 397

5 — بنى سيدى محمد بن عبد الله ايام خلافته بمراكش علاوة على داره الكبرى وبستانها المسمى النيل قصرا آخر متصلا بغربى هذا البستان سماه القصر الاخضر وسمى ايضا المنصور وجعل له اربعة ابواب فى زواياه الاربع (والموجود اليوم ثلاثة ابواب فقط) وبابين متصلين بالقصرين المذكورين وجعل فى وسط البستان قبة تتصل بها فى الجهات الاربع مماش تفضى الى قباب آخر واسس بجوار قصره مسجد بريمة مع مدرستين للطلبة (الاستقصا ج4 ص90)

وتدين العاصمة الاسماعلية للمولى محمد بن عبد الله باعظم جوامعها وهو جامع (الروى) الذى اكد مارسى ان مظاهر روعته وجماله تتجلى فى (تناسب صحونه وباحته وبتصميمه الذى عولجت فيه العناصر التقليدية بروح اجنبية عن الفن الاسلامى بانعدام اى ممشى وتتنا سق اجزاء الصحن الخارجى الذى لايحيط به اى رواق ثم وضعية الابواب وتوزيعها الخاص المنافيان للمعهود فى خوخ المساجد المغربية مما يدل فى نظر المؤرخ الفرنسى على استعانة السلطان بمهندس اوربى لتخطيط هذه البناية ·

وفى فاس الجديد يوجد المسجد الذى بناه مولاى عبد الله نجل المولى اسماعيل ·

وتشتمل جميع هذه المساجد العلوية على صحون ــ قليلة العدد ــ تخترق المسجد على نسق ما عوهد فى فاس منذ ازيد من احد عشر قرنا باستثناء الفترة المرينية ــ اما فى الرباط فان جامع السنة الواقع خارج مشور تواركة من بناء سيدى محمد بن عبد الله الذى اوصل الناصرى الى نحو السبعين عدد منجزاته المعمارية ما بين منشأ ومجدد فى كثير من مدن المغرب علاوة على الصقائل والابراج والحمامات والاسواق والاضرحة والمدن (انفا وفضالة والمنصورية والصويرة) (I)

وقد تجدد بناء جامع السنة اواخر القرن الماضى ثم فى السنين الاخيرة وهو يحتوى على ساحة تحتل المقام الاول ــ مع ساحة صحن الجامع الاكبر بسلا ــ بين مساجد المغرب وتقوم فى جانبها الموازى للقبلة ست عشرة غرفة كان يسكنها الطلبة الافاقيون ويشبه هذا المسجد فى معالمه المعمارية الخاصة مسجد لالة عودة مكناس (2)

أما فى الهندسة العسكرية فان العلويين ساروا على غرار أسلافهم السعديين فالمولى اسماعيل اعظم من اقام القلاع والحصون وتنقسم القصبات التى اسسها

I ــ الاستقصا ج ص I2I)

2 ــ تاريخ المغرب ج 2 ص 358

الى ثلاثة انواع تبعا للمراد منها حسب المؤرخ طيراس (1) فهنالك نقط محصنة حول القبائل المتمردة وسلسلة من القلاع فى تادلة واعلى الملوية لصد قبائل الاطلس الاوسط ثم سلسلة ثالثة من القلاع اسست على طول الطرق الكبرى الممتدة بين تازة وتارودانت وقد توفرت كل حامية على جمهرة من الفرسان تتراوح افرادها بين اربعماية وثلاثة آلاف رجل (2) ومن جملة القلاع المهمة التى مازالت قائمة الى الان قلعة ادخسان فى الشعاب الشمالية للاطلس واكوراى (وهى التى احتفظت اكثر من غيرها بهندامها الاصلى) التى تراقب الاطلس الاوسط وقلاع تادلا وحميدوش (على مسافة ثلاثين كلم من اسفى) وبو الاعوان (على بعد 60 كلم من ازمور) ومديونة (على مسافة 20 كلم من الدار البيضاء) وكانت كل قصبة مسورة ومجهزة بابراج مربعة الشكل او مستطيلة فى احد جوانبها وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن والغالب ان القلعة لم تكن لها اكثر من سور واحد عدا قلعتى حميدوش وتادلا اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة .

وقد جهزت المدن كذلك بالصقائل والحصون (3) وانتشرت القلاع على ساحل المحيط الاطلنطيقى بالمهدية والدار البيضاء والعرائش وطنجة والصويرة وبالاخص الرباط حيث تشرف اعظم واروع قصبة (قصبة الوداية) على مصب ابى رقراق وتوجد بهذه المدينة ابراج ثلاثة اخرى هى برج الصراط وبرج صقالة (من بناء المهندس احمد الانجليزى فى سنتى 1755-1776) فى عهد سيدى

---

1 - ذكر الزيانى فى الترجمان (ترجمة هوداس ص 35) ان عدد فرسان كل قلعة كان يبلغ مائة على رأسهم قائد مسؤول عما يقع فى اقليمه من احداث وكان فى قلعة باب الخميس حامية تتركب من خمسمائة فارس من شراكة كلفوا بالسهر على الامن فى الطريق الواقعة بين السايس والمهدومة (وادى المهدومة من فروع سبو) .

2 - وقد اختط سيدى محمد بن عبد الله مدينة الصويرة واتقن وضعها وتأنق فى بنائها وشحن الجزيرتين الدائرتين بمرساها كبرى وصغرى بالمدافع وشيد برجا على صخرة داخل البحر وجلب اليها تجار النصارى مسقطا عنهم الاعشار ترغيبا لهم فعمرت فى الحين (الاستقصاج 4 ص 99) .

3 - بنى المولى سليمان مسجد الرصيف بفاس ورصف طرقات المدينة وبنى الصقائل والابراج بطنجة وبنى قنطرة وادى سيدى حرازم بخولان ومسجد الجزارين بسلا ومسجد السويقة بالرباط وقصر البحر بها وقنطرة ام الربيع وجدد قنطرة تانسيفت وذلك زيادة على المجدد والمرمم من العمارات المتعددة (الاستقصا ج 4 ص171)

محمد بن عبد الله وبرج الدار الحديث العهد (عـام 1824م) (1) ومـن بيـن العمارات الاستراتيجية العلوية القنطرة فوق نهر سبو عـلى مسافـة اربعـة كيلومترات من فاس (وهي من بناء مولاى رشيد) وقنطرة ام الربيع (بنيت ايام مولاى اسماعيل وقيل ايام مولاى سليمان (حسب الناصرى الاستقصا ج 4ص 171) التى لايقل طولها عن طول القنطرة الرشيدية مع عشرة اقواس من الحجر. اما الدار المغربية فانها احتفظت بتصميمها وهندامها المعمارى اللذين اصبحا المظهر التقليدى منذ نهاية العهد المرينى اى منذ نحو من خمسة قرون فالباحة الداخلية التى تتصل بالخارج عن طريق ممر منعرج ـ يتناسب مع لوازم الحجاب العرفية ـ محاطة باروقة مسقفة مستطيلة على النمط اليونانى الرومانى .

وتتفتح فيها غرف ذات ابواب ضخمة تعلوها شماسات مفرغة وتقوم على جانبها نافذتان متوازيتان وفي احد جوانب «وسط الدار» يوجد بهـو منمـق الجدران كباقى أجزاء المنزل علاوة على سقاية تواجه البهو احيانا .

ويرى المؤرخ جورج مارسى ان الدور المغربية تتسم بمياسم ثلاثة او ترجع الى ثلاث مدارس هي مدرسة الرباط وسلا ومدن الساحل (2) ومدرسة مكناس وفاس ومدرسة مراكش ومدن او قرى الجنوب فالتصميمات واحدة فى هذه المدارس (3) وانمـا يختلـف الهيكـل العام ومعالم الزينة تبعا لهذه الاقاليم فالاسلوب الموحدى يغلب وجوده في المدن ذات الطابع الاندلسى حيث تحيط مثلا الحنايا

---

1 ـ كان عدد المدن فى العهد العلوى مائتين وخمسين مدينة لاتحتوى اصغرها على اقل من ثلاثين الفا من السكان وكان بفاس ستة عشر مائة الف نسمة (اسماعيل الاكبر امبراطور المغرب ـ دوفونطان ماكسانج ص 14) هذا بينما كان عدد كبريات الحواضر فى الاندلس يبلغ العشرين حسب ابن سعيد والمدن الوسطى ثلاثمائة مع عدد ضخم لايحصى من المراكز الصغرى من بينها اثنا عشر الفا على ضفتي الوادى الكبير وحده (نفح الطيب ج1 ص 106)

2 ـ تويريخ الرباط لكايى ص 30

3 ـ هذا الاسلوب يغلب حتى بفاس التى يشرف على دورها الطابع المرينى وتلاحظ كذلك تاثيرات اوربية فى هذه المدن اذ لاننسى مثلا ان السويد والدانمارك كانتا تمدان السلطان سيدى محمد بن عبد الله بمهندسين وصناع فى البناء (كودار ج 2 ص563)

الحجرية بساحة الدار الوسطى (I) وهذه الطريقة الهندسية مقتبسة من الاندلس •

وفى بعض المدن كفاس حيث تسيطر التقاليد المرينية تحتوى الدار على طابقين تتوفر فيهما مظاهر الزخرفة بينما يتبسط هذا الاسلوب فى مدن الشمال الاخرى كوزان وتازا (باستثناء تطوان الاند لسية الهندام)

وسواء فى الجنوب ام فى الشمال فان الطوب والآجر يتعارضان مع الاحجار غير المنحوتة والمجيرة فى الرباط وسلا ويتجلى ذلك فى نصاعة البياض فى هاتين المدينتين ازاء مراكش الحمراء غير ان معظم الدور الكبرى كانت تحتوى على روض ـ يشغل جناحا خاصا باروقته وغرفه وظلت بعض المدن متمسكة بهذه التقاليد الاندلسية ففى تطوان مثلا يملك الاثرياء مصطافات «وجنانات» لقضاء حقبة من فصلى الصيف او الربيع ولم تكن اثمان العقارات مرتفعة بالبادية فالهكتار الواحد من الحدائق المغروسة كان يساوى آخر القرن الماضى بطنجة مائتى فرنك بينما كانت قيمة الفدادين (من 7و8 هكتارات) لاتزيد على مائة فرنك اما فى الداخل فكان فى وسع المرء ان يصبح ملاكا بمائتى او ثلاثمائة فرنك (I8) •

وقد تجلى ذوق الملوك فى غراسات بعض الضيع كالمنارة بمراكش ولالة مينة بفاس وحمرية بمكناس واكدال بالرباط •

I7 ـ كودار ج I ص I90)

الفصل الثاني عشر

اسباب الحماية

منذ حرب الجزائر بدأ المغرب يصطدم بتدخلات متوالية فاثارت فرنسا مناوشات بالحدود الشرقية واستغلت دول اوربا ضعف جهاز الدولة لاستئصال كل صمود امام تسرب التجارة الاروبية وتنازل المولى عبد الرحمن عن احتكار الواردات لفائدة المملكة كما خفض رسوم الاصدار الى عشرة فى المائة واسفر «الباب المفتوح» عن غلاء الاسعار وعن تكتل الفكر العام ضد المغير الاجنبىلاسيما بعد الاستفزازات الاسبانية فى حدود سبتة وحرب تطوان واضطرار المغرب الى اداء مائة مليون بسيطة من التعويضات واقتناء الاملاك فى التراب المغربى وازدياد المحميين من المواطنين وبالرغم عن اعتراف المغرب (اتفاقية 19 غشت 1863) بحماية فرنسا للفلاحين المشتغلين مع الرعايا الفرنسيين فان فرنسا ظلت تستغل جميع الفرص للانقضاض على الحدود حيث توغل الجنرال ويمبفن من التخوم الصحراوية الى ابواب تافيلالت ولم يتمكن محمد الرابع ولا الحسن الاول من ضمان امتداد الكيان المغربى الا بفضل سياسة البرود والتدافع بين الدول على ان السلطان واجه فرنسا بالمثل فاستغل ضعفها بعد حرب 1870 لمنازعتها

توسيع حق الحماية الناتج عن معاهدة 1867 واتفاقية 1863 (1) وقد احيلت القضية على مؤتمر دولى انعقد بمدريد عام 1880 شارك فيه لاول مرة مع الدبلوماسيين الاوربيين ممثل سلطان المغرب فتضافرت الدول على فرض حق التملك للاجانب بالتراب المغربى (اتفاقية 3 يوليوز 1880 شعبان 1298 هـ) ولولا مقاومة القبائل المغربية فى حدود الجزائر للتسرب الفرنسى بتواطؤ مع السلطان لكان اقتطاع الاستعمار لهذه التخوم اشد وكانت أنجلترا تنافس فرنسا وتسعى من جهتها لبسط حمايتها على المغرب وحاول السلطان الاستفادة من هذا التنافس لعرقلة واحباط الاطماع الاجنبية ٠

ويموت الحسن الاول (1311هـ ـ 1894م) انفتحت ثغرة خطيرة فى الكيان المغربى فتحكم الحاجب «ابا حماد» بن موسى فى اختيار الامير الجديد المولى عبد العزيز الذى لم يكن عمره يزيد على ثلاث عشرة سنة (2) وكان ضعيف الطبع ميالا الى المرح مماشجع ابا حماد على فرض وصايته على العرش وفصل الامير الشاب عن الاستعداد لاستلام مقاليد الحكم ولم يتردد ابا حماد فى الانتصاب كوزير فاستجاش بذلك المولى محمد وعم السلطان المولى عمر وءال الجامعى الذين ابعدوا عن الوزارة وصودرت اموالهم وبتنصيب اخويه على الحجابة ووزارة الحرب اكتملت مقومات حكم استبدادى ضمن مع ذلك للمغرب السلامة المالية والاستقرار خلال ست سنوات وكان قوام الاستصحاب السياسى هو مفاوضة القبائل ومدافعة الدول الاوربية

ولدى وفاة اباحماد استوزر السلطان كاتبه الحاج المختار بن احمد ونصب على وزارة الحرب المهدى المنبهى الذى مالبث ان اصبح صاحب السر ومنظم الملاهى بينما تعين فضول غرنيط صدرا ٠

وكان للسلطان ولوع بالاصلاح غير ان تهالكه على ارضاء غرائزه الصبيانية جعله ينساق مع التيار الغربى وينهمك فى اللعب المجلوبة من اوربا فاحاط نفسه بشرذمة من المغامرين والسماسرة مثل ماكلين الانجليزى الذى

---

1) تاريخ افريقيا الشمالية ـ اندرى جوليان ص 727 نقلا عن تقرير للصحافى الانجليزى هاريس الذى اتصل بالحسن الاول وترك لنا وصفا عن حياته ٠

2) ويظهر ان الحسن الاول كان قد نحى عن ولاية العرش نجله المولى محمد وجعل مكانه المولى عبد العزيز ٠

ظل ربع قرن مدربا للجيش وقد تمخض تهافت المسيحيين على البلاط عن سريان موجة من الاستياء في نفوس الشعب المحافظ مافتئت ان استحالت الى تمرد عارم لاسيما بعد تقرير استغلال الزكوات والاعشارالشرعية باسم الترتيب وتسخير الامناء والعدول لجبايتها وكان القواد في طليعة المتذمرين نظرا للرفد الفادح الذى كانوا يستدرونه من الضرائب بتحديد اجورهم وكذلك بعض القبائل والاشراف الذين لم يعد يشملهم الاعفاء فنتجت عن ذلك فوضى واختلال في عصب الدولة زاده تأزما قيام الجيلالى بن ادريس الزرهونى المعروف ببوحمارة الذى انتحل السحر وتطوف على القبائل بالجزائر وتونس وادعى الشرف وزعم عند اهل غياثة انه المولى محمد أخو السلطان واجج الثورة فى جبالة وايت يوسى وكروان وزمور الشلح واتخذ تازة حضرة لامارته فاحتل وجدة وضعف المخزن عن قمعه وتحللت دعائم الدولة لاسيما وان اورباصبحت تجنى مازرعه دعاتها من قلاقل فتأزم الوضع الدولى وانفتح ملف القضية المغربية واندس الفرنسيون لتحقيق احلامهم ببسط نفوذ فرنسا عن طريق التدخل المسالم تعزيزا للسيطرة على افريقيا الشمالية ونادى جوريس على منصة البرلمان بحماية فرنسا الاقتصادية على المغرب «وقد بدأت فرنسا منذ ان خلا لها الجو بوفاة ابا حماد (1318هـ-1900) فى سلسلة مناوراتها لاقتطاع اطراف المغرب الشرقى بفرض اتفاقيتى عام 1319هـ (20 يوليوز 1901 و 20 ابريل 1902) حسما للوازم معاهدتى طنجة ولالة مغنية. (1844 1845) واقتطاعا من الاقاليم التى حددتها الاتفاقية التركية العلوية وهكذا انفتحت امام المغرب جبهتان أذكى كلتيهما الاستعمار خضدا لشوكة المملكة فاحتلت فرنسا بدعوى ضمان امنها فى التخوم المغربية الجزائرية مراكز بشار وفرطاسة وبركنت واصبحت فى ظرف سنتين (1904-1906) مالكة لزمام الهضاب العليا الى ملوية وتزايدت الفوضى وانضم زعير وزمورالى الثوار وعاث الريسونى فى الشمال وانقطعت المواصلات بين الاقاليم التى تخللتها جيوش بوحمارة الرابضة فى تازة وتكونت بفرنسا «لجنة المغرب» داعية الى التدخل المسلح لبسط وصاية على المملكة فتعاون مع الاسبان وبدأت سلسلة الاتفاقات السرية تبرز للعيان تواطؤ الدول الاوربية التى تقاسمت النفوذ فى مصر وليبيا والمغرب وبذلك اعترف الانجليز (8 ابريل 1904) - (22 محرم 1322 هـ) لفرنسا بنوع من الحماية على المغرب فى مقابل اندراج مصر فى منطقة النفوذ البريطانى وناب اسبانيا حظها من هذا الاقتطاع شمالى المغرب (3 اكتوبر 1904) وبدأت

فرنسا تعزز تسربها السياسي بقروض مالية (68·500·000 فرنك) اعقبتها بمراقبة الجمارك وتنظيم مصالح البريد والبر قواشراف ضباط فرنسيين على تدريب طوابير مغربية غير ان المانيا أثارت عام 1905 أزمة دبلوماسية بأوربا مالبثت أن شجعت السلطان على الانتقاض والاحتجاج ضد اتفاقات 1904 بواسطة سفارة الى برلين يرأسها الصدر ج محمد المقري وفي 31 مارس 1905 (24 محرم 1323هـ) نزل غليوم الثاني عاهل المانيا بطنجة مؤكدا انه يزور سلطان المغرب كملك مستقل وانه يامل ان يتفتح المغرب الحر تحت سيادة السلطان العليا للتنافس المسالم بين جميع الدول دون اى امتياز ولااحتكار «وكانت المبادلات الاقتصادية المغربية الالمانية تمثل ءانذاك عشر صفقات المغرب الخارجية فكانت المانيا تطمع في توسيع نفوذها بالمغرب فهالها ان تبرم اتفاقات دون مشورتها وهبت لاعلان موقفها مقترحة باتفاق مع المغرب عقد مؤتمر دولي لانهاء هذا الوضع الشاذ فابرمت اتفاقيتان بين فرنسا والمانيا (6و8 جمادى الثانية 1323 ــ 8 و10 يوليوز 1905) لتخطيط جدول اعمال المؤتمر بضمان سيادة واستقلال وكيان المغرب وحريته الاقتصادية فكانت نكسة لفرنسا رغم الاعتراف لها بالوضع الخاص وانتصارا للريخ في الحقل الاوربي غير ان الحالة الدبلوماسية والعسكرية قد تغيرت في اوربا بعد انتهاء الحرب الروسية اليابانية وتعزيز فرنسا لجهازها الدفاعي فتوثقت العرى من جديد بين انجلترا والدول اللاتينيية الثلاث واضطرت المانيا الى التنازل حيث لم تقف في صفها سوى النمسا بينما تكتل الباقون حول فرنسا فلم يؤيد عقد الجزيرة (12صفر 1324 ــ 17ابريل 1906) الذي لم يزد على المناداة باستقلال السلطان وصون كيان مملكته والمساواة الاقتصادية بين الدول مع تدويل حركة الاصلاح باسناد الشرطة الى ضباط بلجيكيين وفرنسيين واسبان وتأسيس بنك مخزني اممي وجمعية دولية لاستغلال التبغ ولعل الوضع الجديد قد قلص من غلواء الاطماع الفرنسية غير ان بنود العقد ظلت عمليا حبرا على ورق نظرا لانفراد فرنسا في الميدان ولاستمرار العمل السري بالاتفاقات السابقة وقد تعللت فرنسا بخرق عاملي وجدة وتافيلالت للا وفاق وباقتبال البلاط لماء العينين واغتيال احد الفرنسيين بطنجة ومهاجمة اخرين بالصويرة ومراكش حيث قتل الدكتور موشان كما قتل سبعة عملة اوربيين من بينهم خمسة فرنسيين ــ بالدار البيضاء (1907) للقيام بحملتين على المغرب الشرقي والشاوية وبذلك احتل الجيش الفرنسي (14 صفر 1325هـ ــ 29 مارس 1907) وجدة

ودائرتها ثم استولى الجنرال ليوطى (1907 ـ 1908) على مجموع بنى يزناسن اما فى الدار البيضاء فان طرادة فرنسية نزلت بالميناء (25جمادى الثانية 1325 هـ 5 غشت 1907) وقنبلت المدينة التى هب لاحتلالها فيلق يحتوى على الفين من جنود الجزائر بقيادة الجنرال درود وقد دافعت القبائل المجاورة عن حوزة هذا الاقليم ولكن الجيش الفرنسى تلقى الامر من حكومته بدعوى اقـرار النـظام وحماية القناصل للزحف على الشاوية وفى 16 غشت من نفس الشهـر بايـع الشعب فى مراكش المولى عبد الحفيظ الذى رابط جيشه بمديونة فى الوقت الذى وصل فيه المولى عبد العزيز الى الرباط واقتحم درود تعزيزا لحركته قلعة مديونة فى اول يوم من عام 1908 ثم انبرى خلفه الجنرال داماد لاحتلال فضالة وبوزنيقة لحماية السلطان مولاى عبد العزيز وكانت فرنسا تزحف بحذر ضد المولى عبد الحفيظ خشية اثارة المانيا باستفزازاتها غير انها لم تتردد فى مواصلة الزحف الى سطات التى احتلتها وجلت عنها اربع مرات ثم ابن احمد وسيدى سليمان وازمور ودكالة بالرغم عن احتجاجات الصحافة الالمانية واستقرت قوات الاحتلال بالشاوية تحت امرة الجنرال موانيى الذى خلف الجنرال داماد وتابع المولى عبد الحفيظ سيره معززا من طرف المانيا فبايعته فاس (7 جمادى الاولى 1326 ـ 7يونيه 1908) وانهزمت كتائب المولى عبد العزيز الذى خلع عن العرش والتجأ الى الشاوية ثم طنجة واضطرت الدول الموقعة على عقد الجزيرة ازاء التفاف الشعب حول الملك الجديد الى الاعتراف به بشرط موافقتـه عـلى التزامـات سلفه فتم ذلك فى 5 يناير 1909 وطفقت المانيا تدس لفرنسا بتحريض عناصر من اللفيف الاجنبى على الفرار مما حدا حكومة باريس الى ادانة المانية امام محكمة العدل الدولية بلاهاى (2 جمادى الاولى 1327هـ 2 مايو 1909)

وانتهى النزاع بابرام اتفاقية اعترفت فيها المانيا ـ فى نطاق عقد الجزيرة بمصالح فرنسا الخاصة واحقيتها باقرار الامن والنظام فى المغرب ومع ذلك بقى المولى عبد الحفيظ ينافح واضعا الاشواك فى طريق التنفيذ مما اضطر فرنسا الى التعهد بالجلاء عن الشاوية والمغرب الشرقى بمجرد ما يتمكن المخزن من اعادة الامن بواسطة جنود يدربون على يد ضباط فرنسيين واقترض المغرب من فرنسا عن طريق البنك المخزنى وتضاعف نفوذ باريس فى مراقبة الاملاك المخزنـية والاشغال العمومية وتمكن المولى عبد الحفيظ من تنحية اخيه الاكبر مولاى الكبير وتمكن من القضاء على الشريف العلامة سيدى محمد الكتانى واعتقال بوحمارة

ونقله فى قفص الى فاس حيث نفذ فيه الاعدام غير ان الشعب المغربى لم يتقبل الوضع الناتج عن اتفاقات الدول فواصل نضاله فى المغرب الشرقى وملوية والجنوب والشمال ، حيث ثارت الشراردة وبنومطير ضد فاس وبايعت مكناس مولاى الزين وقامت فرنسا ـ تركيزا لنفوذها ـ بحماية فاس واعتقال مولاى الزين والضرب على ايدى الثوار بزعير وزمور وعزل نواحى الشرق وكانت فرنسا تعمل فى الخفاء لتنفيذ ما بيتته مع زميلتها الاسبانية التى استغلت حادثة التنكيل بعمال المنجم الحديدى بمليلية لارسال الجنرال مرنيا فى حملة ضد السكان تمهيدا لعقد معاهدة مع السلطان (14 ذو القعدة 1328 هـ ـ 17 نونبر 1909) ابتزت بمقتضاها فوائد جديدة فى الحسيمة وسبتة مع تعويضات حربية ثم بدأت منذ العام التالى تحتل القسم الاطلنطقى من المنطقة الشمالية فاقتحمت العرائش والقصر الكبير ثم حاولت فرنسا تعقيم سير التهجمات الالمانية بمشروع مشترك لاستغلال الكونغو وازاء استعصاء تنفيذ المشروع أعلنت المانيا (1 يوليوز 1910) ارسال بارجة الى مياه اكادير لحماية دورها التجارية فكان لذلك وقعه فى كل من انجلترا وفرنسا وكان العامل الاساسى هو ان المانيا شعرت بان عقد الجزيرة امسى حبرا على ورق وان العمل الدولى بالمغرب مجرد تضليل وكانت هى ايضا تود الحصول على حظها من الغنيمة بتعويضات فى افريقيا الاستوائية فأبرمت اتفاقية بين الطرفين (4 نونبر 1911) فى مقابل حماية المغرب وظهر بذلك مقصد فرنسا وهلهلة السند الالمانى فانهار كل حاجز امام بسط الحماية الفرنسية التى امضيت معاهدتها فى 11 ربيع الثانى 1330 هـ ـ 30 مارس 1912 بين السلطان والممثل الفرنسى رينيو .

وسبقت هذه المعاهدة الاتفاقية الفرنسية الاسبانية 27 نونبر 1911 التى حصلت اسبانيا بموجبها اكثر مما ضمنته لها اتفاقية 1904 فتمزق المغرب باقامة منطقة اسبانية مستقلة تحت امارة خليفة يختاره السلطان من بين مرشحين تقدمهما اسبانيا وتأسست شركة فرنسية اسبانية لاستغلال خط حديدى بين طنجة وفاس وظل نظام طنجة موقوفا الى عام 1923 م (1341هـ) وبهذه الافة الاستعمارية العارمة فقد المغرب استقلاله لاول مرة فى تاريخه منذ الفتح الاسلامى اى فى فترة كان العالم العربى والاسلامى يتجه بخطى حثيثة نحو حياة دستورية برلمانية ولم يحل توالى النكبات والتدخلات الاجنبية دون صدور مشروع دستور مغربى فى 15 رمضان 1326 (11 اكتوبر 1908) مركب من اربعة فصول و 93 مادة كانت مرآة لما تلجلج اذ ذاك فى صدر الشعب من توقان الى حياة نيابية تضمن للامة سيادتها وللبلاد نظاما قويما تتوازن فيه المقومات فى جميع مرافق حياة الدولة والقطاعات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

الفصل الثالث عشر

المقاومة المسلحة

اسفرت الدسائس الموصولة المنسقة بين بعض دول اوربا عن تشديد الضغط على المغرب بواسطة القروض الاجبارية وحركات التهدئة المتعللة بحماية الرعايا الغربيين والتخوم الشرقية عن فرض الحماية على السلطان مولاى حفيظ الذى كانت انتفاضته فى الجنوب تهدف الى صون السيادة بجيوش استنفرت من الصحراء واقصى الجنوب وتجمعت حشودها فى الساقية الحمراء بزعامة الشيخ ماء العينين وولده الهبة وانضمام المجاهدين من الاطلس والسهول وماكاد نبأ توقيع المعاهدة بفاس يطرق الاسماع حتى انتفض السكان والقبائل المجاورة وطوقت المدينة وامتلأت الاسوار بآلاف المجاهدين بزعامة الحجام وثار الجيش السلطانى على ضباطه الفرنسيين وكانت ملحمة دامية قتل فيها عدد من الفرنسيين (17ابريل 1912) وشارك فى الحملة الجماعية ضد الوجود الفرنسى العلماء والتجار والنساء والاطفال فقنبلت فرنسا جانبا من المدينة واعدمت عشرات السكان وتجمعت السلطات فى يد شخصية عسكرية هى الجنرال اليوطى الذى ورد على فاس يوم 28 مايو فى خضم من الاضطرابات الشعبية ما لبثت ان شملت المغرب عن بكرة ابيه (1) فثار بنو مطير وكروان وزعير وتادلا وزحف الهيبة على

---

1) يلاحظ أن العمال المغاربة الذين كانوا يشتغلون اذ ذاك فى مد السكة الحديدية بين الرباط وسلا غادروا اعمالهم فى جنح الليل دون المطالبة باجورهم (كتاب اندرى كولبيز حول الحماية 1930ص104).

مراكش ونقل السلطان بعد تنازله عن العرش الى فرنسا فبويع اخـوه مـولاى يوسف من الغد وسير اليوطى خمسة آلاف جندى لصد الهيبة وجيشه الزاحف نحوالشاوية وحصل منذ 1914 من فرنسا على قرض بلغ مأتى مليون فرنك لتصفية الماضى وشراء **بعض الضمائر وتركيز القواد الاقطاعيين فى الجنوب وفى طليعتهم (التهامى الكلاوى)** ومحاولة قمع شعاب الاطلس الكبيـر فـى حركـة عسكرية من مراكش الى الصويرة ودمنات بمعونة جهاز اقطاعى عملت فرنسا على مساندة تعسفاته وواصل الجنرالان مانجان وكورو حركة الابادة فى الشمال والشرق ثم قامت الحرب وحجزت الحماية قموح المغرب لفائدة فرنسا المحاربة التي درت عليها هذه الصفقات خلال ثلاث سنوات (1914ـ 1917) ثلاثمائة مليون فرنك ذهبى (1) واندلعت الثورة فى تافيلالت عام (1916) ثم الملوية العلوية (1919) وظل جيش الاحتلال المتحرر من قيود الحرب يواجه الحملات القبلية طوال اربع سنوات (1920ـ1923) فى الاطلس الصغير وبين لكوس والملوية

واتسعت شبكة المقاومة المسلحة ، فى الاطلس والصحـراء والشـمال والجنوب فاستمرت فى زيان وبنى مكيلد الى عام 1923 وفى وادى العبيد (2) من 1929 الى 1931 وفى ايت يحى وايت اسحاق والبحيرة الى 1923 وفى ملول واعالى الاطلس الى 1933 وقد اصطدم القواد الاقطاعيون فى نفس الوقت بصمود شعبى أججته الحملات التى تبلورت فى مراكش ضد المستعمر واعوانه ثم فى الشمال هزم محمد امزيان بالريف عام 1909 ثلاث فرق اسبانية مات من رجالها جنرالان وعشرة الاف جندى ثم ثارت جبالة عام 1913 فى الشاون وتطوان الى أن تحالف الأسبان مع الريسونى خلال الحرب العظمى ورغم انهزام جيش الجنوب فى سيدى عثمان فان حركة الفداء امتدت جذورها فى الساقية الحمراء والسوس والاطلس الكبير الى عام 1935 (3) وقد ذاق الفرنسيون الامرين فى تافيلالت وآيت عطة على يد الشريف السملالى المعروف بموحا حمو نيفروطن الذى كافح ضد الجنرال بويميرو من 1917 الى 1929 فى انتفاضة أودت بحياة جم غفير من الجنود وواصل النضال خلفه النقادى الى 1935.

---

1) اى مليار ونصف بصرف 1930 وأكثر من 30 مليارا بالصرف الحالى .

(2) اسر الوطنيون فى بنى ملال اربعة اوربيين فدتهم فرنسا بسبعة ملايين فرنك (كوليز ص 155) .

(3) راجع الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى 1948 ص 107.

وكانت الامة من نهر السنغال-الى سواحل المتوسط قد قامت قومة رجل واحد لمناوأة المحتل ثم السلطان نفسه بعد توقيعه عقد الحماية ولـم تنجـع اساليب الاستعمار الناشيء التى ارتجلها ليوطى ودعت اليها ابواقه الصاخبة لان الامة لم تضع السلاح الا بعد نفاده فى غير رهبة ولارغبة

حرب الريـف

وقد انبرى آل عبد الكريم الخطابى غب الحرب العظمى يواصلون سلسلة الغارات على الاسبان وكان والد محمد عبد الكريم قد حاصر تفريست قرابة شهر فمرض فتزعم ولداه تحرير دار ابارا المحتلة من المقاتلين الاشاوس ولم يبلغوا عدد رجال بدر ثم طاردا الاسبان بعد انهزام شنيع مات منهم فى غمرته 400 جندى وستة ضباط وتعزز الروافة بالعتاد والمدافع والذخيرة المسلوبة وكان زعيم الريف قد اضاف الى تكوينه الاسلامى فى جامعة القرويين دراية سياسية وحنكة عسكرية باتصاله بالاسبان فى مليلية حيث تولى القضاء واكتشف نقاط الضعف عند الخصم وعزل من منصبه بعد احتجاج والده ضد احتلال الشاوية واعتقل مع اخيه عام 1920 ثم اطلق سراحهما فكانت نقطة انطلاق كللت بمعركة انوال التى انهزم فيها الاسبان فى 21 يوليو عام 1921 بعد اصطدام شديد مدة ستة ايام واستولى المجاهدون على عشرات المراكز الحربيـة و220 مدفـع و20.000 بندقية ومليون خرطوشة علاوة على السيارات مما ساعد الجيش الريفى على خوض غمار موقعة عريت والضرب على ايدى الاسبان الذين طوردت فلولهم الى ارباض مليلية ثم توبعت المعارك بين مليلية والحسيمة اسفرت عن اسلاب تعززبها الجيش الريفى فاستدعى الجنرال برانجى قائد عملية الريفومقيم اسبانيا العام بالشمال الى مالقة للتشاور حول الصلح ولكن العزم قر على الصمـود بحشـد خمسين الف جندى لتطويق بنى عروس وخاصة اجدير وفى يوم 25 مارس1922 تصدت المدفعية الريفية لجيش العدوحول الحسيمة فخسر برانجى ثمانية الاف بين قتلى واسرى ودمر المغاربة مراكز كما اغرقوا بوارج حربية بمفعولسفينتهم الوحيدة واهتاج الاسبان وانصاعوا للاتفاق ولكن مطالبة الريفيين باستقلال المغرب الشمالى عن اسبانيا عرقل المهادنة وفى عام 1923 استولى المقاومون على مراكز العدو بين جبل درسة وشفشاون وكبدوه هزيمة فظيعة حول مدينـة داغيت تحرج بعدها موقع الجيوش الاسبانية فبادرت حكومة مدريد بطلب الصلح

وانتدبت وفدا للتفاوض فاصر الريفيون على الغاء الحماية بينما عرض الاسبان على ابن عبد الكريم النيابة فى الريف عن خليفة السلطان وكانت الحكومة الريفية تعتبر نفسها مستقلة فى نطاق جمهورية انبثقت من الجمعية الوطنية وترأسها الزعيم وخلفه عليها اخوه امحمد وساعده وزراء المالية والخارجية والتجارة والعدل وكان دستور الجمهورية يطالب بالغاء كل اتفاق يمس حقوق المغاربة وبجلاء الجيش والاعتراف باستقلال الدولة الريفية وتعويض الريفيين عن الخسائر التى لحقت بهم اثنى عشر عاما وتوطيد العلائق الخارجية مع العالم على قدم المساواة وكان لرئيس الجمهورية بحكم حالة الطوارىء اختصاصات القائد الاعلى للجيش والسلطات الواسعة غير المحدودة لرسم خطوط الدفاع ٠

وقد تعزز جانب هذا الهيكل عام 1924 بانضمام قبائل الجبل بين تطوان والانجرة ووادى لو وشفشاون ثم قوات اخرى من الفنيدق الى العرائش فاضطر رئيس حكومة مدريد الجنرال بريمودى ريفيرا الى استنفار سائر جيوش اسبانيا لحماية المراسى واستونفت المفاوضات فجددت جمهورية الريف المطالبة بالجلاء عن المغرب ودفع تعويضات قوامها عشرون مليون بسيطة و 15 طائرة و 120 مدفعا ولكن الاسبان رفضوا وبدأوا ينسحبون عن مائتى مركز من مراكزهم وتطبيقا لمقررات المجلس الحربى الذى انعقد بتطوان غير ان استمرار الثورة فى خط الدفاع الاسبانى قطع انفاس العدو كما ان فرنسا شعرت بخطر هذه الاندلاعة التى توشك ان تهدد وجودها فى الجنوب ففتح قائدها المريشال اليوطى جبهة جديدة وكان يحسب ان اسبانيا ستكفيه هذه المؤنة ولكن توالى الهجمات الاسبانية حدته الى المبادرة بالهجوم على الحصون الامامية الريفية فى وادى ورغة وكان جانب من الفكر العام فى فرنسا واسبانيا قد بدأ ينظر الى الزعيم محمد ابن عبد الكريم كبطل للاستقلال المغربى ويدعو الى مساندته مما حدا الحزب الراديكالى الاشتراكى الى مطالبة الحكومة الفرنسية بجعل حد لهذه المغامرة الريفية بمفاوضة الامير لاقرار الصلح ولكن المريشال بيتان الذى عينته فرنسا لقيادة العمليات كان من انصار مواصلة الحرب بتطويق الريف واثارة القبائل ثم مهاجمة قلب المقاومة وبعد انهزام فرنسا فى ورغة فكرت فى تنسيق جهودها مع اسبانيا التى كانت حرب الريف انهكتها ففكرت فى احتلال اجدير لانقاذ سمعتها ثم الجلاء عن المغرب كله ونجح بيتان فى اقناع الجنرال ريفيرا الاسبانى بالنزول فى الحسيمة معززا بالاسطول الفرنسى ثم احتلال اجدير وكان اليوطى

قد اقيل من منصبه كمقيم عام بالمغرب وخلفه السيد ستينغ وتأزمت الحالة لان عوامل الثورة الريفية اندلعت فى الحواضر لاسيما بعد وصول روافة الى تازة وتطوان فى حملات ظافرة بالبيبان والكيفان وبعد ان تواردت رسل امير الريف الى قواد الاطلس تدعوهم للانقضاض تضامنا مع الشمال وقاطع الناس مدارس الحماية خاصة بناحية فاس فاحست فرنسا بتزايد الخطر الداهم الذى اصبح يهددها لا فى المغرب وحده بل فى افريقيا فحشدت فى ربيع 1926 اثنين وخمسين جنرالا ومائة وعشرين الف رجل و 22 سربا من الطائرات وعتادا ضخما صارفة فى ذلك عدة مليارات من الفرنك فلم يبق الاتنسيق العمل مع الاسبان لتحقيق حملة مشتركة ورغم كون ستيغ لم يكن يرى سوى وسيلة واحدة لانقاذ الموقف وهى التفاوض حيث طار لباريس واقنع وزير الحرب فان الحكومة الفرنسية لم تقتنع فاسفرت الحملة المنسقة التى عززت بعناصر التخاذل ودعاة الهزيمة من رجال القبائل والمشعوذين ـ عن استسلام محمد بن عبد الكريم يوم 25 مايه 1926 وكان الامير قد شعر بهذا التواطوء فرضخ للتفاوض الشريف وحمل السيد باران رسالة مهادنة الى ستيغ الذى ظل مصرا على سياسة التفاوض ولكن الامير مالبث ان نفى مع اخيه محمد وباقى عائلته الى جزيرة لارينيون وقد عرف الامير كيف يدلل على روعة انتفاضته التى لم تكن ثورة على العرش المغربى بل مجرد حرب تحريرية لاجزاء الوطن المغتصب ولم يكن فى هذه الحركة مايسمها بطابع صيلبى ولذلك اضطر الامير وهو فى غمرة الحرب الى استئصال بذور هذه الدعاية بايفاد رسل الى باريس ولندن وفى طليعتهم اخوه عام 1923 ثم عريضة الى عصبة الأمم ولكن بدون جدوى .

وقد قضى الامير فى منفاه احدى وعشرين سنة قررت فرنسا اثرها نقله عام 1947 الى بلادها فدبر مكتب المغرب العربى لدى نزول الامير بقناة السويس خطة لفراره فاستقر مع عائلته بالقاهرة واكرمت مصر وفادته واتصل بجلالة الملك الراحل محمد الخامس عام 1960 اثناء رحلته الى الشرق فاقنعه بالعودة الى الوطن وقرر الامير الرجوع للاستقرار بطنجة ولكن المنية عاجلته فى 11 رمضان 1382 (6 يبراير 1963) .

الفصل الرابع عشر

الحماية الفرنسية تتعثر

1912 - 1935

فوجئت (1) فرنسا تحت تيار الملابسات المواتية بحدث لم تكن تحلم به وهو بسط حمايتها على معظم المغرب(2) وشرعت بمقتضى سيادتها الجديدة تعمل على الغاء او تقليص اثر معاهدات المغرب مع الدول فجردت المانيا من امتيازاتها التجارية استناذا الى معاهدة فرساى (28 يونيه 1919) وحجزت باسم المغرب املاك الريخ بالمغرب ثم الغت نظام المحاكم القنصلية (3) ومسطرة المزاد فى المشاريع الكبرى او الاستغلالات المعدنية الامية ولم يبق من اللجان الاربع

---

1) رغم تاسيس « لجنة المغرب » بباريس عام 1904 لدعم مطامع فرنسا بالمغرب فقد تأسست ضدها « شركة برلين المغربية » وقامت داخل البرلمان الفرنسى عام 1908 حملة ضد الوجود الفرنسى بالمغرب تزعمها جوريس الذى نادى بترك المغرب للمغاربة وندد باليوطى ورفض بعد ذلك المصادقة على معاهدة الحماية مع الفوج الاشتراكى ولم يكن جوريس فى البداية من المعارضين ٠

2) كان وزير خارجيتها نفسه يقترح اقتسام المغرب مع اسبانيا على اساس منحها الغرب ووادى سبو واويناون وفاس وتازة ثم نصت اتفاقية 1904 على اقليم لم يكن يشمل القصر والعرائش فعوضتهما اسبانيا لفرنسا بجزء من وادى ورغة شمالا وبناحية تقع جنوبا بين وادى درعة ووادى سوس

3) بظهيرى 1914 وموافقة الدول الموقعة على عقد الجزيرة عدا الولايات المتحدة وانجلترة فقد احتفظت هذه بمحمييها وبريدها الخاص وطالبت باسم المساواة الاقتصادية بتعمير الاراضى الفلاحية مثل المعمرين الفرنسيين

المشكلة فى عقد الجزيرة ـ فى شأن السمسرات والاشغال العمومية والديوانة سوى لجنة التقويمات الجمركية التى تحدد تعاريف تقويم الصادرات والواردات واستطاعت فرنسا ان تجرد البنك المخزنى من طابعه الدولى لتحيله الى شركة فرنسية تملك ثلاثة اسباع الاسهم والمتصرفين الاداريين ($\frac{6}{14}$) تحت مراقبة المندوب السامى المغربى النظرية واحتكر البنك المخزنى اصدار العملة وسك النقود لفائدة الحكومة كما حصل على الاسبقية فى منح القروض لتطوير الاقتصاد

وحجرت فرنسا على السلطان رمز السيادة والمؤتمن على التشريع فصارت تحضر ما تشاء من الظهائر وتدفعها للختم السلطانى وتحكم المغرب حكما مطلقا من وراء السلطان والوزراء وثلة من رجال المخزن لايتجاوزون الستين فكان الصدر الاعظم يركز القضايا الادارية بصفته وزيرا للداخلية ويقنن بواسطة قرارات وزيرية وتساعده فى تسيير الشؤون العامة ظاهريا وزارات العدلية (لا العدل) والاوقاف والاملاك المخزنية وكان الصدر يشرف على المحكمة الجنائية العليا التى تبت فى الاحكام الصادرة عن القواد والباشوات بينما يخضع مجلس الاستيناف الشرعى لوزارة العدلية ٠

وكان الحاكم الحقيقى هو المقيم العام الذى استغل نفوذه المزدوج كموظف فرنسى ومغربى فى أن واحد لفرض التشريعات وتمثيل السلطان مع الدول الاجنبية والاشراف على المصالح الادارية وقيادة الجيوش البرية والتصرف فى القوات البحرية بمساعدة اربعة دواوين وكانت توجههه عمليا وزارة الخارجية الفرنسية كما ينوب عنه وزير مفوض عند الاقتضاء وكانت الكتابةالعامة للحماية هى التى تسير مصالح المراقبة عن طريق ادارة الشؤون الاهنية والاستعلامات وادارة الشؤون المدنية (البلديات والسجون والشغل والشؤون الاجتماعية) كما تسيطر على مرافق الدولة بواسطة المصالح المالية (الميزانية والضرائب والتسجيل والاملاك المخزنية والخزينة العامة) والاقتصادية (ادارة الاشغال العمومية وادارة الفلاحة والتجارة والتعمير وادارة البريد والبرق والهاتف) والاجتماعية (الادارة العامة للتعليم والفنون الجميلة والقديمة والادارة العامة للصحة) والادارة العامة للشؤون الشريفية (المكلفة بربط العلاقة بين المخزن والاقامة العامة عن طريق مراقبين)

اما فى الاقاليم فان الباشوات والقواد والقضاة اصبحوا يتقاضون اجورا

خاصة وتراقب اعمالهم من طرف موظفين فرنسيين كان معظمهم ضباطا عسكريين وقد قسم المغرب ءانذاك الى اربع نواح عسكرية (فاس ومكناس وتازة ومراكش) واربع نواح مدنية ـ الشاوية او الدار البيضاء والرباط والغرب وعمالة وجدة ـ ـعـلاوة على اربـع مقاطعات بدكالة (الجديدة) وعبدة (اسفى) والشياظمة (الصويرة) ووادى زم ·

التنظيم البلدى

وقد احيلت المراكز الحضرية الى بلديات عددها خمس عشرة يعين الباشا على راسها بظهير بصفته رئيسا للبلدية والمؤتمن على التقنين البلدى وممثـل السلطة العليا وبجانبه رئيس فرنسى للمصالح البلدية وقد صدر ظهير عـام 1917 يجرد الباشا من نفوذه لفائدة هذا الموظف الفرنسى فى ميدان الشرطة والاعمال البلدية والصحة والاسعاف ومراقبة البناء والمالية والحالة المدنية اما المجالس البلدية الاهلية او المختلطة فان نظامها كان عرفيا يستمد من تقاليد المدينة باستثناء بلديتى فاس والدار البيضاء ففى الاولى ينتخب اعضاء المجلس البلدى الاهلى بينما يشكل الفرنسيون مجلسا خاصا بهم وفى الثانية يعين الاعضاء بمقتضى ظهير 1922 لثلاث سنوات يجدد ثلثهم كل عام وينتخبون نائبا للرئيس ·

وقد تعززت مرسى الدار البيضاء التى كانت تشكل منذ عام 1907 اكبر ميناء تجارى بالمغرب غيران الجالية الاوربية ارتفعت من الف عـام 1907 الى خمسة ءالاف عام 1909 ثم تسعة عام 1912 بينما قفز الرواج الاقتصادى فى ظرف خمس سنوات (1908 ـ 1913) من 19 الى 80 مليون فرنك وبعد توقف الهجرة خلال الحرب العظمى تواردت رؤوس الاموال الاجنبية وتضاعفت المضاربات واثمان الاراضى الحضرية ثم قام نوع جديد من المضاربة ابتداء من عام 1923 للبحث عن الاراضى الزراعية فاسست الضيع بالاضافة الى العمارات وتزايد عدد سكان الحاضرة بهجرة الاوربيين والبدو حتى ارتفع من خمسة وثلاثيـن الفـا عـام 1907 (من بينهم 5000 اوربـى) الى 47·000 الفـا عـام 1912 (9·000 اوربى) و 106·000 (35·000 اوربى) سنة 1926 كل ذلك بسبب تفقير البادية وتهافت سكانها على الميناء والمصانع والاوراش انتجاعا للعيش وقد فتحت فى هذه الفترة بالدارالبيضاء 165 كيلومتر من الطرق و90 كيلومتر من قنوات

الماء الحار و 49 هكتارا من الرياض والجنان فى نفس الوقت الذى انبثقت دور القصدير الموبوءة لايواء المهاجرين البدو ٠

واضطرت فرنسا لمواجهة المقاومة المغربية المسلحة الى صرف ازيد من مليار و300 مليون فرنك ذهبى فى العمليات العسكرية بين 1914ـو1918، ارتفعت الى نحو مليارين خلال تسع السنوات التالية ٠

موارد الدولة

وكانت ادارة الحماية (ادارة المالية) تتصرف فى ميزانية الدولة التى تستشير فى اعدادها مع لجنة الميزانية المركبة من المعمرين الاجانب الذين يحتكرون وضع التقارير المالية فيما سمى بمجلس شورى الحكومة وتصادق وزارة الخارجية الفرنسية على المقررات قبل ان تعرض شكليا على الخاتم السلطانى وقد بلغت اول ميزانية للحماية عن 1913٠1914 سبعة عشر مليونا من الدخل و 24 مليونا من النفقات وبارتفاع الفاضل عام 1920 الى 53 مليونا فرضت فرنسا على المغرب تحمل نفقات العمليات العسكرية وتجمع فى صندوق الرصيد المغربى عام 1928 ازيد من 500 مليون صرف الكثير منها فى الحركات العسكرية (31 مليون) وشراء القطع الارضية للمعمرين (13 مليون) علاوة على نفقات التجهيز المدرسى الزهيدة (16 مليون) والصحى (10 ملايين) والبريدى (10 ملايين) ومنذ 1930بلغ الخصاص لاول مرة نحو 13 مليون فرنك اما موارد الدولة فكان اهمها الترتيب المفروض على المحاصيل والاشجار والماشية والذى كان المزارعون المغاربة يتحملون معظمه (هذا الترتيب كان زهيدا بالنسبة للاوربيين) (1) وقد بلغت مداخيله نحو 143 مليونا عام 1928 والمورد الثانى هو الجمارك التى تحررت من القيود المفروضة عليها منذ عام 1904 (وكان المولى عبد العزيز قد رهنها مقابل السلف الاجنبى) وكانت تعاريف الديوانة تبلغ عشرة فى المائة بالنسبة لمعظم البضائع المجلوبة باستثناء المجوهرات والحرائر والانبذة والمعاجين الغذائية التى كان يؤدى عنها خمسة فى المائة وذلك بالاضافة الى اثنين ونصف فى المائة لفائدة صندوق الاشغال العمومية وكانت الاسمدة والالات الفلاحية محررة الا من هذه الاضافات وقد تقرر عام 1926 الغاء الضرائب المفروضة

---

1) كتاب الحماية لكوليز ص 225

على الصادرات وبلغ دخل الديوانة عام 1928 نحو210ملايين بينما وصلت موارد الضرائب الجديدة الموظفة على مواد الاستهلاك منذ عام 1914 الى نحو 144 مليونا

وقد ثقل كاهل الدولة المغربية بقروض متوالية انضافت الى سلفات ماقبل الحماية (نحو 170 مليون بين سنتى 1904و 1910) فاستسلفت فرنسا باسم المغرب لاداء الديون وتعويضات ضحايا حوادث فاس ومراكش242مليونا عام 1916 ثم 744 مليونا عام 1920 ادى المغرب منها 300 مليون فبقى عليه عام 1928 ازيد من 700 مليون يؤدى منها اكثر من مائة مليون سنويا ٠

العملـــــة

وظلت السكة الحسنية المضروبة عام 1880 هى العملة الرائجة في السوق الرسمية وان كان الاجانب طفقوا يستعملـون النقـود الاسبانيـة والفرنسية فى صفقاتهم وكانت قيمة الحسنى ترتفع وتنخفض نظرا ،لاحتياج الناس الى العملة الاجنبية في الشتاء لاقتناء السكر والشاى والقطنيات وقـد استقرت القيمة منذ 1916 فى 125 فرنك ثم تزايدت قيمة معدن الفضة فضاربت اسواق العالم فى جلب الحسنى واقرت حرية الصرف (ظهير 15 اكتوبر 1919) فاختفت العملة الوطنية من المغرب بعدما ارتفعت قيمتها الى 160 فرنك وانعدمت ثقة الناس بالاوراق البنكية فاحرقوا بعضها اظهارا لسخطهم ولكن الحسنـى الغى (ظهير 19 مارس 1920) وعوض بالفرنك المغربى (ظهير 20 يونيه 1920) فراج منه عشرون مليون فى ءاخر السنة ووصل هذا الرواج فى متم 1926 الى 415 مليون وابرمت اتفاقية عام 1928 بين البنك المخزنى والخزينة الفرنسية لاقرار المساواة بين العملتين عقبهاصدور ظهير (6 شتنبر1928) يحقق تعادل الوزن الذهبى للفرنكين (65 ملغرام) ويلزم البنك المخزنى بتعويض الاوراق نقدا ذهبيا واصدار نقود فضية من عيار عشرة فرنكات وعشرين فرنكا وكان رواج الاوراق مضمونا برصيد من الذهب المسكوك او المسبوك والاسترلينيوالدولار يمثل تسع الرائج باضافة قدر من الفرنك الفرنسى يتمم ثلث ضمانة الورق المتداول ٠

وقد تعززت موارد الدولة منذ 1930 بمداخيل الفوسفاط التى بلغت مائتى مليون فرنك وبمكوس الاسواق والتنبر والتسجيل والضريبة التجارية وضريبة

السكنى وضريبة الاراضى غير المبنية (التى الغيت عام 1930) فتضجر الشعب من هذا العبء الفادح حيث تضاعفت نسبة الزيادات فى الجبايات الموظفة على مواد حيوية كالشاى والسكر والقهوة خمس عشرة مرة بين سنتى 1914و1930 وتقول مصادر الاقامة العامة بان مشاريع التجهيز هى التى كانت تبرر هذه الزيادات لأن الدولة المغربية ساهمت فى شركة الخطوط الحديدية الى حد 1927 ب 1٠430 مليون فرنك وبنحو اربعمائة للتجهيز المائى الفلاحى ومثلها لاتمام بناء مرسى الدار البيضاء كل ذلك علاوة على الطرق وقنوات الرى التى كانت فرنسا تود التعجيل بها لمساعدة التعمير فيما كان يسمى بالمناطق غير المامونة كوادى ورغة وتخوم الريف وممر تازة وقد فرضت فرنسا على المغرب الاسهام بخمسين مليونا فى نفقات الاحتلال العسكرى وب 750 مليون فى بناء الخط الحديدى بين وجدة وفاس ٠

العدلية

كان تنازل الدول الاجنبية عن امتيازاتها القضائية القنصلية يستلزم تنظيم العدل بالمغرب عن طريق مراسيم يصدرها رئيس الجمهورية الفرنسية للمصادقة على الظهائر السلطانية وقد تأسست بمقتضى ذلك محاكم اوربية كما ادخل نظام جديد على المحاكم المغربية ٠

القضاء الاوربى

ويشمل هذا النظام الجديد محكمة استينافية بالرباط وخمس محاكم ابتدائية بالعاصمة والدار البيضاء ووجدة ومراكش وفاس واحدى عشرة محكمة للجنح فى كبريات المدن على راسها قضاة فرنسيون يمتد اختصاصهم الىالاجانب الذين تنازلوا عن الامتيازات (باستثناءانجليرا والولايات المتحدة) وتخضع هذه المحاكم لمحكمة النقض والابرام الفرنسية) وقد نظم ظهير 10 يناير 1924 مهنة المحاماة ضمن نقابات تضطلع بالدفاع فى هذه المحاكم كما يدافع عن الحق العام وكلاء او نواب جلهم خاضعون لوكيل الدولة العام ٠

المحاكم الاهلية

وقد نص ظهير 4 غشت 1918 على ان السلطان يمثل السلطة القضائية

بصفته الامام الاعظم وينوب عنه القضاة الشرعيون باصدار احكام يراجعها مجلس الاستيناف الشرعي في خصوص الشؤون العقارية والاحوال الشخصية (ارث وزواج وطلاق) او الباشوات والقواد في القضايا الجنائية التي تستأنف امام محكمة الجنايات العليا ويسمح فيها للمحامين بالدفاع حيثما وجد مندوب فرنسي للحكومة اي في تسع مدن حسب ظهير 23 ابريل 1926 اما في البادية فان القواد يتمتعون بالحكم المطلق دون مراجعة في الاستيناف ويسجنون المتداعين الى حد سنتين دون تعقب .

وقامت الى جانب هذا محاكم الاحبار الخاصة باليهود المغاربة والمؤسسات العرفية في الاقاليم البربرية حيث يقضي القواد بآرائهم جنائيا وتقضي مجالس الجماعات مدنيا .

التعليم

ولم تهتم الحماية اولا الا بالاطفال الاوربيين الذين بلغت فصولهم الابتدائية عام 1929 عددا يقدر ب473ل19.207 تلميذ مقابل 5.008 في الثانوي بمختلف المدن اما في العالي فقد تأسس بالرباط معهد الدراسات المغربية العليا والمعهد العلمي المختص في الابحاث الطبيعية المتعلقة بالمغرب في علوم الحيوان والنبات والارض والفلك والبحار والفيزياء والكيمياء اما في خصوص المغاربة فقد اضيفت الى جامعة القرويين والكتاتيب القرآنية ودروس المساجد اربع مدارس ابتدائية بفاس ومثلها بمراكش ومكناس وغيرها ثم مدرسة فرنسية اسلامية في كل مركز عسكري بالشاوية مع لجان للتسيير ومجالس تحسينية يشرف عليها مجلس اعلى للتعليم يترأسه الصدر وينوب عنه المدير الفرنسي للتعليم اما التعليم الشعبي فان مدارسه البسيطة حضرية او قروية تكلل بالتعليم الصناعي ولم تستطع فرنسا ان تفتح خلال 17 سنة (1912 ـ 1929) اكثر من 69 مدرسة ابتدائية للذكور و 12 مدرسة للبنات باضافة 14 مدرسة صناعية اولية وقسم تطبيقي فلاحي تابع لكوليج فاس اما مدارس الاعيان التي كانت تؤدي الى ثانويتي فاس او الرباط فلم يزد عددها الى متم 1926 على خمس مجموع تلامذتها 802 وبذلك كانت الحماية توزع على المغاربة ثقافة ناقصة مزجاة .

أما المدارس الاسرائيلية فان بعضها كان تابعا للحلف الاسرائيلي العالمي بتطوان وطنجة والصويرة منذ عام 1862 وقد تنازل الحلف خلال الحرب عن

بعض هذه المدارس بسبب قلة الاساتذة فتأسست اربعون مدرسة فرنسية اسرائيلية تابعة لمصلحة التعليم بجانب 182 مدرسة تابعة للحلف ثم اعادت الدولة هذه المدارس الى الحلف ببناياتها مع اعانة ارتفعت من مليونين عام 1930 الى نحو خمسمائة مليون اخر الحماية فى خصوص الابتدائى لان ابواب الليسيات مفتحة فى وجوه الحاصلين على الشهادة الابتدائية .

الصحة العمومية

اسس المغرب ممرضيات منذ سنة 1905 فى العرائش والرباط والدار البيضاء والجديدة واسفى والصويرة خاضعة لاطباء عسكريين علاوة على مستشفى بفاس ومصحة بمراكش واماكن للعلاج بوجدة والعين الصفراء وبركان وتافوغالت وبوذنيب وفى اول الحماية تأسست 38 مجموعة صحية مجهزة باربعين طبيبا اوربيا و45 ممرضا بالاضافة الى مصحتين متنقلتين بالاطلس وسوس وقد بلغ عدد الاطباء لمجموع المغرب 136 طبيبا عام 1929 مع صيدلية مركزية بالدار البيضاء و 22 مصحة او ممرضية بالنواحى ومصحات فى المدن الكبرى اما الميزانية فانها لم تصل آنذاك الى 24 مليونا .

التطور الاقتصادى

وقد ضارب الاجانب فى حركة البناء التى ارتفع نشاطها بالدار البيضاء من 73 مليون فرنك عام 1927 الى 259 مليون عام 1929 ولكن ظاهرة جديدة انبثقت وهى تضخم المنتجات الزراعية وتهافت رؤوس الاموال على استغلال الاراضى المغربية وتعميرها فتقدم عام 1926 نحو 1.300 مرشح لاقتناء مائة وثمانين قطعة ارضية ولعل هذا الانقلاب راجع الى انهزام الزعيم المغوار محمد بن عبد الكريم فى الريف وبدو بعض الاطمئنان فى نفوس الاجانب وكانت الحماية قد عززت الملكية الاجنبية باقرار نظام عقارى هو نظام التسجيل بظهير 9 رمضان 1331 (12 غشت 1913) احتذاء بعقد طورانس المطبق باستراليا ثم تونس ومدغسكار وافريقيا الغربية ولكن بعد مرور خمس عشرة سنة لم تسجل سوى 376.000

هكتار من بين 850٠000 التى يملكها المعمرون الاوربيون فى حين ان الاراضى الزراعية تقدر مساحتها باحد عشر مليون هكتار (1)

وهكذا شجعت الحماية المعمرين والتجار الاجانب بضمان الملكية ولو كانت مغتصبة وتاسيس مصارف القرض الفلاحي والقرض العقارى والسلفات الطويلة الامد وقد استفاد الغربيون من اعانة الدولة المغربية لبناء الدور الرخيصة الصالحة عن طريق صندوق القروض العقارية (ظهير 4 يوليوز 1928) وسلفات خاصة لقدماء المحاربين ومعطوبى الحرب الاجانب وبلغ ءانذاك عدد الشركات التجارية والصناعية والعقارية والفلاحية والمعدنية والمالية 412 تناهز رؤوس اموالها ثلاثة ملايير واربعمائة مليون واسست الحماية عام 1918 مايسمى بالشركات الاحتياطية الاهلية بلغ عددها 55 عام 1928 وذلك لتسهيل القروض بدون ربا ولكن هذه الشركات ظلت عديمة الجدوى نظرا لمواردها المحدودة وهلهلة نظامها ٠

اما الطرق فقد بلغ عددها 28 طريقا كبرى و 50 طريقا صغرى عام 1928 اى ما يبلغ 4٠603 كيلومتر وكان عدد السكان الاجانب قد وصل سنة 1929 الى 105٠000 أثروا ثراء فاحشا اذا اعتبرنا عدد السيارات التى ملكوها (15٠279 سيارة سياحية و 5٠899 شاحنة علاوة على آلاف الدراجات النارية وفى خصوص السكك الحديدية بلغ طولها فى نفس الفترة 310 كم بين طنجة وفاس وتستغلها الشركة الفرنسية الاسبانية بنما مدت الشركة المغربية 591 كم من بين 1026 كم بين فاس ووجدة ولم تكن الحماية تستهدف من وراء ذلك سوى تعزيز النقل العسكرى والاستغلال الاقتصادى وقد بلغت مصاريف التاسيس 800 مليون فرنك تحملت الدولة منها 750 مليونا مع 90 فى المائة من الخصاص وذلك لمدة ربع قرن بعد انتهاء البناء ٠

ويتوفر المغرب على وسائل لانتاج الطاقة الكهربائية فى ام الربيع وسبو والملوية وقد منحت الحماية « الشركة الكهربائية بالمغرب» عام 1923 حق تاسيس مولدات كهربائية بالدار البيضاء (1924) وبسيدى معاشو (1926) والقنطرة

---

1) فى الشاوية وحدها كان الاجانب يملكون 27٠671 هكتار عام 1912 وكان فى طليعتهم الفرنسيون ثم الالمان فى مقابل 700٠000 ملاك زراعى مغربى ٠

بوادى بهت (1928) وبدأت هذه المولدات تمد بالكهرباء منذ متم 1928 الخطوط الحديدية بين الدار البيضاء وخريبكة والدار البيضاء وسلا ومناجم الفوسفاط والمدن والمصانع بالدار البيضاء والرباط والقنيطرة

اما مشاريع الرى التى لاغنى عنها لاراضى المعمرين فقد اقيمت وسائل لاستغلال موارد القنصرة لسقى 30٠000 هكتار فى ناحية سبو مع اقامة خزان وادى الملاح لضمان الرى فى ناحية الدار البيضاء وخزان وادى نفيس لسقى 20٠000 هكتار بناحية مراكش وذلك علاوة على مشاريع ام الربيع والملوية (مشرع قليلة) وطريفة ٠

وهكذا بدأ المعمرون يستفيدون من اجهزة الرى لاستغلال ما وزع عليهم خلال ستة عشر، عاما 1912ـ1928 وهو 205٠000 هكتار على 1٠200 مزارع وقامت ضيع ثرية استغلت اخصب الحقول المغربية خاصة لزراعة القموح والبواكير وقد تكفلت ادارة المياه والغابات بتنسيق ومراقبة نحو المليونين من الهكتارات (اشجار الخفاف والارز والصنوبر واركان والبلوط الخ) اعترف بملكية الدولة لمجموعها وقد جرب القطن منذ 1925 (وكان موجودا قبل الحماية) (1) فى سبو وبهت وتادلا والمغرب الشرقى اما الماشية فقد بلغ عدد رؤوس الغنم ما يقارب ثمانية ملايين والبقر نحو المليونين عام 1927 وهو ضئيل اذا قيس بما كان للمغرب عام 1859 (48 مليون شاة و 6 ملايين بقرة) وقد تطورت التجارة الخارجية فارتفعت فى نفس الفترة الى 3٠275 مليون (منها 1275 من الصادرات) اما المعادن فقد اشرف المكتب المعدنى (ظهير 15 دجنبر 1928) على الابحاث والتنقيبات عن الحديد والمانغانيز والرصاص والقصدير والموليبدين والفحم والنحاس واسس 641 مصنعا لتحويل المواد الغذائية (ثلث رؤوس الاموال) كالمطاحن والمخابز الميكانيكية والمجازر والمصبرات ثم مواد البناء والخشب والحديد والسبيب النباتى والفسفاط الممتاز والمطابع (31مطبعة) علاوة على المصانع التقليدية ٠

وهكذا نرى ان معظم المنجزات التى حققتها الحماية فى هذه الفترة كانت تهدف الى تعزيز الاستعمار والاستغلال وان كان المغرب قد استفاد منها بصورة غير مباشرة محققا بذلك خطوة مهمة خاصة فى ميدان الاقتصاد والتجهيز ٠

---

1) راجع كتابنا مظاهر الحضارة المغربية ج 2 فصل «الاقتصاد فى الفـعام»

الفصل الخامس عشر

الكفاح السياسي [1]

بدأت حركة النضال السياسي موازية للثورة المسلحة تذكيها وتدعو اليها فانبثق بالدارالبيضاء عام 1924مركز للتوزيع والنشر تابع لقادة الريف كماانعقد مؤتمر بفرنسا فى السنة التالية نظمه العمال المغاربة لتنسيق العمل التضامنى مع جيش الثورة وفاضت قرائح الشعراء فى الاشادة بالابطال وانبرى رسل المغرب منذ شبوب الحرب العظمى يجولون فى اقطار شمالى اوربا المحايدة للتنديد بالمستعمر ضمن وفود المؤتمر الاسلامى الذى اقر الدفاع عن استقلال المغرب وباقى الاقطار الاسلامية المحتلة وقد قام العالم المغربى محمد العتابى منذ 1915 بحملة القى خلالها محاضرات واجرى اتصالات لتعريف العالم بمحنة المغرب تحت سيطرة الفرنسيين والاسبان وانعقد مؤتمر باسطوكهلم عام 1917 نادى بوحدة موريطانيا والمغرب المستقل وكانت اصداء هذه الحركة الخارجية تصل الى المغرب مقرونة برسائل الحث على المقاومة فتنظم الاضرابات والمظاهرات فى الحواضر والبوادى فى مختلف المناسبات وظل القصر الملكى فى صراع يقوى ويضعف مع الاقامة العامة حين عارض مولاى يوسف سياسة الاستعمار الفلاحى التى دعا اليها المقيم ستينغ وطالب فرنسا بعزله .

وظهرت فى هذه الغضون حركة سلفية للاصلاح الدينى والثقافى باتصال

---

1) راجع كتاب «نضال ملك» للاستاذ محمد رشيد ملين ففيه بيانات ضافية عن هذه الفترة

مع المبادىء التى دعا اليها محمد عبده مالبثت ان اسفرت عن ظهور حركة وطنية هدفت الى تحرير البلاد والعقل معا، باستعادة السيادة للوطن والطهارة الاصيلة للعقيدة الاسلامية وتأسست بالحواضر الكبرى جماعات سرية ركزت عملها السياسى على دعوة سلفية اساسها النهوض بالتعليم وبث الروح القومية والدينية وتوطيد العرى بين الاطر المغربية بجامعة القرويين والمعاهد العصرية وطلبة باريس والشرق وتاسيس المدارس الحرة وتنسيق الروابط مع جمعيتى الشبان المسلمين «والهداية الاسلامية » بالقاهرة الى غير ذلك ·

وقد شعرت فرنسا بخطر الوحدة الدينية ففكر اليوطى منذ عام 1913 بدعوى حفظ التقاليد البربرية (ظهير 11 شتنبر) فى تفرقة الامة بوضع الحجر الاساسى للسياسة البربرية وبعث الاعراف الجاهلية وتمخض العمل الاستعمارى السرى الموصول عن صدور الظهير البربرى فى 16 مايه 1930 لتفكيك أوصال وحدة المغرب العربى بتجنيس وتمسيح اغلبية المغاربة تحقيقا لمطمعهم فى ادماج المغرب ضمن الحظيرة الفرنسية وهكذا حاول الاستعمار فرنسة البلاد بتحطيم وحدة النظام ووحدة اللغة واقرار الفرنسية فى المحاكم والمدارس والادارات (1) واستئصال العربية والشريعة الاسلامية مما سمى بالمدارس البربرية والمحاكم العرفية ·

وقد كان رد الفعل الشعبى عنيفا حيث احتشدت الجماهير فى المساجد للتنديد بسياسة الادماج واكتظت الشوارع بالمتظاهرين وتشكلت بفاس لجنة تمثل سائر طبقات الامة للاتصال بالادارة الفرنسية من اجل الغاء الظهير وتوحيد القضاء والاعتراف برسمية اللغة وتعززت هذه الحركة المنبثقة من جامعة القرويين (2) بصريخ العلماء المتعالى من جامع الازهر وانتقلت المظاهرات الشعبية من مصر الى الهند واندونيسيا فى سيول طوقت السفارات الاجنبية واوفدت الكتلة الوطنية رسلا الى المؤتمر الاسلامى بالقدس لشرح نوايا الاستعمار

---

1) لاحظ دومومبين فى اطروحته حول التعليم بالمغرب ، ان اللغة العربية كانت هى اللغة الاقتصادية والدينية والادارية، اذ يرى فيها البرابرة لغة سامية (ص118) راجع الحركات الاستقلالية فى المغرب للاستاذ علال الفاسى)

2) بقيادة شيوخ امثال عبد الرحمن بن القرشى وزير العدل السابق وشباب مثل علال الفاسى ·

الكتلة الوطنية

وقد تبلورت هذه الموجة العارمة بتنسيق كتلة العمل الوطنى او الحزب الوطنى الذى كان يؤجج الحماس فى الشعب كما ينور الفكر العام فى اوربا والشرق عن طريق (طلبة فرنسا ولجنة الدفاع عن المغرب) بالقاهرة وشخصيات مثل الامير شكيب ارسلان واتخذت المقاومة شكلا رتيبا فوزعت النشرات وقوطعت المنتجات الفرنسية من منسوجات وسكر وشاى ودخان وسار العرب والبربر متراصين فى هذه الانتفاضة التى حركت وعيا قوميا فى نفس الشعب المغربى الموحد

واصدرت الكتلة بباريس عام 1932 مجلة «مغرب» باللغة الفرنسية بشراف الحاج احمد بلافريج ساهم فى تحريرها احرار فرنسيون وشبان مغاربة لشرح اهداف الحركة الوطنية فى كفاحها ضد السياسة الاستعمارية وانضم الى اصدقاء المغرب الفرنسيين احرار اسبانيون كما صدرت بفاس جريدة «عمل الشعب» وكانت الفرنسية هى لغة الصحف لمعارضة الحماية للنشرات الدورية العربية وقد اهتمت هذه الصحيفة خاصة بفضح الاستعمار فى مقالات يحررها مهندس شاب هو الحاج احمد بن عبد الجليل وتعززت الصحافة الوطنية فى الشمال بمجلة السلام » لمحمد داود وجريدة « الحياة » تعضدها فى المساجد محاضرات تكونت فى حلقاتها نخبة واعية شكلت الاطر الوطنية الاولى للخلايا التى انبثت فى البلاد وفى عام 1933 سافر علال الفاسى الى باريس بعد ان قام بدعاية واسعة فى مدريد للفكرة الوطنية صحبة الاخوين عبد السلام ومحمد بنونة (1) واقيمت بالعاصمة الفرنسية مؤتمرات ومهرجانات تمخضت عن تعويض لوسيان سان بالمقيم بونصو وتكتل الدستور التونسى ونجم الشمال الافريقى الجزائرى وكتلة العمل الوطنى واضطرار فرنسا الى السماح باستيناف المحاضرات الجامعية بالقرويين وعاد علال فاتصل لاول مرة باسم الكتلة بجلالة محمد الخامس.

---

1) تأسس فى مدريد آنذاك « البيت العربى » بتعاون بين المكى الناصرى ومحمد الفاسى رئيس جمعية طلب شمال افريقيا بباريز وكان عبد الخالق الطريس من قواد الحركة فى منطقة الشمال وكذلك محمد اليزيدى ومحمد غازى ومحمد بن الحسن الوزانى فى منطقة الاحتلال الفرنسية .

الذى اقامت الحماية بينه وبين الحركة سياجا كثيفا فاستغل جلالته الفرصة للتعبير عن رضاه عن الحركة وعزمه الوطيد على استرجاع مكاسب المغرب وكانت فرنسا قد كونت ضمن حكومتها وزارة «فرنسا ما وراء البحار» فاحتج جلالة السلطان والغيت الوزارة

عيد العرش

ودعت الكتلة منذ 1933 الى تاسيس «عيد العرش المغربى» يوم 18 نونبر وهو يوم جلوس جلالة الملك محمد بن يوسف على العرش واحتفلت الامة بهذا المهرجان الوطنى امام انذهال الفرنسيين الذين لم يجرؤوا على اعلان معارضته فكان هذا المكسب الجديد تخليدا لذكرى رمز الوطن ودحضا لترهات الاستعمار حول تعارض الحزب والقصر واقيم هذا العيد الرسمى لاول مرة عام 1934 عقبته مظاهرات شعبية رائعة فى مايه بمناسبة زيارة الملك لفاس استاءت الاقامة العامة مما برز خلالها من مظاهر التجاوب بين الشعب والملك فمنعت السلطان من اداء صلاة الجمعة بالقرويين وطالبته باعتقال زعماء الكتلة فرفض وسارع بالعودة الى الرباط قبل انتهاء برنامج الزيارة تضامنا مع شعبه وسخطا ضد المستعمر الوقح الذى اوقف «عمل الشعب» ومنع الصحف الوطنية من الدخول الى المنطقة السلطانية فكانت هذه هى المناسبة الاولى التى اظهر جلالة محمد الخامس وطنيته الصادقة التى كان الاستعمار يكبتها كبتا .

وواصلت الحركة الوطنية حملتها اللاذعة ضد سياسة الحماية والاستغلال العنصرى مطالبة باحلال المغاربة الاكفاء محل الاجانب فى الوظائف المغربية وتحميل الميزانية الفرنسية لنفقات الاحتلال ولوازم النفوذ الفرنسى والثلث الاستعمارى ومنددة بالحكم المباشر المتنافى حتى مع بنود الحماية القاضية بمجرد المراقبة وقدمت الكتلة فى نوفبر 1934 برنامجا اوليا للاصلاح ضمنته بعض مطالب الشعب المغربى فى خصوص الغاء الحكم المباشر وتوحيد النظام الادارى والقضائى واعطاء الاسبقية للمغاربة فى الادارة وفصل السلط واحداث بلديات ومجالس اقليمية ومجلس وطنى متركب من نواب مسلمين واسرائليين وغير ذلك من وجوه الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى وقد صفق اصدقاء المغرب فى اوربا لهذه الروح التحريرية والاندفاعة التقدمية المتبلورة فى تصميم ايجابى محكم اضطرت

فرنسا للامر بدراستة فى دوائر الاقامة غير ان سياسةالادماج والاستغلال كانت
تحدو الاستعمار الى تقوية نفوذ هيآت الجالية الفرنسية التى طالبت عام 1935
بوجوب موافقة الغرف الفرنسية للتجارة والفلاحة وكذلك ما يسمى بمجلس
شورى الحكومة على كل التشريعات الاقتصادية وان يكون لهذا المجلس الفرنسى
حق التقرير لامجرد الاستشارة فكان رد فعل الكتلة الوطنية هو برقيات
الاحتجاج المرفوعة لجلالة السلطان ولفرنسا مطالبة بالغاء المجالس الفرنسية
بالمغرب وتعويضها بمجالس مغربية ونادى جلالة الملك فى يناير 1936 بمعارضة
مطالب الفرنسيين وهدد بالتنازل عن العرش اذا ما نالهؤلاء الاجانب حقا نيابيا
فى المغرب . واشتد النزاع فى هذا الشأن وعجزت فرنسا عن ترضية رعاياها
وعن قمع المغاربة فاستبدلت مقيما بمقيم وعوضت بونصوبم بيروطون الذى
صرح بعزمه على قمع الكتلة كما قمع الدستوريين عندما كان مقيما عاما بتونس
فعززه فى هذا الاتجاه السنيور موليس المقيم الاسبانى فى الشمال وقد وزع
بيروطون مال الدولة على المغمرين وكبار القواد فقابلته الكتلة بصمود عنيف
لاسيما بعد ان منع انعقاد مؤتمر «طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا »بالرباط
وقامت فى هذه الفترة الحرب الاهلية الاسبانية بعد ان تمرد الجيش الاسبانى
فى المغرب بقيادة الجنرال فرانكو فاحتج الوطنيون على هذا التطاحن المذهبى الاجنبى
فوق التراب المغربى واشترطوا للعمل على تخليص الديموقراطية الاسبانية
اعلان استقلال منطقة الشمال والتعجيل بتنفيذ الاصلاحات فى المنطقة السلطانية
وبعثت الكتلة وفدا الى برشلونة (شتنبر1936) لمفاوضة وزير الخارجية الاسبانية
الذى استشار فرنسا فاوعز مقيمها الجنرال نوجيس بالرفض وحاولت اسبانيا
عبثا ارشاء الكتلة بأربعين مليون بسيطة فى مقابل الدعاية للجمهورية وأدى اقفال
الحدود بين منطقتى المغرب الى حرية العمل فى شقى الكتلة على اساس الكفاح
من اجل استقلال المغرب ووحدة ترابه فى ظل العرش وتحت شعار الاسلام
والعروبة واسس محمد المكى الناصرى فى الشمال حزب الوحدة المغربية وعبد
الخالق الطريس واصدقاؤه حزب الاصلاح الوطنى واستطاع الوطنيون بالشمال
انتزاع بعض الحريات اهمها توجيه بعثات علمية الى الشرق وتنظيم النشاط
الحزبى ولكن الاسبان مالبثوا ان ضيقوا الخناق شأنهم فى ذلك شأن الجبهة
الشعبية الفرنسية التى كانت تعد الكتلة الوطنية بتنفيذ مطالب المغرب اذا
ما اعتلت اريكة الحكم ولكن اليساريين ماكادوا ينتصرون فى انتخابات مايه

1936 حتى قابلوا الوفد الوطنى بالتسويف وقد عقدت الكتلة مؤتمرا بالرباط فى 25 اكتوبر 1936 لوضع المطالب المستعجلة التى ترمى الى اقرار الحريات العامة وتوحيد التعليم وتسديد حاجيات المغرب الثقافية بتاسيس المعاهد الكافية ودور المعلمين وفصل السلط وضمان الملك العائلى وتوسيع القرض الفلاحى وكفالة المساواة فى الضرائب وحقوق العمال وحماية الصناعة الوطنية وتعزيز المؤسسات الصحية واقفال دور البغاء وتكثير الملاجىء الخيرية وبناء المساكن الصالحة بدل دور القصدير فكان جواب المستعمر اعتقال بعض القادة الوطنيين وتأزمت الحالة وتظاهرت الجماهير فى المدن والقرى حيث اشتبكت مع قوات البوليس فتوجه مبعوث الكتلة الوطنية الى باريس حيث اسس مكتبا للدعاية وصدر « المخبر المغربى» الجديد حافلا بتقارير عن الاحداث المغربية تعززت بحركة التضامن فى تونس والجزائر وشمال المغرب فلم يسع السيد بلوم رئيس الحكومة اليسارية الا امر الجنرال نوجيس بتحرير المعتقلين وتغيير سياسته وخطت الحركة التحريرية بذلك خطوة حاسمة اقضت مضاجع المستعمرين فانعقدت مائدة مستديرة بين الكتلة والمقيم ودرست المطالب وصدرت «الاطلس» لسان الكتلة و «المغرب» اليومية لسعيد حجى كما سرحت «عمل الشعب» وقررت بعض فروع الحزب الاشتراكى الفرنسى تاييد مطالب الشعب المغربى فقفزت الحركة الوطنية قفزة جديدة تجدد فيها نظام الحزب الوطنى فاسست لجنة تنفيذية ومجلس وطنى ولجان فنية وفروع بكافة انحاء المغرب وانعقد مؤتمر فى يناير 1937 لانتخاب الهيئة المسيرة فكان علال رئيسا ومحمد حسن الوزانى امينا عاما الا ان هذا الاخير استعفى واسس «الحركة القومية» فاضطلع بالامانة العامة السيد احمد بلافريج وقد هال هذا التكتل الظافر المستعمر فقرر حل الكتلة يوم 18 مارس 1937 ولكن العمل السرى ظل موصولا باسم « الحركة الوطنية لتحقيق المطالب» ريثما انعقد مؤتمر جديد بالرباط فى ابريل 1937 قرر اطلاق اسم جديد على الحركة هو «الحزب الوطنى لتحقيق المطالب المستعجلة» الذى تصدى زيادة على مجهوده السياسى لتربية الجماهير وتكوين خبراء فى مختلف وجوه النشاط الوطنى وتطوير التعليم العربى العصرى ونشر المبادىء الاسلامية والدفاع عن حقوق العملة والصناع والفلاحين والنهوض بالصحافة وتنظيم فرق الشبيبة وتاسيس جمعيات الشباب المسلمين والهداية الاسلامية وتخطيط الاصلاحات الاقتصادية وقد تزايد حنق المستعمرين ازاء هذا التكتل

الرتيب بين الجبال والسهول والعرب والبربر فاعتقلوا كثيرا من قادة الحزب الامازيغيين وفرضوا الرقابة على الصحف وشددوا الخناق على الخلايا والفروع وسخروا القواد الاقطاعيين لمقاومة حركة التحرير واراقوا دماء الشهداء في مكناس والخميسات حيث نظمت حركة التبشير والتمسيح فانعقد مؤتمر عام في 13 اكتوبر 1937 لدراسة القضية المغربية على ضوء التطورات المستجدة فتقرر العمل المباشر القوى لمقاومة سياسة الجنرال نوجيس والدفاع عن الحريات العامة ولم تكد تمضى ايام حتى اعتقل بعض القادة الوطنيين ونقلوا الى الصحراء بينما زج بالسيد علال الفاسى في غياهب السجون بالجابون (افريقيا الاستوائية واهتاج الشعب بكافة انحاء المملكة وتضامنت سائر طبقات الامة وهيا تها فى مظاهرات عنيفة اسفرت عن اعتقال قادة آخرين كالسيد الحسن الوزاني وامتدت الى الشمال والجزائر وتونس حيث اعلن اضراب عام لمدة ثلاثة ايام وتردد صدى هذه الثورة الوطنية فى صحف اوربا والشرق حيث اسس الطلبة المغاربة نواة المغرب العربى بالقاهرة ووضع حزب الاصلاح بالمنطقة الخليفية عام 1938 برنامجا للاصلاح يتلاءم والوضع فى الشمال مؤيدا من طرف الخليفة السلطاني الذى نال حظه من الكبت وهكذا ظلت الحركة الوطنية تواصل نضالها المستميت فلم يكن ذلك يزيد وزراء اليمين واليسار فى فرنسا الاعنتا ومع ذلك لم تكد تنشب الحرب العالمية الثانية حتى اعلن الملك والحركة الوطنية مؤازرتهم للحلفاء الى النصر رغم ما حاوله الالمان من استمالة الوطنيين وكان الحاج احمد بلافريج فى اوربا يتحسس اكاذيب المحور ويوافى الحزب بتقاريره فطفق الوطنيون يشقون طريقهم اللاحبة فى خضم الدعايات المتضاربة ولمعت شخصية الملك لما اظهره من اتزان ولباقة بتضامن مع الشعب فازداد تعسف الاقامة العامة وتخوفها وعاد الوطنيون منذ 1940 الى التنديد بفظائع الاستعمار الذى لم يتعظ بهزيمته ولا بحسن عهد المغرب عند الضراء وبدأ الشعب يشعر بضرورة العمل لاقتطاف ثمار النصر المشترك بالتمهيد للمطالبة بالاستقلال وكانت اسبانيا الفاشية قد احتلت منطقة طنجة فى هذا العام وطردت المندوب السلطاني واستمرغيها الى تاريخ نزول الحلفاء (8 نونبر 1943) حيث تعزز العمل الداخلي بكفاح «رابطة الدفاع عن مراكش فى مصر» التى اسسها رسل الوطنية بالقاهرة للمطالبة بالاستقلال والوحدة تحت رعاية جلالة الملك ثم تاسست فى نونبر 1944 « جبهة شمال افريقيا» بين اقطار المغرب العربى وكان استقلال سوريا ولبنان يؤجج الوعى لاسترجاع السيادة المغربية

المطالبة بالاستقلال : وانعقد بالرباط فى 11 يناير 1944 مؤتمر ضم قادة الحزب الوطنى الذىسمى بحزب الاستقلال وعدة شخصيات من الحركة القومية والهيآت الحرة فوقع المؤتمر على ميثاق وطنى ابرز مفروضية نظام الحماية الذى قاومه الشعب بالسلاح ازيد من ربع قرن والصبغة الاستغلالية التى اتسم بها هذا النظام وانبثاق عهد الحرية بمقتضى الميثاق الاطلسى وطالب بالاستقلال والوحدة والديمقراطية

ورفع «ميثاق الاستقلال» لجلالة الملك فعقد فى 13 يناير مجلسا وزاريا موسعا ضم بعض الرؤساء والاعيان والعلماء فصادق الكل على المطلب الوطنى وتشكلت لجنة من وزيرين للاتصال بحزب الاستقلال وبحث مسطرة اقناع الاقامة العامة التى استمرت المحادثات معها ثلاثة ايام دون أن تحيد عن اصرارها على التشبث بعقد الحماية ونظم « اسبوع التضامن فى سبيـل الاستقـلال » تواردت خلاله الوفود وعرائض التاييد على القصر الملكى وفى 18 يناير ابلـغ المقيم العام جلالة الملك « معارضة اللجنة الوطنية الفرنسية للتحرير بالجزائر كل ما من شأنه ان يمس نظام الحماية وابلغ جلالة الملك وزراءه هذا القرار مؤكدا تمسكه بالاستقلال وجاء رد الفعل الاستعمارى مقرونا باعلان اصلاح مستعجل واعتقال القادة الوطنيين ومجابهة المظاهرات الجماهيرية بالقمع العنيف والسلب والنهب طوال ثلاثة ايام وانقلبت المدن والقرى الى بركان يغلى استشهـد فـى بوتقته بفاس والرباط وسلا سبعة وسبعون وجرح المآت وسجن خمسة الاف واصدرت المحكمة الفرنسية حكمها بالاعدام ليلة عيد المولد النبوى على اربعة عشر وعزل كل من وزير العدل ووزير المعارف وعشرات الموظفين واحيل تلامذة المدارس على المجالس التاديبية بينما ظلت كثير من المدارس مقفلة طوال السنة واعلن مقيم فرنسا العام المسيو كابريال بيو يوم 22 مارس اصلاحات جزئيـة اجاب عنها حزب الاستقلال بان تحرير السيادة المغربية هو الشرط الاساسى لكل تفاهم واصدر بيانا انتقاديا للمشاريع المقيمية الواهية وفشلت تمويهات كابريال بيو فخلفه المسيو اريك لابون ودشن عهده بتسريح بالافريج المنفى بكورسيكا والوزانى المعتقل بايتزر (ناحية فاس) وعلال الفاسى المبعد الى خط الاستواء وحاولت الاقامة العامة ان تدس مرة اخـرى بين الملـك والوطنييـن بمناسبة الحفاوة الرائعة التى قوبل بها القادة المسرحون ولكن صاحب الجلالة ابا الا ان يستقبلهم وان يعبر عن استعداده للتضحية بعرشه فى صالح القضية

المغربية وبدأ الاتصال بين المقيم والحزب فى غير جدوى لتباين عروض الاصلاح مع مبدأ الاستقلال وتجلى مصداق هذا التمويه الموصول عندما خطب المقيم فيما سمي بمجلس شورى الحكومة فخابت الآمال وندد الحزب بالسياسة الاقتصادية الجديدة وقوطعت المؤسسات المقيمية وصدرت جريدة «العلم» عام 1946 وتوجه وفد الى باريس خلال نفس السنة فاقام النـدوات والقـى محاضـرات ووزع النشرات لبيان وجهة نظر الشعب المغربى ولكن سياسة الاستعمار ظلت جامدة لم تتأثر قلامة ظفر بالانقلابات الدولية ·

وجاء تاريخ زيارة جلالة الملك لطنجة عاصمة مملكته الدبلوماسية فاثار الاستعماريون لعرقلتها مذبحة الدار البيضاء فى 7 ابريل 1947 حيث طوق الجيش الفرنسي لاسباب تافهة الاحياء العمالية وقتل الاطفال والمدنيين العزل فكان لهذه المأساة وقعها العميق فى نفوس الشعب الذى ملك اعصابه وتوجه جلالة الملك بنفسه للوقوف على عين المكان وتضامنت الجماهير بالاضراب والاكتتاب لاسعاف المنكوبين وبالرغم عن الحواجز المتعاقبة قام صاحب الجلالة برحلته الميمونة متعمدا جميع المظاهر التى تؤذن بان طنجة قطعة من التراب المغربى وانبرى الشعب فى الاقاليم الممزقة للاحتفال برمز سيادته ووحدته وخطب سمو ولى العهد الحسن الثانى وسمو الاميرة عائشة وكذلك صاحب الجلالة امام الملأ الدولى فابرز جلالته عروبة المغرب ووحدة ترابه واشاد بالرابطة الاسلامية والجامعة العربية وعبر عن ضرورة تحقيق امانى المغرب القومية واقرار نظام ديموقراطى وترددت اصداء هذا الخطاب التاريخى فى انحاء المعمورة فكان اكبر صفعة للاستعمار وكان حزب الاستقلال و حزب الاصلاح قد وحدا خطتهما وطالب هذا الاخير فى مذكرة للامانة العامة للامم المتحدة والجامعة العربيـة باعـلان الاستقلال فقابل الاسبان هذه الانتفاضة بالقمع وتوقيف جريدتى « الوحـدة المغربية» «والحرية» ولكن الخليفة السلطانى استطاع توجيه وفد رسمى الى الجامعة العربية التى انعقد فى بحبوحتها مؤتمر المغرب العربى فى 15 يبراير 1947 فنادى المؤتمرون ببطلان الحماية المفروضة على المغرب وتونـس وعـدم الاعتراف باى حق لفرنسا فى الجـزائر وضـرورة اعـلان استقلال المـغرب العربى وجلاء الاجانب عنه ورفض الانضمام الى الاتحاد الفرنسى وتعزيز الكفاح لتحقيق الاستقلال والجلاء وكلل المؤتمر بفتح مكتب المغرب العربى بقيادة بعض اقطاب الشمال الافريقى وسافر علال الفاسى الى باريس لاستتمام مهمة الوفدين

الذين ترأسهما كل من الحاج عمر بن عبد الجليل و الحاج احمد بلافريج واخذت القضية المغربية مظهرا جديدا حسبت له فرنسا حسابه فعينت الجنرال جوان مقيما عاما لاستئصال الحركة الوطنية ظنا منها ان سياسة القوة هي الحل الحاسم وعارض جلالة الملك تعيين مقيم عسكري ولكن تحدى الحكومة الفرنسية لم يزد الوضع الاتأزما فالتحق علال بالطريس لتنسيق العمل بمكتب المغرب العربي بالقاهرة وحاولت فرنسا في نفس السنة التلويح بشبح الامير ابن عبد الكريم الخطابي لتهديد جلالة الملك فقررت نقله الى فرنسا وتآمر مكتب القاهرة مع الحكومة المصرية لاختطافه بقناة السويس مع اسرته فتم لجوءه الى مصر وسقط في ايدي الاستعمار بعد اعلان الامير ولاءه للعرش المغربي وانضمامه لزمرة المكافحين في سبيل تحرير المغرب العربي وكان لتحرر الامير صدى عميق في العالم الاسلامي وخاصة بالمغرب فتأسست تحت رياسته في دسمبر 1947 «لجنة تحرير المغرب العربي» التي اعلنت باسم احزاب افريقيا الشمالية عدم قبول اية مفاوضة الا بعد اعلان الاستقلال التام للبلدان الثلاث وازاء هذا العمل البناء ظهرت صبيانية تهديدات جوان لجلالة الملك الذي رفض امضاء المشاريع المقيمية تضامنا مع الشعب وتحفظ في المصادقة على ميزانية الدولة لسنة 1948 التي حاولت الاقامة ان ترتهن في مضامينها ثروات البلاد المعدنية واشتد الصراع بين المقيم والقصر فعزل قواد مخلصون للملك وقربت الاقامة بعض الاقطاعيين من ادعياء التصوف ولكن صمود الملك والشعب الاجماعي فت في اعضاد ماصنعته فرنسا من احزاب لبث التفرقة في هذه الكتلة المتراصة ومنيت الدبلوماسية الفرنسية بفشل ذريع رغم التعديل السطحي الذي ادخل على نظام الحكومة المغربية بتعيين خمسة مناديب لرئيس الوزراء في المالية والزراعة والتجارة والاشغال العمومية والانتاج الصناعي والمناجم والبريد والشؤون الاجتماعية والصحة كانوا في نظر فرنسا مجرد اعوان للوزراء الفرنسيين (1) فرأى الشعب في هذا الاصلاح مطية للادماج كما ازداد جلالة الملك يقينا بتلاعب المستعمر الذي اراد ان يقنع العالم باستبداد القصر ومعارضته لحقوق الشعب في الانتخاب الديموقراطي بينما عارض جلالة الملك في تكوين مجلس شورى مختلط يكون فيه للاجانب حق الانتخاب المباشر وللمغاربة حق الانتخاب من درجتين (2) .

واستمرت فرنسا في سياسة الضغط على البلاط لفرض الاصلاحات الى ان خولت لها غطرسة بعض قادتها اللامسؤولين المساس بكرامة الملك واسرته الكريمة فكان ذلك الشرارة الاولى لانبثاق ثورة الاستقلال .

---

1) ورد في بلاغ لوزارة الخارجية الفرنسية وتصريح لرئيس حكومة باريس ما يفيد ان فرنسا تعتبر المديرين الفرنسيين وزراء حقيقيين وان المندوبين مساعدون لهم مما حدا الكتابة الخاصة لجلالة الملك الى اصدار بلاغ في 31 يوليوز 1947 لتحقيق الوضع وطمأنة الشعب .

2) صدر بلاغ اخر من القصر الملكي بتاريخ 24 شتنبر يرد على هذه الترهات ويطالب لشعب بحق نيابي مماثل لما تتمتع به الشعوب الحرة .

الفصل السادس عشر

ثورة الملك والشعب

بدأ الصراع العنيف بين العرش والحماية بخطاب طنجة عام 1947 ولكنه تبلور في الرحلة الملكية الى فرنسا فى 5 اكتوبر عام 1950 وكان جلالة الملك قد حضر عام 1945 فى مهرجان عسكرى بالعاصمة الفرنسية بصفته رئيس دولة اسهمت فى الحرب برجالها وعتادها ولكن زيارته الجديدة لباريس كانت تهدف الى اقتطاف ثمرة الانتصار المشترك والاستفادة مما اصبح الفكر الدولى يضمنه للشعوب وللتعجيل بتنفيذ ما اعطى للمغرب من وعود فى مؤتمر آنفا الذى ضم عام 1943 الى جانب الملك وولى عهده مولاى الحسن قادة الدول الحليفة (رزوفلت وتشرشل ودوكول وجيرو) وكانت خيبة آمال الامة المغربية بعد انطلاقة ثورة الملك والشعب فى طنجة قد تجلت واضحة بعد اقصاء لابون غداة مهرجان العاصمة الدبلوماسية واستبداله بالجنرال جوان الافريقى الناشىء بالجزائر والذى كان اقدر من غيره فى نظر فرنسا على سحق الانتفاضة المغربية الرائعة غير ان حكمة الملك حدته الى تلبية دعوة صديقه «فانسان اريول» رئيس الجمهورية الفرنسية لزيارة باريز لانه كان مومنا بحق شعبه فى السيادة لا يستخفه وعيد ولارد جارح .

ولم تات هذه الدعوة عفوا وانما كانت محاولة مرنة من فرنسا لتلطيف

الجو بعد اليأس الذى دفع نواب الغرف التجارية المغربية الى الانسحاب ممايسمى بمجلس شورى الحكومة فى يوليوز 1950 (1) وكذلك فشل المحادثات بين حزب الشورى والاستقلال الذى قدم مذكرة يطالب فيها بدرس القضية المغربية على اساس تعديل عقد الحماية ، ومن يدرى لعل هذه اللعبة الباريسية ستكون اشبه بلعبة الاقامة ببعض الوطنين الذين استغلت مذكرتهم للتحذير والتفرقة لاسيما وان السياسة القائمة كانت قد جردت السلطان من حقوقه وعارضت ضمنا فى ولاية عهد الامير الشهم مولاى الحسن وبوأت خصومه المناصب العالية واقصت الاستقلاليين بدعوى تواطؤهم مع القصر كل ذلك لشعور المستعمر بتزايد النفوذ الملكى بين طبقات الامة مما دفع صنائع الاقامة من قواد وباشوات الى التزلف للبلاط للحظوة برضاه •

كان جلالة الملك صارما فى مواقفه بالرغم عن غلاف المرونة واللين ، وكان مطلبه يهدف فى غير التواء الى ضمان سيادة البلاد وتحقيق أمانى الشعب فى الاستقلال دون تقيد بالانخراط فى انواع الرباطات والوحدات الفرنسية وقد اظهر الفرنسيون استعدادا لمفاوضة الملك فى صلب القضية المغربية فخفت جامعة بوردو ، حيث نزلت الباخرة المقلة لجلالته لمنح السلطان الدكتورة الفخرية وتحمس الشعب الفرنسي فى اقتبال العاهل وتواردت الجالية المغربية من جميع الانحاء واهتبلت الدولة بابراز مظاهرة حفاوة رائعة ولكن العاهل لم تكن تهمه هذه المجالى الشكلية اذ ان افكاره متجهة بكليتها للمحادثات التى بدات فى باريس مساء ذلك اليوم مع القادة الفرنسيين بعرض مطالب المغرب فى مذكرة اجابت فرنسا عنها يوم 30 اكتوبر بعد مداولات موصولة باقتراح اصلاحات جزئيةضمن معاهدة الحماية وعقبت المذكرة الاولى مذكرة ثانية انعقد بباريس جمع وزارى مصغر برئاسة جلالة الملك لتحريرها حضره بعض اعضاء الحاشية (الصدر الاعظم ووزير الاحباس والمستشار القانونى المغربى) فتقررت

---

1) كان ظهير 13 اكتوبر 1947 قد نظم الغرف الاستشارية المغربية التجارية والفلاحية وتقدم التجار والفلاحون الوطنيون الى المشاركة فى هذه الهيآت التى قبض على زمامها حزب الاستقلال بنجاح مرشحيه وقدمت جامعة الغرف التجارية مقترحات لتخطيط اتجاه جديد فى السياسة الاقتصادية مع نقد لاذع للميزانية المطبوخة فى الاقامة •

المطالبة بتعديل عقد الحماية فى شكل استقلال داخلى يكون مرحلة لتحرر البلاد التام وهنا بدأت المناورات الفرنسية التى كانت نقطة انطلاق لازمة عارمة عندما دفعت الاقامة العامة عضوين مفروضين على الحاشية الملكية وهما القائدان الكلاوى (I) والعيادى لتزعم المعارضة باعلان عدم الموافقة على المذكرة ولكن الملك عاد الى الرباط بعد ان ارسلها صرخة مدوية اقضت المضاجع فاستقبله شعبه استقبال البطل الظافر وازداد تحمس الامة عندما اعلن فى خطاب العرش بعد عشرة ايام جهوده لاقرار الحكم الديموقراطى وعزمه على مواصلة السعى لتحقيق مطامح الشعب ومرت ايام وجدد القصر الاتصال بالاقامة فلم يكن الاستعداد يعدو اصلاحات بسيطة مثل حذف الرقابة على الصحافة واعلان «الحق النقابى» وتعميم التعليم وتغيير مراسيم العدلية وتشكيل لجان استشارية مختلطة ولكن البلاط فضل الاستمرار فى وضع عليل مع التشبث بالمبدأ الرئيسى القاضى بتعديل الحماية على قبول اى اصلاح يمس قانونيا بسيادة الشعب وفى هذه الاونة كانت الحفلات تقام فى فرنسا على شرف باشا مراكش والصحف تنشر صور تنقلاته والمستعمرون يشيدون بموقفه وشارك اعضاء حزب الاستقلال فى لجنة الميزانية لسنة 1951 رغم انسحابهم من مجلس الشورى حتى لا يفرغ المجال لمعارضة متخاذلة ولكنهم اعلنوا تمسكهم بالمبدأ وقام السيد احمد اليزيدى فى تقريره العام امام المجلس بنقد لاذع لسياسة الحماية وخططها الاقتصادية واحتج المقيم على الصيغة العدائية التى اتسم بها هذا العرض العام وهدد باتخاذ التدابير الزجرية اللازمة وقد تضعضع ممثلوا الادارة امام الفظائع الصارخة فى الحكم المباشر والمالية والتعليم والفلاحة وباقى مرافق الدولة التى استغلتها المصالح المقيمية لوجهة استعمارية وتبودلت سهام باردة حتى بين المديرين الفرنسيين وبعض المناديب الذين اجبرهم القصر على اعلان الحقيقة ببيان موقف جلالة الملك من مقترحات الاقامة المهزولة التى لم تكن تنسجم مع رغبة الشعب ، فالبلاط كان مثلا يطالب للعمال بحق نقابى كامل بينما يتلكأ الاستعمار فى تعزيز القوة العاملة ويستمر فى كبتها والقص من جناحها •

واكفهر الجو بتضايق المقيم من هذه الحقائق فطرد أحد الاعضاء الاستقلاليين

I) بقى الكلاوى بضعة اسابيع فى فرنسا بعد عودة جلالة الملك واوجس الناس خيفة مما كان يحاك من دسائس وراء الستار •

من المجلس ورأى زملاؤه في ذلك مساسا بكرامتهم كمنتخبين فتضامنوا معه وفرغت أركان القاعة من أغلبية ممثلي الغرف المغربية الذين اتصلوا بصاحب الجلالة مستنكرين هذا الاستهوان فطيب خاطرهم ونصحهم بالسكون والبرود ولكن رد فعل جلالته كان قويا عندما حاول الكلاوى بمناسبة زيارة عيد المولد الضغط على القصر ضد الوطنيين فلم يسع جلالته الا طرده وامره على لسان الصدر بالعودة العاجلة الى مراكش انتظارا للاوامر الملكية وشبت الشرارة الاولى بين البلاط والاقطاعيين فانسحب العيادى وابناء الكلاوى ووجهت الصحافة الاستعمارية هذا الحدث توجيها يمس بالقصر ويعلي من شأن الاقطاع رغم بيان الصدارة العظمى حول حقيقته وانطلقت منذ ذاك سلسلة من المؤامرات المحبوكة في مكاتب الاقامة ونشرت الفيغارو تصريحات للكلاوى بلسان الشعب والقواد وباسم الدفاع عن الاسلام للمطالبة باستمرار الوحدة مع فرنسا في نطاق الحماية ووسم الاحرار بالشيوعية وتجول الكلاوى في طول البلاد وعرضها بمساعدة الاقامة العامة للاتصال كزعيم سياسى ودينى بالباشوات والطرقيين فتواردت وفود العلماء على القصر لاعلان الولاء واستنكار اعمال باشا مراكش وعزز الجنرال جوان حملة صنائعه بتهديد الملك يوم 26 يناير 1951 والتعريض بخلعه وتمزيق وحدة البلاد وأيقاد حرب اهلية اذا لم يعمد السلطان الى استنكار عمل حزب الاستقلال وطرد أعضائه من حاشيته والموافقة على الظهائر المطبوخة فى المصالح الفرنسية وارفق جوان هذا الوعيد باستغلال نفوذه العسكرى فى كتلة الحلفاء بدعوى السلام والامن فى البحر المتوسط والمحيط الاطلسى ضد كل ثورة اقليمية فكانت خطته محبوكة : اثارة الفتنة والارتكاز عليها للقمع باسم الدولة المغربية ورحل جوان صحبة رئيس الحكومة الفرنسية الى الولايات المتحدة مخولا للقصر مهلة يسيرة للتفكير والا اضطر بعد العودة الى تنفيذ مؤامرته الجهنمية وكان يعلم انه مقبل على تسلم مقاليد هامة فى الدفاع الاطلسى وان الاستراتيجية العسكرية الغربية تحتم الهدوء فى الاقليم المغربى حيث سمحت فرنسا من تلقاء نفسها ودون مشورة المغرب فى اتفاق ابرمته مع أميريكا غداة قنبلة السلطان بباريس (22 دجنبر 1950) بتاسيس قواعد جوية فى مراكز مختلفة من التراب المغربى ولعل ذلك كان محاولة لالجام الولايات المتحدة المرتبطة ادبيا مع السلطان بوعود روزفلت .

ولكن جلالة الملك لم يعبأ بهذا التهديد رغم العرائض التى لفقها خصوم

كل من القصر وحزب الاستقلال ورغم الخطأ الدبلوماسى الذى ارتكب بادراج الخلاف الحزبى فى قضية وطنية خطيرة وفى ظروف كانت كل محاولة من هذا القبيل تعد مساسا بالكتلة المتراصة التى تجمع الملك والشعب وتعزز موقف البلاط بانتفاضة العالم العربى والاسلامى فى التنديد بالسياسة الفرنسية باستنكار الاحرار الفرنسيين لموقف جوان منها واضطر روبير شومان وزير خارجية فرنسا الى تبرئة ساحة المسؤولين فى باريس من كل ما اصبحت الصحافة العالمية تلوكه حول مايبيت للعرش المغربى ورضخت الدوائر الاستعمارية فى هذه الغضون راضية من السلطان بتصريح لادانة حزب الاستقلال واقصاء رجاله من القصر وازاء تصلب صاحب الجلالة ورفضه فصم العرى الوطنية التى تربطه باحرار امته عمد المقيم الى الضغط على الصدر الاعظم وهيئة المناديب لاعلان ذلك الاستنكار بدلا من القصر الصامد وتوالت اجتماعات المندوبين واتصالاتهم بالاقامة وقررأيهم آخر الامر على عدم الانصياع لوعيد المستعمرين وحقق جلالة الملك بمساندة ولى عهده الامير الحسن خطوة اولى فى طريق النصر ولكن هذا الفشل لم يزد الاستعمار الا عنادا اذ صدرت الاوامر الى الاقطاعيين بتحريك فرسان القبائل فى حشد عام لمهاجمة فاس والرباط وكانت الاقامة قد سلمت فى نفس الوقت (25 يبراير 1951) رسالة الى جلالة محمد الخامس من رئيس الجمهورية الفرنسية يلح فيها على تدارك الامر بقبول الاصلاحات التى ستؤدى الى الاستقلال الداخلى ولكن هذه المكايد المعسولة لم تنطل على القصر الذى رأى فيها استدراجا للتنازل عن مبادئه فواجهها بالبرود فى اباء وشمم وهدد المقيم من جديد باطلاق ايدى الاقطاعيين للهجوم على الحواضر وخلع الملك ووجه «بروتوكول» الاصلاحات الى السلطان الذى اضطر حقنا للدماء ان يؤشر عليه بعلامة تفيد مجرد الاطلاع لا الموافقة ربحا للوقت ثم عزلت الاقامة بعض اعضاء حزب الاستقلال من مناصبهم واصدرت امرها برجوع فرسان القبائل الذين اوغرت صدرهم بسوقهم الى ابواب العاصمة الادارية ضد ملك يستميتون فى حبه والولاء لعرشه فكانت نكسة جديدة للاستعمار فى صورة

---

1) حاولت كذلك اعتقال السيد علال الفاسى المقيم بطنجة فخف رئيس حزب الاستقلال فى يوليوز الى مدريد ومنها الى القاهرة للدفاع عن قضية المغرب فى العالم العربى ووصل فى نفس الوقت السيد محمد بن الحسن الوزانى رئيس حزب الشورى والاستقلال •

انتصار موهوم مافتىء الملك ان بدد غيومه فى تصريحات اكد فيها انه لم يؤشر الاتحت الضغط وكان الفكر العام فى الشرق العربى والعالم الحر قدهب للتنديد بسياسة الجبر والاكراه التى لم تغير من الواقع شيئاوشعرت فرنسا بفشل الجنرال جوان فحاولت ابعاده عن المغرب باقتراح تعيينه فى القيادة العليا لجيش الحلفاء باوربا الوسطى وبذل هو جهده بمساعدة المعمرين للاحتفاظ بمنصبه حتى يستكمل برنامج القمع الذى خططه لتحقيق الادماج ولكن باريس ارسلت اوائل اكتوبر 1951 خلفا له فى شخص الجنرال كيوم الذى نهج فى البداية مسلكا غامضا سعى خلاله الى استمالة بعض الهيئات ولكنه مالبث ان كشف القناع عن وجهه الحقيقى وعن بنوته الروحية للجنرال جوان وكان الحنق المكبوت يتجلى فى اشرارات لاذعة خلال حركة التجوال التى اعقبت جولات سلفه الوداعية وقد تجلت بادرة المناورات الموصولة فى تمويه انتخابات الغرف التجارية والفلاحية التى استعجلت الاقامة العامة اجراءها ولما يمض شهر على وصول الممثل الفرنسى الجديد فشعرت الهيآت الاقتصادية بما يبيت لها واعلنت جامعتها الوطنية مقاطعة الانتخابات التى عاند المستعمرون فاجروها فى خضم من الدماء والقمع فى البوادى والحواضر والبادية ولكنها منيت بالفشل الذريع رغم تجنيد صنائع الاستعمار وتموين صحفهم وندواتهم من ميزانية الدولة وكان زعماء الاستقلال يندون فى الشرق بهذه الحلقة الطائشة من الاضطهادات فهبت جامعة الدول العربية لتسجيل قضية المغرب فى جدول اعمال هيئة الامم المتحدة قافزة بها الى الحقل الاممى ومعززة بملف ضخم يدين السياسة الفرنسية الخرقاء ورغم تاجيل القضية بدعوى انها داخلية لاتعنى سوى المغرب وفرنسا تمكن العرب من اقناع كثير من الدول الاعضاء بالصبغة الدولية التى تتسم بها قضية بلد تضمن له المعاهدات السيادة الكاملة وتعزز هذا الموقف بتبريك الملك فى خطاب العرش لبادرة الامم العربية والاسلامية فكان فى ذلك تكليف ضمنى من طرف المؤتمن على السيادة بدفاع العرب عن الكيان المغربى وتكتلت الدول الاسيوية مع زميلاتها العربيات لاعادة الكرة مرارا فقررت الجمعية العمومية التاجيل الموقت وحققت الدبلوماسية العربية الاسيوية بذلك خطوة هامةفى سبيل تدويل القضية المغربية اقضت مضاجع المعمرين الذين بلغهم هذا النبأ المزعج وهم فى غمرة اصطناعية فى مجلس شورى المقيم وثارت ثائرة الادارة الاستعمارية ازاء التكتل الاجماعى ضد الحماية فصارت تنزل ضرباتها دون

وعى ولا هوادة معتقلة القضاة والخطباء ورجال الدين فى فاس والرباط والبيضاء والجديدة (I) غير ان الارهاب لم يفت فى عضد الشعب الذى قدم ممثلوه يوم II يناير مذكرة الى صاحب الجلالة للمطالبة باعلان الاستقلال فعمد القصر الملكى الى تجديد مطالبة فرنسا بالغاء الحماية وتشكيل حكومة مغربية واجراء مفاوضات ثنائية لاقرار علائق جديدة وذلك فى مذكرة الى الحكومة الفرنسيـــة بتاريـــخ I4 مارس ونادى المتظاهرون يوم 30 مارس بوجوب فسخ الحماية فواجهت فرنسا هذا التيار العارم بسيل من الاعتقالات وبايقاف الصحف الوطنية خنقا للرأى العام المغربى الذى تمكن مع ذلك من التعبيرعن سخطه امام مندوبى امريكا الجنوبية المدعوين من طرف فرنسا للوقوف على منجزاتها بالمغرب واخيرا اجابت فرنسا المذكرة الملكية فى I7 شتنبر 1952 اتضح من البلاغ الملكى الصادر يوم 8 اكتوبر 1952 خلوها من اى عنصر جديد يمكن الارتكاز عليه لتجديد العلاقات وكان امل الشعب وطيدا من حسن تفهم الحكومة الفرنسية لاسيما وان مؤتمر الحركة الجمهورية الشعبية طالب بالغاء الحماية ولكن باريز ظلت متمسكـــة بالاوهام مصرة على اقرار الازدواجية فى ادارة الحكم والهيآت النيابية لذلك لم يتردد الملك فى رفض فحوى المذكرة الجديدة وكان الوضع يتأزم بين فرنسا وحلفائها فرفضت الكتلة الاطلسية اقحام المغرب بالرغم عنه فى مجموعتها كما ادان التجار الامريكيون بالمغرب امام محكمة ،لاهاى (I5 يوليوز 1952) سياسة التقنين الفرنسية المنافية لعقد الجزيرة فكان فرصة لافتضاح سياسة الحكم المباشر وابراز سيادة المغرب الاقتصادية بفتـــح ابـــواب الاستيراد الحر عـــلى قـــدم المساواة بين جميع الاجانب ولم يكن هذا النزاع الفرنسى الامريكى ليعضـــد حكومة باريز امام هيئة الامم حيث اضطرت الولايات المتحدة نفسها بعد تسجيل قضية المغرب من جديد الى اعلان ضرورة أثبات جميع الدعاوى الموجهة الى المنظمة الاممية فتمت بالفعل الموافقة على ادراج القضية واتجه الفكر العام المغربى الى الحقل الدولى فقام علال الفاسى بجولة فى امريكا اللاتينية يدعوها لتعزيز موقف العرب والمسلمين فى قضيتنا العادلة ووقفت فرنسا موقف المتهم امام الدول فلم يجد وزير خارجيتها شومان حجة اقوى من ادعاء عدم الاختصاص لان قضية

I) كان من جملة من حكم عليهم بالسجن ثمانية عشر شهرا فى 8 يناير 1952 والدى السيد عبد الواحد بنعبد الله بتهمة مهاجمة سياسة الحماية .

المغرب فى نظره داخلية ولكن اصداء تصريحات جلالة الملك وخطاب العرش فى العيد الفضى (I8 نونبر I952) كانت قد وصلت بعد انعقاد الدورة باسبوع (8 نونبر) محبطة فى مضمونها الادعاءات الاستعمارية فكان فى ذلك انتفاضة جديدة للكتلة الافريقية الاسيوية التى حققت خطوةهامة بمصادقةالامم المتحدةعلى نص يطلب من فرنسا معاضدة الحريات الاساسية عن طريق التفاوض غير ان رد الفعل الفرنسى تبلور فى تكتيل الصنائع مثل الكلاوى والكتانى بالمغرب وبسياسة الاغتيال بتونس حيث قتلت اليد الحمراء الفرنسية الزعيم النقابى فرحات حشاد فكان ذلك مبدأ انطلاق الشعب المغربى فى سلسلة من الاضرابات والمظاهرات استشهد فيها ماآت المغاربة واوقفت الصحف الوطنية واعتقل قادة الاحزاب القومية مع الاف المواطنين وتنفس المستعمرون الصعداء حاسبين ان الجو قد خلا لترويج ترهاتهم ولكن هذا الجو المكبوت كان ينذر بالانفجار لان الشعب الواعى كان يتربص لاسيما وان الفكر العام العالمى كان يسانده فى قلب فرنسا وقد شعرت الاقامة العامة بان استئصال شافة المعارضين لايمكن ان يتم الا اذا توج بخلع الملك وقد اوعزت لصحافتها بالمغرب وفرنسا ان تمهد الجو للتآمر على العرش الذى اصبح عقبة كاداء فى وجه الاستعمار وتحرك البيادق من الباشوات والقواد وأدعياء التصوف معززين بأحزاب مفتعلة كحزب الادريسى وحزب الزمرانى (حزب‌الشعب) وقدماء المحاربين واحزاب فرنسية كالحزب الراديكالى الذى عقد مؤتمره بالمغرب فى‌ابريل1953لتاسيس‌جمعية‌الوجودالفرنسى وازاء هذه الضجة المصطنعة وجه‌الملك‌مذكرةجديدة (I4ابريل) يقترح‌اجراءمفاوضات بباريس نظرا للتعفن السائد بالمغرب فاجابت حكومة فرنسا بعد اسبوع بان المحادثات يجب ان تدور بالرباط مؤكدة بذلك تضامنها مع كيوم واعوانه واقيم فى الحواضر المغربية مهرجان عظيم ضم الى جانب كيوم الجنرال جوان والوزير الفرنسى لقدماء المحاربين ومختلف البيادق ودبرت خطة كفاهم فيها جوان مؤونة باريس ونسق العمل الهادف الى خلع الملك بعريضة للقواد سلمت الى بيدو وزير خارجية فرنسا تندد بحياد محمد الخامس عن الدين وبمساندته للاحزاب وبعزم القواد والباشوات على تنحيته عن العرش ووضع مقاليد الامر فى يد شخصية احق ولم تكن الاقامة تقصد فى البداية سوى الضغط على القصر لقبول الاصلاحات فى اطار الحماية ولكنها وجدت فى شخص محمد الخامس شهما صمد فى رزانة وحكمة امام هذا «الشانطاج» وقد وقفت الامة خلف الملك

تسانده بعرائض الولاء فانبرى العلماء وبعض كبار القـواد لدحـض ترهـات
الباشوات الموظفين الذين يزعمون التحدث باسم الامة كما تألفت فى باريز
برياسة الكاتب الحر فرنسوا مورياك لجنة «فرنسا المغرب» لتنوير الفكر العالمى
حول حقيقة ما يجرى فى المغرب والتنديد بهذا الوجود الفرنسى الذى يريد ان
يرتكز بالحديد والنار والدسائس والمؤامرات فى بلد له كيانه وسيادته وفى
هذا الخضم كان الشعب يواصل رغم القمع الشديد مظاهراته الصاخبة وكانت
الوثبة اجماعية حول محمد الخامس ولكن الاقطاعيين المدفوعيـن مـن طـرف
الاستعمار المسعور والمعززين بصحافة ماجورة كانوا منطلقين فى غيـر وعـى
ولا هوادة نحو تحقيق خطتهم الجهنمية فاقسموا الايمـان فـى ضريـح المـولى
ادريس يوم II غشت 1953 لينزلن عن العرش هذا الملك الذى ابى الامـناواة
فرنسا لتحقيق مايسميه هو والوطنيون بالمطامع القومية وبالاستقـلال وكـان
الميعاد هو I3 غشت بمراكش لتنفيذ الحلقة الاخيرة من هذه المأساة التى لم يكن
اقزامها يحسبون لثورة الشعب حسابها وابى الملك الا ان يحذر فـرنسا مـن
عواقب هذا التيار الذى سوف يجرف بالاستعمار واذنابه قبل ان يؤثر قلامة
ظفر فى صمود الملك والشعب وعندما كان القواد والباشوات متجمعين فى عاصمة
الجنوب جاء كيوم الى القصر الملكى محاطا بالدبابات التى احدقت بالمشور وكان
الجنرال المقيم يلعب على حبلين يتظاهر بالوساطة بين الطرفين وبالمسالمة تمويها
على الراى العام (اذ كان بيدو قد صرح امام الحكومة بان فرنسا لاتنوى خلع
الملك) ويوجه فى نفس الوقت بيادقه مثل بونيفاس وفالا الى المتآمريـن فـى
مراكش لحثهم على جعل فرنسا امام الامر الواقع وفعلا انتهى مؤتمر الاقطاعيين
فى الجنوب يوم خامس عشر غشت بحضور المقيم ومبعوث الحكومة الفرنسية
الخاص وباقى رؤساء النواحى واقطاب الاستعمار ـ بالمناداة بالشيخ العجوز
محمد بن عرفة اماما دينيا للمغرب واصدر كيوم بلاغا حول مقابلته مع الملك
وفرضه على العاهل اصلاحات جردت الملك من سلطته التشريعية لصالح هيآت
مشتركة من المغاربة والفرنسيين فانبثق الشعب من اقصى البلاد الى اقصاها
فى فورة عارمة يندد بالضغط الذى يتعرض له رمز الامة واصدر القصر بلاغا
يوم I7 غشت يدعو الى الهدوء ويذكر بان الاحداث الدامية التى غمرت المغرب
لم تكن سوى نتيجة محسوسة للمساس بالعرش المؤتمن على سيادة الامة وشعرت
الحكومة الفرنسية بالخطر فامرت مقيمها بالوساطة بين القصر والباشوات من

جديد واستدعى المقيم الكلاوى بمجرد عودته من باريس بالتعليمات الحكومية القاضية باقناع خصوم القصر بالتساهل وتلفن لباريز الاخبار الحكومة برفض الكلاوى كل مفاهمة ثم جاء الى القصر فى هاجرة الزوال تعقبه دوريات مصفحة توغلت داخل المشور فطالب كيوم الملك فى وقاحة بامضاء وثيقة التنازل عن العرش فكان جواب الملك الرفض البات فلم يسع مدير الامن سوى اعتقال الملك ونجليه الاميرين مولاى الحسن (جلالة الملك الحالى نصره الله) ومولاى عبد الله فسيق الجميع على متن طائرة فرنسية الى جزيرة كورسيكا مع باقى افراد الاسرة الملكية

هناك انطلقت الشرارة الاولى من شعب فقد قائده وزعماءه فانبرى فى اندفاعة ثورية يشق طريقه في واد من الدماء نحو التحرر واسفرت هذه الفورة الشعبية عن انبثاق حركة فدائية طوحت بكثير من رؤوس الفتنة وبيادق الاستعمار وبثت الرعب فى صفوف المستعمرين وفرضت بالحديد والنار ارادة الامة بالرغم عن الاعتقالات والاعدامات وتكديس المواطنين فى المعسكرات وعقبت هذه الاندفاعة المرتجلة العنيفة معركة منظمة أجج اوارها قادة جيش التحرير فى الداخل والخارج وكانت منطقة الشمال الخاضعة للنفوذ الاسبانى ملتقى للاحرار ومعسكرا للتدريبات ينبثق منها رجال الفداء لانزال ضرباتهم الموصولة وخشى الاستعمار مغبة هذه الانطلاقة الجامحة فعزز الداخل بجيش عرمرم من الجند والجواسيس واشاع الرعب والارهاب ونقل الملك البطل والامراء والاميرات الى جزيرة مدغسكر خشية التواطؤ على الاختطاف وتوالت فى العالم العربى والاسلامى هزات زعزعت اركان المستعمرين وفضحت المكايد الفرنسية وأثارت موجة من الاستياء حتى داخل فرنسا وكان الشعب موقنا بنجاح مسعاه مومنا بقرب عودة الملك المنفي الى عرشه لان ارادة الشعب لاتقهر وتعاقبت الضربات والقذائف على ابن عرفة واذنابه واعترضته مفرقعات الفداء مرارا فصار يستنجد فرارا من هذه المملكة الوهمية ولا مغيث وغلق الكلاوى والاقامة على هذا العجوز ابواب القصر واصبح سجينا تساق اليه الظهائر المقيمية لتوقيعها واخيرا توالت صرخاته فسمح له اسياده بالاستجمام فى طنجة او خارج المملكة ونصبوا له ولى عهد فى شخص ولده وكان مؤتمر ايكس ليبان قد انعقد لجس النبض ولتغطية فشل السياسة الاستعمارية بمحاولة ترمى الى انقاذ الموقف وايقاف تيارات النقد اللاذع المنصب على باريز واختلفت الآراء بين الوطنيين فى الداخل والخارج وكان الاحرار قد انطلقوا من السجون بعد ان كان وعيد الاستعمار ينذرهم بالموت العاجل او الخلود فى معسكرات الاعتقال وشعر الكل بضرورة الانسياق مع هذه التجربة الجديدة التى لم تكن سوى تغليف دبلوماسى لاخفاق فرنسا واصبح مطلب الشعب القاضى برجوع الملك حديث الاندية وترددت اصداء المحالات داخل الكوالس فى شكل امكانيات وتساوقت الاحداث فعين مجلس موقت لوصاية العرش ونقل محمد الخامس الى سان كلود بفرنسا وانصاعت باريز الى مطامح الملك والشعب فاعترفت بالواقع وعاد الملك الظافر يوم 16 يونيه 1955 الى الرباط ليحمل لشعبه وثيقة الاستقلال فى خضم من الافراح كللت ثورة الملك والشعب .

المعجم التاريخي

اهم الاحداث والاعلام والاماكن مرتبة ترتيبا ابجديا

تأليـــف :

عبد العزيز بنعبد الله

استــاذ بكليــة الآداب

هذا المعجـم لايحتوى الا على معلومات اضافية لم تذكر فى كتابينا « معطيات الحضارة المغربية» و « تاريخ المغرب »

المعجم التاريخي

ـ أ ـ

الاخمـــاس : كثير من قبائل الغرب كانت مقسمة الى اخماس والخمس عبارة عن وحدة عسكرية لا ادارية لان كل خمس يحتوى على جماعة من الرماة على رأسهم مقدم ولها علم ذولون معلوم قد نقشت عليه عبارة « لا اله الا الله » .

الأرز : ذكر مييج Miège (هسبريس 1959 ص 219) ، ان الارز كان يزرع فى الغرب طوال القرن التاسع عشر الميلادى وقد اصدره المغرب الى فرنسا عام 1840

اما القطن فقد توفرت مزروعاته بين 1805و1840 قرب تطوان (مارتيل) وفى ولجة سلا (حيث وصف التاجر الفرنسى Rey بساتين القطن عام 1839) وبين هضاب شالة وابى رقراق وقرب الدار البيضاء (وادى بوسكورة) وفى وفى انحاء ازمور والجديدة واسفى وكذلك حول مكناس وفى الريف والسوس وخاصة حوز مراكش وكانت مصانع تطوان تتوفر عام 1828على لالات لفرك الياف القطن كما كان بالرباط 28 معملا لنسيج القطنيات وقد بلغ الانتاج عام 1836 فى تطوان نحو 80 طنا وفى الرباط وسلا بين عامى 1840و1850 خمسة عشر طنا وقد اصدر المغرب القطن بين سنتى 1810و1840 لمرسيليا ولندن وجنوة وجبل طارق وقد جلب المغرب القطن من الاسكندرية على بواخر فرنسية وانجليزية كما جلب القطنيات من انجلترا والهند والقطن الازرق من السودان وبعد « مجاعة القطن » فى اوربة (1858 ـ 1865) ازدهرت زراعة القطن فى المغـرب واهـتم سيدى محمد بن عبد الرحمن بمدها الى اراضى المخزن حفظا للعملـة المغربيـة المصروفة فى الواردات .

ازغـــار : بلاد الشراردة وسفيان والخلط

أزمـور ، سماها ياقوت فى المعجم (ج 1 ص 216) أزمورة (بثلاث ضمات) كما انه سمى اصيلا بازيلى وكذلك ابن حوقل (ص 217) .

ـ راجع النص العربى للرسالتين التين وجههما سكان أزمور الى ملك البرتغال يوحنا الثانى عام 1486 ـ للاعتراف بخضوع اقليمهم للبرتغال ودفع عشرة ءالاف حوتة من الشبل سنويا كجزية مع جواب يوحنا بالعربية (السلسلة الاولى ـ

من وثائق المغرب غير المنشورة السعديون ـ البرتغال ج I ص 4) وقد خاطبه اصحاب مدينة ازمور « بمولانا دون جون أرشده الله سلطان برتغال ٠٠ يقبلون يديكم مع رجليكم الكريمة والرسالة ممضاة من محمد بن قاسم الرعيني تعقبها رسالة موافقة تحمل عدة تواقيع من سكان أزمور (IO ـ I6) راجع ايضا النص العربي لرسالة يوحنا الثاني الى سكان آسفي (I488) جوابا عن طلب قائد اسفى احمد بن علي الذي اوفد ابن اخيه يحي الزيات لاعلان خضوع المدينة ليوحنا بعدان خضعت للفونس الخامس (المتوفى عام I48I) فجدد يوحنا العهد للقائد ومدينته كرعايا للعرش البرتغالي مع التزام اداء ثلاثمائة مثقال ذهبي نقدا او قيمتها شمعا مع فرسين كل سنة ودور صالحة او قطع ارضية لبناء دور يسكنها موظفو الملك (ص25) تليها رسالة عما نويل الاول الى أهل ماسة الذين اوفدوا الشيخ العزيز مع حمو بن بركة وسيدى يحيى لاشبونة للاعتراف بسيادته على البلاد (ص 3I) كما خضع له شيوخ قبيلة مشنزايه اكتبها هكذا صاحب السلوة 2ص78) وكتبها مشتراية ابن القاضي في الدرة والجذوة وابن عسكر في الدوحة وابن الزيات في التشوف) برسالة كتبوها من المدينة في ثالث جمادى الاولى 908) (4 نونبر I502) (ص 70) وتناحر هؤلاء القواد هو الذي حداهم الى الاستعانة بملك البرتغال حتى ضد ملك مراكش الناصر بن يوسف

وفي هجوم البرتغال الاول على أزمور عام I508 م قذف اهل المدينة على العدو المهاجم خلايا النحل (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ البرتغال ج I ص 407) وكذلك في الغارة الثانية عام I5I3 م (ص 407) وكان الاسطول البرتغالي يحتوى على خمسمائة قطعة بقيادة دوق دوبر كانص Duc de Bragance (ص 430) وقد زحف من الجديدة I8000 جندى نحو أزمور (ص 434)

ـــ القائد التركي كان يحكم ازمور باسم مولاى عبد الملك اقترح تسليم المدينة لمولاى محمد المسلوخ واخبر بذلك والى الجديدة البرتغالي كما ورد في رسالة سبستيان (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3ص 394)

الاستانة الباب العالي خصص منحة سنوية لمولاى عبد الملك واخيه عبد المومن في تلمسان وقدرها 40٠000 او 5000 دوبل (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3ص206) وذلك قبل أن يساعده بعشر سفن لنقل العتاد وعشرين مدفعا وبعشرة ءالاف جندى تركي (ص 2I5) وقد بلغ عدد السفن التركية في المغرب في هذا العهد نحو الخمسين (ص 239) معظمها في سلا والعرائش (ص 246)

ـ ذكر المولى عبد الرحمن بن زيدان ان سيدى محمد بن عبد اللـه دعـا للسلطان عبد الحميد العثمانى يوم عيد الاضحى على المنبر (الاتحاف ج 3ص178)

الاسطول : كانت القطع القرصانية بسلا فى عهد مولاى رشيد عام 1669 تحتوى على 1) فركاطة من صنع سلا حمولتها تسعون طنا مجهزة بستة مدافع وتحمل مائة وثمانين ملاحا 2) فركاطة اقتنصت من فرنسا عام 1668 من حمولة 60 طنا وستة مدافع وتحمل 110 من الملاحين 3) مركب فى قوة الفركاطة المذكورة من صنع هولندى اقتنص من الانجليز 4) فركاطة من صنع انجليزى اقتنصت حمولتها 50 طنا وجهازها أربعة مدافع تحمل 80 ملاحا 5) مركب من صنع هولندى اقتنص من الفرنسيين 6) ثلاث فركاطات صغرى مصنوعة بسلا ذات حمولة وزنها ثلاثون طنا للواحدة ومدفعان وستون راكبا 7) فركاطة جديدة من صنع سلا حمولتها مائتا طن مجهزة بأربعة وعشرين مدفعا تحمل ثلاثمائة راكب وقد استولى القراصنة فى هذه الغضون على 19 سفينة انجليزية وأربع فرنسية كما لجأت الى سلا سفينتان من صنع جزائرى (الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 279)

ـــ عندما اعتلى السلطان مولاى سليمان اريكة العرش كانت البحرية الملكية تتوفر على عشر فركطات وأربعة مراكب شراعية وأربعة عشر زورقا وتسعة عشر مركبا كبيرا للمدافع مع ستة ءالاف من البحارة الماهرين (كودار ج 1ص 156)

الاسرى : لاحظ Du Tertre دوتيرتر فى تاريخ جزر الانطيل (ج1ص81) أن كثيرا من المحررين من بين الاسارى الاقدمين فى افريقيا الشمالية « يلعنون الساعة التى خرجوا فيها من الأسر لأنهم أشد بؤسا فى وضعهم الجديد

ـ وجه لويس الثالث عشر ملك فرنسا رسالة الى ديوان جمهورية سلا يطلب تحرير الأسرى الفرنسيين فحرر الديوان مائة وعشرين منهم وقد تدخل بين الطرفين فى سلا العميل الانجليزى جوهن هاريسون لانجاح المسعى (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 309) راجع النص العربى للرسالة الموجهة فى شأن تحرير الاسرى من مولاى عبد الملك بن زيدان الى لويس الثالث عشر بتاريخ 26 ربيع النبوى سنة 1040 (ص 350) وقد ارفق ملك فرنسا رسالته الى عبد الملك بمنسوجات قيمتها مائة الف ليرة مقابل الاسرى (ص 390) ووجه مولاى الوليد ابن زيدان مبعوثه الاسرائيلى دافيد بالاش الى فرنسا فتسلم الهدايا مع نص مصادقة ملك فرنسا على معاهدة الصلح ولكنه سافر الى هولندا وحسب السلطان.

أن فرنسا احتقرته فلم تجب مدة عام ونصف فسمح للقراصنة بمطاردة السفن الفرنسية وأسر الرعايا الفرنسيين واعتقال القنصلين مازى Mazet ودوبوى Du Puy وكان بالاش قد سلم الى ملك فرنسا رسالة اعتماد مزورة فتدخلت فرنسا لدى هولندا للقبض على بالاش واستشارت هولندا السلطان فأمر باعتقاله فى رسالة مؤرخة ب1635م حملها الى فرنسا دوشالار Du Chalard الذى جاء لتصفية هذا الخلاف ومنها الى هولندا فى العام التالى ولكن بالاش فر الى كولونى فى حين سعى والده يوسف واخوه موشى لتبرئته فجدد له الوليد اعتماده كمبعوث للمغرب فى هولندا (ص 396)

— نظرا للخلاف بين فرنسا والمغرب حول تبادل الاسرى اوقفت فرنسا مبادلاتها التجارية مع المغرب بمرسوم ملكى عام 1687 ولكن التجارة استمرت خوفا من استيلاء الانجليز على السوق لاسيما وأن فرنسا زاحمت انجلترا منذ مدة فى بيع الانسجة الصوفية علاوة على احتكارها لسوق نسيج القطن والكتان (دو كاستر — السلسلة الثانية — العلويون ج 3 ص 144 — 179)

— ذكر الزيانى أن سجون المولى اسماعيل كانت مملوءة بخمسة وعشرين ألف أسير مسيحى ونحو ثلاثين ألفا من المجرمين وقطاع الطرق (مقتطفات من الترجمان المعرب — ترجمة هو داس ص 54)

— ورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle ان مولاى اسماعيل الذى كان يحتفظ فى سجونه بأسرى برتغاليين اشترط لتسليمهم تنازل البرتغال عن الصويرة كما اشترط لتسليم الأسرى الاسبان دفع الكتب العربية المحجوزة فى اسبانيا (السلسلة الثانية العلويون ج 3 ص 349)

— دفعت اسبانيا مقابل تحرير مائة أسير اسبانى من ضباط العرائش 1051 أسيرا مغربيا وجزائريا (ص 120) علاوة على نفقات بلغت مائة وخمسين ألف بسيطة (السلسلة الثانية — العلويون ج 3 ص 428 — 437) وورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle أن فرنسا اقترحت استبدال أسيرين بأسير مسيحى ، ولكن مولاى اسماعيل تنازل لتعويض رأس برأس (ص 441)

— كان عدد الاسرى بمكناس أوائل القرن الثامن عشر 130 فرنسيا و 460 اسبانيا و 200 برتغالى و 17 جنويا و8 من السويد وهو لندیان اثنان (السلسلة الثانية — العلويون ج 6 ص 484)

آسفي : نصت رسالة مؤرخة ب 7 اكتوبر 1534 وجهها اسقف لاميكو Lamego الى ملك البرتغال يوحنا الثالث يوصيه بالتنازل على آسفي وأزمور واكادير بعد هدمها وباحتلال مملكة فاس الحافلة بالمدن الغنية بالمياء المعتدلة المناخ بالنسبة لدكالة ومملكة مراكش والتى هى أشبه بالبرتغال ومدنها ضعيفة يسهل احتلالها فى حين أن عرب الجنوب رحالة تصعب مطاردتهم ، ويجب انقاذ سبتة لاهميتها بالنسبة للمسيحية (م٠غ٠و٠السعديونIجIص 57)

وفى رسالة اخرى من أحد النبلاء الى الملك يحضه على استشارة البابا ويؤكد أن احتلال المغرب يجب أن يتم سواء بدىء بفاس أم مراكش لان فى ذلك تعويضا للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا (ص73) وتنصح رسالة اخرى الملك بالتقليل من مصاريف البلاط للبدء باحتلال مراكش دون التنازل عن اسفى وازمور (ص 90)

الاسقفية : كان المغرب هو الاسقفية الوحيدة التى تشرف على الحركة المسيحية بافريقيا الشمالية وكان اسقف مراكش هو المسئول الوحيد (ماس ــ لاطرى ــ علائق وتجارة ــ افريقيا الشمالية مع الامم المسيحية ص 226)

الاسلام : لاحظ ابن عذارى أنه فى عام 85هـ تم اسلام المغرب الاقصى وحولت المساجد التى بناها المشركون الى القبلة وجعلت المنابر فى مساجد الجماعات وفيها صنع مسجد أغمات غيلانة (ج I ص 37)

ــ ذكر ابن خلدون فى تاريخه (المجلد الاول القسم الثانى ص 293) نقلا عن ابى زيد انه ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتى عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده

ــ اكد روبير مونطانى Robert Montagne فى كتابه البربر والمخزن Les Berbères et le makhzen ص 54 أن الاسلام هو الذى حمل الى المغرب فكرة الدولة

ــ راجع النص الاصلى المختوم لرسالة وجهها المولى اسماعيل بالاسبانية الى جاك الثانى ملك انجلترا عام 1698م (1109هـ) يدعوه فيها الى الاسلام ويذكره بعلائق المغرب الطيبة مع الملك السابق شارل الثانى (السلسلة الثانية العلويون ج3 ص560) تليها رسالة بالعربية مطولة فى نفس الموضوع (ص 562)

ــ أكد لاووست Laoust (نشرات معهد الدروس المغربية العليا مجلد 18 ص 9) أن ورود المسيحيين على الجبال المغربية قد اعتبره البربر أفدح شر منى به الشعب المغربى

ـــ نشرت مجلة هسبريس (ج 4 سنة 1924) نماذج للقانون العرفي في مأسة قبل عام 1298 وهو يحتوى على 29 فصلا و 190 بندا وقد نص البند العاشر بعد المائة أن فى وسع شخصين أن يتفقا على احالة دعوى الشرع بعد تقديمها الى مجلس القبيلة أو الجماعة وأن الواجب ءانذاك هو تطبيق الشريعة الاسلامية لا العرف المحلى .

ـــ **اسماعيل** (المولى) : كان مولاى اسماعيل بفاس ينوب عن اخيه مولاى رشيد عندما مات هذا الاخير بمراكش وقد بويع بفاس كما أكد ذلك الافرانى والقادرى فى نشر المثانى خلافا للزيانى والناصرى الذين نصا على أن البيعة كانت بمكناس مقر نيابة مولاى اسماعيل

ـــ لاحظ الزيانى أن المولى اسماعيل ترك 528 ولدا ومثلهم من الاناث وقرأ فى سجلات سيدى محمد بن عبد الله حيث كانت تدون المنح الموزعة عليهم أن هذه الذرية كانت تحتل خمسمائة دار بسجلماسة كما وقف الزيانى على ذلك بنفسه عندما توجه الى الصحراء لدفع هذه الاعانات (مقتطفات من الترجمان المعرب ، ترجمة هوداس ص 54)

الاكحــل ــ لاحظ الناصرى (الاستقصا ج 2 ص 57) أن السلطان الاكحل هو ابو الحسن المرينى لأن أمه كانت حبشية بينما أكد باسى أنه هو أبو يعقوب يوسف المرينى 204 René Basset, Nedroma et les Trarcas n. وذكر الكتانى فــى سلوة الانفاس (ج 3 ص 217) نقلا عن صاحب شرح الصدور فى مناقب الشيخ ابى يعزى يلنور أن السلطان الاكحل عند العامة هو ابو يعقوب الموحدى على أساس أنه هو صاحب ماء الحمة التى يغتسل بهاذوو العاهات والظاهر أن الاسم متعدد لان كثيرا من الملوك كانوا موغلين فى السمرة

اصيلا : الفونس الخامس الملقب بالافريقى الذى ملك البرتغال خلال ربع قرن (1438 ــ 1481) هو الذى استولى على اصيلا وطنجة عام 1471 (دوكاستر ــ السعديون ــ البرتغال ــ ج 4 ص 108) .

ـــ فى عام 1542 طرد البرتغاليون اليهود مــن أصيلا (السلسلــة الاولى السعديون ــ البرتغال ــ ج 4 ص 108

ـــ رد روبير ريكار (هسبريس ج 33) على صاحب الاستقصا فلاحظ أن العرائش لم يحتلها البرتغاليون قط وأن الاسبان هم الذين استولوا عليها من 1610 الى 1689

أما أصيلا فقـد احتلها البرتغاليون مـن 1471 الى 1550 ثم مـن 1578 الى 1589 ومنذ هذا التاريخ لم تقع فى قبضة أية دولة اوربية (ص 201) ثم اتهم الناصرى بأنه المسؤول الاول عن الاغلاط الفادحة المرتكبة غالبا فى وصف الحملات الاروبية بالمغرب وقد حمل ليفى بروفنصال كذلك عام 1922 على الناصرى وهم يستندون فى ذلك الى وثائق أوربية ٠

لم يسترجع احمد المنصور مدينة أصيلا الا بعد مرور نحو اثنى عشر عاما على معركة وادى المخازن (13 شتنبر 1589)

الاطلس : يظهر أن التمييز بين أقسام الاطلس (الكبير والاوسط والصغير) لم يعرف قبل رحلة فوكولد الى المغرب عام 1883 وقد أشار قبله الرحالة البرتغالى المجهول صاحب « وصف المغرب » (السلسلة الاولى من السعديين ج 2 ص 231 ــ 313) الى سلسلة أولى تمتد من حاحة الى الممر المؤدى من مراكش الى درعة وهذا الحد الفاصل بين مملكتى مراكش والسوس هو المسمى ادرارن درن (جبل درن) فى حين تسمى السلسلة الممتدة شرقا والفاصلة لمملكة مراكش عن مملكة درعة بتيزى ــ نكلاوى (راجع رحلة فوكولد ص 95) وقد سمى الأطلس الكبير أو درن قديما بالجبال البيضاء Montes Carlos نظرا لقممها المكسوة بالثلوج كما سميت الجبيلات بالجبال الصغرى Montes Atlas وعرف الاطلس الصغير بجبل تزروالت (السلسلة المذكورة ص 270)

ــ وأكد روبير مونطانى (البرابرة والمخزن ص 69) أن قبائـل الاطلـس الكبير ادهشت الغربيين بقيمتها الحربية وقوتهـا التنظيميـة وبمالـها مـن قابلية التجانس

اعـذار : (الاطفال) : يظهر أن عادة اعذار الاطفال لم تكن معروفة بالمغرب قبل الموحدين وقد قام المنصور بذلك لاول مرة عام 595 بمراكش حيث جعل فى يد كل طفل دينارا من ذهب ودرهما من فضة وحبة من الفاكهة الخضراء ليشتغل بها عن ألمه ويصرف الدينار فى مداواته (البيان لابن عذارى ج 4 ص 180)

الاقطاعيـة ــ لاحظ دوتى (مراكش ص 401) أن الاقطاعية لا تقوم على وجود اقطاعى واحد وأنها عبارة عن مجموعة وأن هذه المجموعة لاوجود لها بالمغرب كما أكد كوسطاف لوبون (حضارة العرب الطبعة الفرنسية ص 415) أن العرب لم يعرفوا قط النظام الاقطاعى

اكادير : ـ لاحظ دو كاستر (م·غ·م· السعديون I ج I المقدمة) أن وثيقة برتغالية مؤرخة باكادير فى 10 شتنبر 1537 تحمل على الاعتقاد بان احتلال السعديين لهذه المدينة لم يتم الا فى 12 غشت 1536 حسبما توهمه مارمول ومن نقل عنه بل من 12 مارس عام 1541 مما حدا يوحنا الثالث الى الجلاء عن اسفى وأزمور (ص 106) وهذا التاريخ يتفق مع ما أورده اليفرنى الذى اكد أن محمد الشيخ هو الذى اختط مرسى اكادير عام 947 هـ (أى مابين 1540 و 1541 م) ولكن هذا لايدل فى نظرنا على أن تحرير المدينة من طرف السعديين تأخر الى التاريخ ولم يتم عام 1536 (أى 942 هـ)

ـ فى اواخر القرن السادس عشر كانت اكادير تصدر الى انجلترا السكر الصافي والسكر الخام وكثيرا من ملح البرود والبلح والزرابى والقطن (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ انجلترا ج 2 ص 91)

امريكا :(الكشف عن) ـ ذكر ابن عربى الحاتمى فى بعض تآليفه أن وراء المحيط الاطلنطيقى امما من بنى ءادم وعمرانا وقد عاش قبل كريسطوف كولومب بثلاثة قرون وقد تحدث أيضا صاحب مسالك الابصار نقلا عن شيخه محمود الاصفهانى قبل كولومب بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود أرض وراء المحيط وقد توفى الاصفهانى عام 749هـ ، وذكر ابن الوردى فى جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات جزائر عظيمة فيها خلق كثير ووصفها وصفا يكاد ينطبق على وصف بلاد امريكا وابن الوردى عاش فى القرن الرابع عشر أى قبل كولومب باكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربى محاضرات المجمع العلمى العربى (بدمشق ج 2 ص 233)

امقدول ـ مرسى امقدول هى الصويرة Magador حسب البكرى (افريقية والمغرب فى المسالك ص 86)

الامويون: اتصلت دولة الامويين فى الشرق والغرب الى عام 424 هـ ذلك أن عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية من قبل بنى امية وصل الى يوسف ابن عبد الرحمن المتغلب على الاندلس الذى دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو أميرها (البيان لابن عذارى ج 2 ص 57)

الانتاج ـ وصف الشريف الادريسى الانتاج الزراعى بالسوس فى القرن السادس الهجرى فلاحظ وجود اجناس كثيرة من الفواكه كالجوز والتين والعنب العذارى والسفرجل والرمان الامليسى والاترج الكبير والمشمش والتفاح

المنهد وقصب السكر الذى ليس على قرار الارض مثله (نزهة المشتاق فى اختيار الافاق ــ الجزء الخاص بافريقيا الشمالية والصحراء ص 39) كما وصف اخضرار النبات الدائم فى الاطلس حيث يتوافر التين والعنب المستطيل العسلى بدون نوى والجوز واللوز والسفرجل والرمان والاجاص والكمثرى والمشمش والاترج وقصب السكر والزيتون والخرنوب واركان (ص 41) ثم أبرز أهمية المبادلات التجارية مع السودان فلاحظ أن أهل اغمات « أملياء تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس ، الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب من الافاويه والعطر وءالات الحديد (ص 143)

ـــ كانت النيلة حسب ابن خلدون تزرع فى درعة ويستخرج الصحراويون مادتها بمهارة

الاندلس ــ كان المرور من ميناء سبتة الى الجزيرة يتم فى ثلاث ساعات كما وقع لعبد الملك بن المنصور بن ابى عامر عام 389هـ (نبذة تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من مفاخر البربر ــ طبعة ليفى بروفنصال ص34)

وفى عام 1565 اكتشف فيليب الثانى ملك اسبانيا فى قشتالة مبعوثا لملك المغرب ورد لجمع الزكوات من الاندلسيين (السلسلة الاولى ــ السعديون ج 1 ص 88)

ـــ يظهر ان غرب الاندلس كان اشد تأثرا بالمغرب ففى خصوص الأزياء مثلا لاحظ المقرى (النفح ج 1 ص 105) أن أهل شرق الاندلس يتركون العمائم فى حين أن أهل غربها لاتكاد ترى فيهم قاضيا ولافقيها مشارا اليه وهو بعمامة

كان اسم الثغريين أى سكان الثغور يطلق على اندلسى اقليم اراكون فى حين سمى بالاندلسيين سكان الاقاليم الجنوبية

انطوان الايرلندى ــ كان المسيحى الايرلندى انطوان هو الذى يترجم للمولى زيدان ــ وهو أسير بمراكش الكتب اللاتينية الى اللغة القشتالية ثم ينقلها بعض الاعلاج الى العربية (كودار ص 498)

انطونيو ــ أجلى فيليب الثانى حاميته من اصيلا عام 1589 لحمل المنصور الذهبى على عدم اقراض انطونيو مائتى ألف كروزادا (السلسلة الاولى ــ السعديون ج 2 ص 286) أما الجلاء عن القصر الصغير فقد تم عام 1551 م

اورانج (امير) ــ كان امير اورانج Prince d'Orange يعتبر التحالف

ولومع المسلمين ضد البابوية مشروعا وضروريا نظرا لسلوك البابا فى ملحمة برتيليمى ضد البروتستانت (السلسلة الاولى ـ السعديون ج I ص363) وكانت اورانجوى اقليما اقطاعيا انضم الى العرش الفرنسى عام 1673

ـ ب ـ

البابا : التقسيم العالمى بقرار) مرسوم التقسيم البابوى لمناطق النفوذ بين اسبانيا والبرتغال أصدره البابا الاسكندر السادس بتأريخ I4 مايه 1494 غداة الكشف عن امريكا (دوكاستر ـ السعديون I ج I ص 44) وقد منحت البابوية بمقتضى مرسوم الصليبية المقدسة امتيازات لمسيحيى اسبانيا والبرتغال فى حروبهم ضد المغرب منها حق اكل البيض والحليب خلال الصوم بل وحتى اللحم وصار ملوك البلدين يبيعون هذه الامتيازات لتعزيز صندوق الدولة سنويا بنحو مائتى مليون درهم مرابطى وهذا الاستغلال هو الذىحدا البرتغال الى الاحتفاظ بالجديدة الى عام 1770 واسبانيا بسبتة ومليلية (ص 55)

بادس ـ توجد بادس بالزاب وبادس فاس على البحر المتوسط (معجم ياقوت ج 2 ص 29)

ـــ كانت بادس مدينة تجارية مهمة تعتبر ميناء فاس فى البحر الابيض المتوسط (راجع كتاب كابريرا Cabrera ج I ص 394) وكان الاسطول التجارى البندقى ياتى مرة كل سنتين الى هذا الميناء

ـــ قرصان حجرة بادس كانوا يحملون اسبانيا والبرتغال سنويا أزيد من مليون من العملة الذهبية (السلسلة الاولى السعديون ج Iص243)

ولعل المقصود مليون ايكو Ecus (أى مايقارب الدينار) أو اثنى عشر مليون فرنك (ص 265) ٠

جلا الاسبان عن حجرة بادس Penon de Velez De la gomarc عام 1522 (929هـ) ثم عادوا اليها عام 1564م (971هـ) فوجدوا فيها 21 مدفعا تركيا وقد اتخذها القراصنة الجزائريون مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم ولم يكن هذا سوى رد فعل لقراصنة مليلية ٠

الاسبان الذين كان ملك اسبانيا يقتطع خمس أسلابهم quinto (و·غ·م·
السلسلة الاولى ــ السعديون ج 3 ص 15) والجند الريفي هو الذى طرد الاسبان
عام 929 هـ وبقي الوطاسي ابو حسون ثم السعديون مالكين لبادس الى عام 1554
(961 ــ 962هـ) حيث احتلها الاتراك نحوا من عشر سنوات فاسترجعها الاسبان
وهدموا بادس واحتفظوا بجزيرتها معززين ب 92 سفينة برتغالية واسبانية مع
جنود ألمان وصقليين وايطاليين واسر جميع الاتراك (ص 63) وهنالك أشعر
الاسبان بأن مصب نهر مارتيل هو الملجأ الوحيد فى الساحل الافريقي للقراصنة
المغاربة والاتراك وقد اغرق الاسبان فعلا بمعونة والى سبتة ستة مراكب مثقلة
بالاحجار فسدوا مدخل الوادى حيث انحصر مركبان تركيان واثنا عشر من
الفلك المغربى وذلك فى مارس 1564 وبمحضر أربعة ءالاف مـن المشاة المغاربة
المسلحين بألف من الحراب اشتغلوا بصد هجوم اسبانى على البـر ، وكانـت
ثمان سفن من سبتة تناور على بعد مرحلتين لشغل التطوانيين (ص 100 ــ 128)
وقد رفض السلطان امضاء معاهدة للاعتراف بالامر الواقع (ص 141) ووجـه
قائدين لاسترجاع الحصن (ص 151)

الباشـا ــ يقال بأن مدينتى مكناس وفاس كانتا تتوفران على باشاوين
اثنين أحدهما للمدينة والآخر للاقليم (كودار ج 1 ص 42) ·

البحر (الاخضر) ــ أطلق البحر الاخضر تارة على البحر الابيض المتوسط
(راجع طبقات السبكى ج 4 ص 44 وتحفة الاحباب ص 93 وابن خرداد به ص
92 وكتاب البلدان لليعقوبى ص 330) وتارة اخرى على المحيط الاطلنطيقى (راجع
التنبيه والاشراف للمسعودى ص 68 والخراج لقدامة ص 230 ونخبة الدهر ص
17) ·

البديع (قصر) ــ ترك الرسام الهولندى ادريان ماثام Matham
الذى رافق السفير الهولندى انطوان دوليبدكير Antoine de Liedekerkr
صورا تمثل مراكش وقصورها وخاصة قصر البديع الذى يصفه ماثام بأنـه
« اية الآيات » وقصيدة بالهولندية فى مدح مراكش (السلسلة الاولى ــ السعديون
ج 4 ص 570) ويوجد وصف ءاخر لقصر البديع بقلم فرانسيسكو Francisco
de St. jean Del Ruerto وهو وصف مكمل لوصف الافرانى ويرجع
عهده لعصر مولاى الوليد (ص 576)

نشر جوهن وندوس J. Windus فى كتابة « يوم بمكناس » (عام

1721) تصميما للقصر الملكي بفاس وقد اكد جان مونيي Meunier (هسبريس 1957ص129) أن هذا التصميم هو تصميم قصر البديع المعروف منذ عثر على التصميم المخطوط بالاسكوريال والذى نشره Koelher (هسبريس 1940 ج 27 ص 1 ـ 19) وقد بدأ التنقيب فى مكان القصر منذ 1950 .

براكانس (الدوق) ـ من جملة أسرى معركة وادى المخازن نجل دوك براكانس Duc de Bragance الذى كان ثالث ثلاثة يطمحون لعرش البرتغال زيادة على الدون انطونيو وملك اسبانيا وقد كان براكانس محظوظا عند الوصى هنرى والجزويت وعدد كبير من النبلاء ولكن كان البرتغاليون يخشون أن يطالب المغرب بالمراكز المحتلة فدية للامير الشاب (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 1 ص 354) .

البربر ـ يطلق المؤرخون الغربيون بربار Barbares أى المتوحشون على الافارقة الشماليين وقد لاحظ فريجوس Frejus فى رحلته عام 1666م أن المغاربة ليس لهم من البربرية الا الاسم (دوكاستر ـ الفلاليون السلسلة الثانية ج 1 ص 123) .

البرتغال ـ فى أواخر عام 1640م اغتنم البرتغاليون حرب الاسبان مع فرنسا فاعلنوا استقلالهم وملكوا عليهم يوحنا الرابع فبايعته المستعمرات ومنها الجديدة فى حين أن طنجة لم تنضم الا عام 1643 نظرا لقربها من اسبانيا بينما ظلت سبتة تابعة للاسبان وكانت لانجلترا وهولندا ءانذاك أطماع فى طنجة التى استعصى تموينها لحيلولة الاسطول الاسبانى بينها وبين البرتغال (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ ج 3 ص 596) وقد فكرت البرتغال فى التنازل لفرنسا عن طنجة مقابل مساعدتها ولكن فرنسا رفضتها لأنها لاتريد اضاعة مالها وحاميتها (ص 609 ـ 611) ثم عرضت البرتغال ذلك من جديد عام 1657 بشرط زواج الاميرة كاترين بلويس الرابع عشر (ص 685) وفى هذه الغضون اقتنص الانجليز مركبين برتغاليين للمؤن سنتى 1651و1652 كانا موجهين لطنجة (ص 647) ثم عاد ملك فرنسا فطلب تسليم طنجة اليه (ص 687) غير أن المدينة سلمت بعد خمسة أعوام (21 مايه 1662) لانجلترا كصداق لنفس الاميرة كاترين التى زفت الى الملك شارل الثانى وقد أكد المؤرخ روث Routh (ص 166) أنه فى يونيه 1679 وردت اخبار من انجلترا وهو لندا والبرتغال تؤكد مطامح فرنسا فى طنجة .

— لاحظ كامبو فى كتابه المنشور عام 1886 م باسم المغرب المعاصر امبراطورية تنهار « أن أزيد من ألف عامل مغربى توجهوا منذ سنوات الى البرتغال للاشتغال فى عملية مد الخط الحديدى بين داكار وسان لوى وأنه من المحتمل ان يصبح المغاربة فى يوم من الايام « صينيى افريقيا » (ص 157)

— كانت قيمة صادرات الذرة الى البرتغال وانجلترا فى العهد الحسنى تقدر بثلاثة ملايين فرنك ، وكانت التجارة - الخارجية تدر فى مجموعها نحـوا مـن أربعين مليون فرنك وكانت شركة فوروود Ferwod الانجليزية وشركة باكى Paquet الفرنسية هما التين تربطان مراسى المغرب باروبا عن طريق سفنهما البخارية (كامبوص 116 — 125)

برغواطه — ذكر كثير من المؤرخين أن برغواطة هم المشار اليهم فى التاريخ القديم ب Baquates (ترجمة تاريخ ابن خلدون — دوسلان عام 1857 ج 2 ص 125) وقد تأكد ذلك عندما عثر ابتداء من عام 1919 فى وليلى أى شمال شرقى القطر البرغواطى على كتابات تشهد بقرب التاحية التى يقطنها الباغاطيون

— يزعم البكرى أن يونس بن الياس بن صالح البرغواطى أخلى ثلاثمـائـة وسبعا وثمانين مدينة بالمغرب منها مدينة تيمغس أقام القتل فى أهلها ثمانية أيام (افريقية والمغرب — مسالك البكرى ص 136)

برناريوسى : اتخذ السلطان مولاى اسماعيل الاسير الاسبانى **برناريوسى استاذا لتعليم اللغة** الاسبانية لاثنين من أولاده (المنزع اللطيف فى التلميح لمفاخر مولاى اسماعيل بن الشريف) .

البروتستانت — منذ ألغى مرسوم نانط Edit de Nantes (اكتوبر 1685) أصبح البروتستانت يشكلون فى معظم المدن الساحلية المغربية جماعات هامة نسبيا ونشيطة (السلسلة الثانية — العلويون ج 6 ص 157 (ولم يكن يقطن فى اكادير خاصة سوى الانجليز أو الفرنسيين البروتستانت المنفيين (ص 527) .

البريجة : — الاسبان جلوا عن البريجة أى الجديدة عـام 1643 فاحتلـها البرتغاليون الى عام 1769.

— أشار مؤلف « تاريخ الدولة السعدية » الى استرجاع المغرب للبريجة تـم تخليه عنها بأمر السلطان مولاى عبد الله ودخول النصارى اليها بعد خروجهم

عنها وأداء مال عريض للسلطان وهدية جميلة كأنهم اشتروها منه (ص 37) ويعتبر بيع بادس وتسليم البريجة شرماً وقع فى أيام هذا السلطان مع استخدامه فى الجيش الاندلسيين الفارين بدينهم من الكفر والتشديد عليهم فى الخدمة وهو الذى أشار على الاسبان باخراجهم من الاندلس وقصده تعمير سواحل المغرب (ص 38 – 39) .

البصرة – كانت البصرة « تعرف ببصرة الكتان لأنهم كانوا يتبايعون فى بدء أمرها فى اكثر تجاراتهم بالكتان وتعرف أيضا بالحمراء لأنها حمراء التراب وكان سورها مبنيا بالحجارة والطوب ولها عشرة أبواب وللجامع سبع بلاطات وبها حمامان كبيران ... ونساء البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجمل منهن (البيان لابن عذارى ج 1 ص133 134) وقد هدمها ابو الفتوح صاحب افريقية من قبل العزيز بالله عام 368هـ (ص 330) .

بلانكى – النقود الاسبانية فى القرن العاشر الهجرى : البلانكى Blanquille (قيمتها 24 ضعف فلس النحاس المغربى) وربع الاوقية وعشر الدوكا الفضية أو الريال الاسبانى القوى والمثقال الفضى عشر أواقى .

طلب مولاى عبد الملك عام 1576 من شاعر اسبانى راهب هو بوتيستا Fray Juan Boutista تأليف ديوان للاشادة بالنصر الذى أحرزه مولاى عبد الملك على ابن اخيه ودفع الديوان الى كاسبارو كورسوبواسطة كيوم بيرار لطبعه فى بلنسية (ص 264) وأذن لخمس من الطرق المسيحية بفتح مدارس بمراكش (ص 269)

بودميعة – على أبوحسون بودميعة يسمى فى الوثائق المسيحية بعدة أسماء منها مرابط سوس وشيخ ماسة ومرابط الساحل (أى من اكادير الى وادى نول) وأمير سوس وشيخ زاوية ايليغ أو سيدى على وسيدى على بن موسى فى الغالب

بيتون – وجه ملك فرنسا فرانسوا الاول الى احمد الوطاسى سفيره بيتون Piton لاقتناء الطيور والضوارى المغربية لحدائق الحيوانات الملكية بباريس (دوكاستر و.غ.م. السعديون 1 ج 1ص 3) وأجابه الملك برسالة وجهت الى فنانين مسيحيين باصيلا للتذهيب والزخرفة (ص 9)

بيبى (عبد الهادى) – فى عام 1724 اعتنق التاجر الفرنسى بيبى Pillet

الاسلام وكان من البروتستانت فتسمى بعبد الهادى وتزوج بيهودية أسلمت فسماه مولاى اسماعيل باشا سلا ويتهمه الفرنسيون بأنه كان السبب فى نكبة التجارة الفرنسية بالمغرب (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 6 ص 572) .

تاريخ (المغرب) ـ لاحظ دوكاستر (المصادر الغميسة أى غير المنشورة السلسلة الاولى للدولة السعدية ج 1 المقدمة) ان المغرب هو القطر الوحيد الذى استطاعت الاسر المالكة المتعاقبة منذ القرن الثامن الميلادى أن تحقق له تاريخا حقيقيا .

ـ لم تعرف جغرافية المغرب حقيقة باوربا الا بعد ان صدر كتاب ليون الافريقى « وصف افريقيا » فى البندقية عام 1550 وكل من جاء بعده قد نقل عنه أمثال مارمول صاحب الوصف العام لافريقيا (غرناطة فى مجلدين عام 1573) وتيفى André Trevet (Cosmographie universelle) باريس 1575 المجلد الاول) وبيلفورى Français de Belle forest (باريس 1575 ج 1 Cosmographie universelle de toulle Mande وكوريون Curion فى كتابة « وصف المغرب » ـ فرانكفورت 1596) وجان باتيست كرامى J. B. gramaye (وصف افريقيا 1622) ودافيتى Pierre d'Avity (الوصف العام لافريقيا القسم الثانى من العالم باريس 1643 المجلد الخامس) ودرابير Drapper . (امستردام 1668) ثم ورد على المغرب فى القرن التاسع عشر رحالان هما على باى (1803 ـ 1805) وفوكولد (1883 ـ 1884) على أن هناك أوصافا أخرى للمغرب فى هذه الفترة مثل وصف المغرب لمؤلف برتغالى مجهول عاش فى المغرب 17 عاما بعد معركة وادى المخازن (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 2 ص 231)

ـ لانعتمد كثيرا على النصوص البرتغالية وحدها فى وصف الحروب والغارات مع المغرب لان التطرف والايغال خاصية تكاد تكون مطردة فيها وقد نقلت وثائق دوكاستر عن المؤرخ كالندو Galande ما يؤكد ذاك حيث أشار هذا المؤرخ الى ان مجرد نهب بعض رؤوس الاغنام فى الارياض المجاورة للمراكز البرتغالية بالمغرب يوصف بالنصر العظيم الماجد (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 281) .

ـ تاريخ المغرب لم يعرف فى اوربا الا من خلال مصدرين هما وصف افريقيا لليون الافريقى وتاريخ الملك مانويل لؤلفة البرتغالى Damao او Gois لم يترجم وقد لخصه مارمول الاسبانى الذى ترجم كتابه «افريقيا» الفرنسى Pierre d'Ablancourt (1667) ثلاثة مجلدات ـ باريس

اهتم الدنماركيون كثيرا بتاريخ المغرب وقد قضى هوست الدنماركي Host ثماني سنوات (1760 1768) بالمغرب وابتاع منها عددا من المخطوطات ونشر بالدنماركية عام 1781 كتابا في اخبار مراكش وفاس ثم ظهر ماكتبه بالفرنسية والالمانية وفي عام 1761 جهز ملك الدنمارك فريد ريك الخامس بعثة مؤلفة من خمسة أشخاص لارتياد بلاد العرب كان من بينهم فريدريك Frédric Havez الدنمركي وفورسكال Forskal الفنلندي ونيبوهر Niebuhr الالماني وقد نشرت نتيجة هذه الرحلة عام 1772 في كوبنهاج بالالمانية ثم الفرنسية .

— خصصت مكتبة باريس Gesthner للمغرب عام 1914 (فهرسا يحتوي على الفين ومائتين وخمسة وثلاثين مصنفا كلها مفيدة للدراسات الاسلامية .

ـــ ت ـــ

تاودة - قرية تاودة يوجد بها معدن الملح بالسودان وهناك أيضا تاودة في عمالة فاس (سلوة الانفاس ج 3 ص 110)

التجارة الخارجية - ذكر الحسن الوزان (ليون الافريقي) في وصف افريقيا أنه اتصل عام 918 هـ بتجار كانوا يتنقلون بين المغرب والسودان ومصر وانهم دشنوا آنذاك طريقا جديدة من الجنوب تصل والاتة بمصر بواسطة التشاد (ج1 ص 14و99) لان الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس كانت قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد رافق الوزان هذه القوافل خلال هذه الطريق الجديدة الى مصر

— في القرن السادس عشر اتسع نطاق التجارة الانجليزية في الشرق واوربا الشرقية وغينيا وبدأت العلائق التجارية مع المغاربة عام 1551م وازاء احتجاج البرتغال تمسكت الملكة ايليزابيث بتجارة رعاياها مع المغرب حيث فضل الانجليز عام 1573م التضحية بالتجارة مع البرتغال للاحتفاظ بصفقاتهم الرابحة في المغرب ولكن اليهود استولوا على السوق المغربية بعد عام 1567 وصاروا يؤدون ثمن الواردات مواد مغربية بدلا من العملة الذهبية التي كان الانجليز يحرصون عليها أضف الى ذلك أن المهربين الانجليز تحدوا المسيحية بامداد المغرب بالسلاح واستولى تجار فرنسيون على السوق فصاروا يشترون السكر المغربي ويبيعونه للانجليز باثمان باهظة لان التجار الانجليز كانوا يرتبطون في صفقاتهم مع

الاندلس الى النهاية وأنهم اذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن أن يتصدقوا عليه فلاتجد بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر .

تطوان ـ هدم بنو محمد بن القاسم بن ادريس تطوان وندموا على ذلك فلما شرعوا في تجديد بنائها ضج أهل سبتة لان بناءها أضربهم (البيان لابن عذارى ج I ص 317)

ــ المقدم احمد النقسيس طلب من الانجليز تاسيس دار للتجارة بتطوان وتلقت سبتة وطنجة الامر بمعارضة هذا المشروع (السلسلة الاولى ـ الدولة السعدية ج 3 ص 84)

تلمسان ـ ابرز ابن مرزوق اتفاق الرحالين واجماع المتجولين على انهم لم يروثانيا لجامع تلمسان (نخب المسند هسبريس ج 5 سنة 1925)

تمسيح (المغاربة) ـ نبهت جماعة دوكاستر فى الوثائق (السلسلة الاولى ـ السعديون ج I ص 206) على ان كثيرا من النشرات الاوربية كانت تختلق الانباء والاساطير لترويج بضاعتها من ذلك مازعمته احدى هذه النشرات من ان 80.000 اندلسى من المهاجرين الى المغرب تمسحوا هم وملك فاس ومازعمته نشرة اخرى صدرت عام 1607 فى مدينة روان Rouen من تمسح ألفين من المغاربة بمراكش وقتلهم مع الراهب بيرناردان Bernardin وان سخط الله نزل بمراكش فهلك أهلها عن بكرة ابيهم وهم مائتا ألف نسمة بعد زلزال وتزعم هذه النشرة ان مراكش واقعة فى جزيرة اوركوس التى بنتها سيميراميس Semiramis ملكة بابل ومؤسستها مع حدائقها المعلقة

ــ يقال بأن مولاى الشيخ نجل مولاى محمد المسلوخ الذى وجهه والده الى البريجة خلال معركة وادى المخازن انتقل الى اسبانيا وتمسح فى مدريد (عام 1593) وسمى الدون فيليب افريقيا او النمسا Philippe d'Autriche (السلسلة الاولى ـ السعديون ج I ص 243)

ــ توجد رسالة لأمير من بنى مرين يسمى نفسه كاسبار Gaspard كان يسكن نابل وروما ووشحه البابا اوربان الثامن وقد عمر مائة سنة عندما توفى عام 1641 وكتب على قبره أنه هو الملك الثانى والعشرون لافريقيا (بينما لاحظت جماعة دوكاستر أن أسمه مثبت فى الشجرة المرينية فى الصف

اليهود المحتكرين للسوق وتنصب عليهم عواقب افلاسهم فلهذا فكر التجار الانجليز فى تكوين (حناطى) Corporations تسمى شركات معترفا بها من طرف البلاط الانجليزى منها la Barbary Company التى مالبثت ان افلست نظرا لبيعها بالدين للبلاط بدل اليهود ولمنافسة تجار انجليز احرار فى تهريب السلاح وكذلك التجار الاسبان فلهذا لم تجدد هذه الشركة بعد مرور أمدها المقرر لاثنتى عشرة سنة (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 445)

— ورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle (السلسلة الثانية العلويون ج 5 ص 363) ان أربعين سفينة تجارية فرنسية دخلت لمرسى سلا عام 1698 ويلى الفرنسيين فى الميزان التجارى الهولنديون الذين يهربون الى المغرب كثيرا من البضائع وتكثر المبادلات الانجليزية فى اسفى حيث يستورد الانجليز الانسجة الصوفية والحديد والفولاذ والعملة الغينية .

— منح مولاى اسماعيل عام 1705 لبعض اهل فاس احتكار تجارة الشمع والجلود فوجهوا رسلهم لاقتنائها بأبخس ثمن من آسفى وتطوان والعرائش وسلا وقرر التجار الفرنسيون بالمغرب رفع شكوى الى السلطان (السلسلة الثانية العلويون ج 6 ص 328) ويظهر ان السلطان منح لتجار مغاربة احتكار جميع المنتجات والمواد التى يستوردها الاوربيون من بلاده فضيق بذلك الخناق على الاجانب (ص 332)

— توجد فى دار المحفوظات بمدينة دوبرنيك وثائق يرجع تاريخها الى أواخر القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجرى وعددها سبع وعشرون وثيقة تدور حول العلائق التجارية بين جمهورية دوبرونيك والمغرب الاقصى منها عشرة مراسيم وأوامر سلطانية مع رسالة من الجمهورية الى المولى يزيد وكانت دوبرونيك محمية الباب العالى وقد نشرت هذه الوثائق فى كتاب صدر عام 1960 بيوغوسلافيا باشراف المعهد الشرقى سبرايو وباسم الوثائق العربية فى دار المحفوظات بمدينة دوبرونيك والكتاب موجود بمكتبتى الخاصة .

التسول — لم يكن التسول شائعا فى المغرب على نسقه الحالى الفادح لانه كان فى دور الضيافة والكرم القبائلى الغنية وقد لاحظ المقرى (نفح الطيب ج I ص 205 طبعة 1949) أن التسول فى الاسواق على النمط المشرقى كان مستقبحا فى

الثلاثين) وقد كان عضوا فى المليشية المسيحية التى تأسست فى فيينا عام 1617 ووقع الامير رسالته المؤرخة بعاشر يوليوز 1621 بولى عهد فاس وترك فتاة تزوجت فى نابل برجل مسيحى عام 1642 (السلسلة الاولى ـ الدولة السعدية ج 3 ص 59) .

ـ تزعم المصادر الاجنبية ان الامير سيدى محمد حفيد محمد الحاج الدلائى أسر فى طريقه الى الحج ونقل مع صحبه الى مالطة حيث اعتنق المسيحية وسمى بلطازار ليولا Balthazar Loyola وتوفي بمدريد عام 1667 بعد ان انخرط فى فرقة الجزويت وقد اختلفت المصادر فى هوية هذا الامير فزعم بعضهم انه نجل مولاى محمد الشيخ الاصغر أو نجل احمد المنصور (الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 203) ويقال بأنه توجه الى بعض اقطار اوربا وخاصة الى الهند للقيام بالدعوة المسيحية (ص 214)

ـ تزعم مذكرات ورسائل أجنبية أن أحد أبناء مولاى محمد بن الشريف فر الى المعمورة بعدما هزم مولاى رشيد اخوته الثائرين عليه فى ناحية تازة عام 1670 واسم هذا الامير مولاى العربى الذى لجأ الى اسبانيا واعتنق بها ـ حسبما يزعمون المسيحية وتسمى بالدون انطوان اوكستان ثم توجه الى انجلترا بعد ان عين كولونيل فى الخيالة الاسبانية ومنها عاد الى طنجة واتصل عام 1676 بعمه مولاى اسماعيل (تاريخ مولاى رشيد دوكاستر ـ السلسلة الثانية ـ فرنسا ج 2)

تنبكتو ـ كانت تنبكتو تؤدى للمغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر أى الذهب غير المسبوك ، مما جعل من المنصور الذهبى « أعظم أميـر فى العالم من حيث العملة » (السلسلة الاولى ـ انجلترا ج 2 تاريخ 9 شتنبر 1594) وكان الانجليز يملأون الصناديق سكرا يخفون فيها سبائك الذهـب وافتضح الامر مرة عندما غرقت السفينة فى التاميز وذاب السكر وظهر الذهب (السعديون السلسلة الاولى ج 1 المقدمة)

توات ـ لاحظ الرحالة البرتغالى المجهول صاحب « وصف المغرب » فـى عهد المنصور السعدى أن النظام السياسى فى توات كان أحكم وأعلى منه فى معظم المجتمعات الاسلامية بافريقيا الشمالية (نص الرحلة فى السلسلة الاولى السعديون ج 2 ص 302) وقد لاحظ هذا الرحالة ان الواحات الصحراوية لم تكن تعرف الكلاب ويظهر أنها لم تدخل الا مع الاحتلال الفرنسى .

تومرت (ابن) ـ يوجد شخص اسمه محمد بن عبد الله بن تومرت وهو صاحب كنز العلوم ودر المنظوم فى حقائق علم الشريعة ود قائق علم الطبيعة توجد منه نسخة فى المكتبة الخديوية ويرى برو كلمان أن أسمه الحقيقى هـو محمد بن علي بن تومرت وأنه أندلسى توفى عام 391هـ الا انه ينسب كنز العلوم الى المهدى وسبب الخلط ان فى هذا الكتاب نقد هو وهوارت Huart نظرية التجسيم ٠

ـــ محمد بن عمر بن تومرت المصمودى ذكره صاحب « نثير الجمان فيمن نظمنى واياه الزمان» وكان بفاس وذكر ابن الاثير محمد بن تومرت ءاخر كان معاصرا للمهدى وهو الذى كان يقترف جرائم القتل الجماعى فى عهد المهدى ٠

تيجيساس ـ وصف موليبيراس تيجيسساس بأنها مدينة صغيرة جميلة ومرسى بحرى وأنها محاطة بالحدائق الغناء (المغرب المجهول ج 2 ص 256) ٠

ج

الجـراد كانت الحكومة المغربية تكافح الجراد بشراء بيضه بثلاثة ريال للقنطار فكان الناس يتهافتون على تقديمه الى المخزن الذى يلقى به الى البحـر وكانوا يحفرون خنادق حول مزارعهم للحيلولة دون تسرب الجراد ويحصنونها أحيانا بصفائح من القصدير (كتاب مراكش ـ ادمون دوتى ـ ص 17)

الجـزائـر : انقطع الحج فى المغرب عن طريـق الجزائر منذ الاحتـلال الفرنسى فلم تعد هنالك قوافل لان السفر أصبح بحرا (الدكتور رينوـدراسة حول الصحة والطب بالمغرب ص 52)

ـــ يقال بأن من بين الجزائريين القاطنين بالريف بنى عامر (أوعمرو) وأولاد هاشم وبنى سنوس والجعافرة وحميان وأولاد سليمان والحساسنة والسجاعة وقد نقل كثير منهم الى دائرة فاس أو حوز مراكش (موليبيراس ـ المغرب المجهول ج 2 ص 437 ومنهم ايضا اولاد سيدى الشيخ الذين لجـأوا الى بوعمامـة فـى الجنوب والى بلاد السايس بين مكناس وفاس حيث يوجد أهل الاغواط وكذلك بين سبو وورغة (الوثائق المغربية ـ المجلد الحادى عشر ـ 1907ص5) وكـان للجزائريين نقيب بفاس يقوم بتوزيع الصلة التى كان السلطان مـولاى عبـد الرحمن يتبرع بها سنويا على اللاجئين ، وهذه الصلة مسجلة فـى دفاتـر دار عديل بفاس وفى عام 1894 وزعت عليهم اثنا عشر الف ريال غير ان المخزن حصل عام 1895 على اعتراف مكتوب من أهم حفدة المهاجرين بأنهم مغاربة فقطعت الصلة (ص 72 ـ 74) ومن بين العائلات المهاجرة أولاد بنونة وبن ثابت والزغارى

وبوعلو وهنالك أربعمائة اسم تمثل قبائل وعائلات جزائرية (ص III) .

الجزر الخالدات – قبل معركة وادى المخازن كان التجار الاسبان يهربون السلاح الى المغرب من سواحل الاندلس ومن الجزائر الخالدات وطلبت البرتغال جعل حد لهذه التجارة فأصدر فيليب الثانى ملك اسبانيا أمره لهذا الغرض ملاحظا ان تهريب السلاح يستفيد منه الاتراك والمغاربة ضد البرتغال الذى انفرد بغزو المغرب (1563 – 970هـ) (و.غ.م السلسلة الاولى – السعديون ج 3 ص 48) .

الجزر الجعفرية هى التى يسميها الريفيون حجرة كبدانة .

جلولا – مدينتان بخراسان وافريقية (معجم البلدان لياقوت ج3 ص129)

وذكر ابن خلدون ان المدن الحافلة التى كانت بالمغرب فى عهد القرطجنيين هى سبيطلة وجلولاء ومرناق وشرشال وطنجة (المقدمة – كتاب طبيعة العمران)

ومدينة جلولا تبعد عن القيروان بأربعة وعشرين ميلا فتحها عبد الملك بن مروان فى جيش معاوية بن حديج وفيها قصب السكر وكذلك فى فاس حيث يتوافر أجود وأرق حرير فى افريقية (افريقية والمغرب فى مسالك البكرى ص 17 – 32)

الجنويين (حصن) – كانت حواجز وادى لكوس تحول دون دخول السفن الى ميناء العرائش اللهم الا فى مكان كان يسمى حصن الجنويين Fortin des génois) يقع أسفل العرائش وعلى الشط الايسر لنهر لكوس (السلسلة الاولى – السعديون – القسم الثانى ج I ص 542)

جيدة (ابو) – ابو جيدة هو حامل مذهب مالك والشافعى بفاس وقد توفى عام ثلاثمائة وبضع وستين (سلوة الانفاس ج 3 ص 93)

جيربير – Gervert d'Aurillac الذى تولى البابوية وتسمى Sylvestre 999 – 1003) ورد على ماقيل الى فاس حيث درس فى القرويين وأكد ذلك بيرك Revue Historique de Droit 1949) وقد فنده Gisele Charri (هسبريس 1957 ص 265) بحجة ان القرويين لم تكن جامعة فى القرن العاشر وان جيربير لم يكن يعرف العربية

ح

الحجرى (أحمد) – أحمد الحجرى الاندلسى الذى عاش فى مراكش الى عام 1046 هـ والذى كان كاتب المولى زيدان وترجمانه للاسبانية أشرف على سفارة

الى فرنسا زار خلالها مدن باريس وبوزدو والها فر ثم هولندا (امستردام ولايدن) ثم لاهاى (راجع مخطوطة كتابه المعرب عن الاسبانية والمرسوم بالعز والمنافع للمجاهدين بالمدافع) ٠

الحجيج (المغاربة) ـ فى ربيع الاول 1194هـ وصل الى مراكش وفد ديوان دوبرونيك لمقابلة السلطان سيدى محمد بن عبد الله برياسة انطونيو كاز لارى فى شأن اصدار السلطان أوامره لمراكبه الجهادية بحجز سفن دوبرنيك بسبب نقلها لحجاج مغاربة وتركهم فى تونس فى حين سبق للسلطان ان بعث عام 1189 احتجاجات عنيفة للدول الاوربية التى كانت تقوم بالتسفير والتجارة فى البحر المتوسط والمحيط الاطلسى محذرا اياها من نقل الحجاج المغاربة من الاسكندرية وانزالهم فى غير المراسى المغربية وقد برهن الوفد معززا بشهادة من شيخ بتونس على ان السفينة المتهمة هى فرنسية فسامحهم السلطان **(الوثائق العربية** فى دار المحفوظات بمدينة دوبروونيك 1960 ج 1 ص 15)

الحد ـ كان الحد يقام فى بعض الاحيان بالمغرب فقائد الصويرة بيهى كان يقطع يد السارق اليمنى لسارق النهار واليسرى لسارق الليل فكان الناس فى وقته يجدون المال فى الطريق فلا يصلون اليه (الدكتور رينو ـ دراسة حول الصحة والطب بالمغرب ص 48)

الحديث (العصر) ـ لاحظ دوكاستر (م٠غ٠م ـ السعديون ج1 المقدمة) ان عام 1845 يعتبر بالنسبة للمغرب بداية العصر الحديث

الحديث (قراءة) ـ حرق عبد المومن كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث وكتب بذلك الى طلبة المغرب والعدوة عام 550هـ (الانيس المطرب ج 2 ص 154)

حروف (سرية) كان المنصور يستعمل ـ حسب نزهة الحادى ـ حروفا اخترعها لكتابة الرسائل السرية فيمزجها بالحروف الهجائية حتى لايفهم النص المكتوب وقد سهر على اتقان الخط المشرقى لمكاتبة علماء الشرق ٠

حسن (باشا) ـ حسن باشا أمير الجزائر تزوج بنت مولاى عبد المومن أخى مولاى عبد الملك وعينه واليا على تلمسان حيث كان أخوه يتصل به وقد قتل عبد المومن بأمر من مولاى محمد المسلوخ أمير فاس ففقد المعتصم بذلك شخصا

كان يعينه على الاتصال بعامل وهران الاسبانى لان عبد الملك كان يامل الحصول من مدريد على معونة تساعده على استرجاع العرش غير ان فيليب الثانى ملك اسبانيا لم تكن له رغبة فى مساعدته (و٠غ٠م السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 160) وتقول المصادر الاسبانية بأن عبد الملك رافـق علـوج عـلى الى القسطنطينية وانه كان يخبر كاسبارو كورسو بما يجرى عند الاتراك (ص162) وقد استنصر المعتصم كذلك بملك فرنسا بواسطة سفيره فى الجزائر عام1574م ثم شارك فى غزو الاتراك لتونس فساعدوه (ص 165) وعندما اعتلى المعتصم العرش وجهه سفيرا الى فيليب الثانى يقترح بذل مساعدته ضـد البرتغـال (ص266) ولكـن فيليب الثانى كان دائما يعقب باستعداده لعقد معاهدة سلام مع ادراج البرتغال فيها (ص 298) ٠

الحسيمة ـ كانت فرضة الحسيمة تسمى مرسى المجاهديـن « المغـرب المجهول ـ موليير اس ج 1 ص 95 »

الحصار (البرى ـ ضغط نابليون على السلطان للانضمام الى الحصارى البرى Blacus Continental ووجه اورنانو Ornano قنصله بطنجه الى المخزن رسائل كلها تهديد ومن بينها رسالة تنذر السلطان بغزو افريقيا بمائتى ألف جندى غير ان فرنسا كانت اذ ذاك فى فترة انهزاماتها (كاييى ـ ايكو دو ماروك 14 ابريل 1950)

وكان من نتائـج الحصـار البـرى المضروب عـلى انجلتـرا دخول قطائف القطن الانجليزية الى المغرب (السلسلة الثالثة ـ فرنسا ـ عام 1817)

الحمامات ـ نقل ابن خلدون عن الخطيب فى تاريخه ان الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المامون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وأمصار متلاصقة ومتقاربة تتجاوز الاربعين ولم تكن مدينة واحدة يجمعها سور واحـد لافراط العمران (تاريخ ابن خلدون ـ المجلد الاول ـ القسم الثانى ص 618) ٠ ولذلك لاتستبعد كثرة الحمامات العامة والخاصة فى المدن المغربية وخاصة سبتة حيث بلغت الالف (راجع سبتـة)

حمة خولان ـ اعتنى ابو الحسن المرينى ببناء حمة خولان (سيدى حرازم) «على وجه محكم التتم به مصالح الناس ومنافعهم» (جذوة الاقتباس ص23)

زهرة الآس ص26) ودفين هذه الجمة التى سميت باسمه (أو بالسخينات) هو محمد بن علي بن اسماعيل حرازم تلمذ له ابو الحسن الشاذلى (السلوة ج3ص 90) وابو الحسن هذا من بنى زرويل من الاخماس قرب شفشاون (السلوة1ص85

الحناطى (نظام) ـ لاحظ باليز Pallez فى بحث له (النشرة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب Bulletin économique et social رقم 49و50) أن نظام الحناطى (أى الحرف) كان دائما يتسم بالحرية وقد احترم المخزن مبدأ حرية التجارة قبل صدور ظهير التنظيم البلدى عام 1917 وأكد ان هذا النظام لم يفسد الا بالاحتكاك بالغربيين .

حوت ـ مما يزعمه بعض المؤرخين وقد نص على ذلك صاحب نشر المثانى (ج 1 ص 235) انه نزل بالمغرب ثلج عام 1072 «ومعه حوت صغار طولها قدر ثلثى الخنصر من اليد »

ــــ د ــــ

الدلاء ـ ذكر احمد التاركى اللمتونى المدعو الصاد أن الدلائيين لمتونيون (نشر المثانى ج 2 ص 56)

ـ تقع زاوية الدلاء حسب البدور الضاوية وعلى بعد مرحلتين من فاس وحسب الحاج ادريس الشرقاوى هى زاوية آيت اسحاق الواقعة على مسافة أربعين كم شرقى ابن الجعد قرب خنيفرة فى المجرى الاعلى لام الربيع ولاتزال هنالك معالم منارة وجدران المسجد الدلائى .

الدنماركـ كانت الدنمارك تدفع سنويا للمغرب فى عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله 51000 ويكسدال أى أزيد من ربع مليون فرنك (كودار ج 2 ص 613) .

دوسانطو ـ لاحظ كاييى Caillé ان البارون دوسانطو De Santo اتصل فى عهد سيدى محمد بن عبد الله برئيس احدى قبائل الشلوح العرب وحاول الاستيلاء بواسطتها على المغرب لفائدة فرنسا .

دولاكروا ـ توجد فى متحف تولوز بفرنسا لوحة رائعة عن السلطان مولاى عبد الرحمن بريشة الرسام الفرنسي دولاكروا De lacroix تصوره موكبه الرسمى وهو يحمل سبحته خارجا من القصر السلطانى بمكناس وقد رسمها عام 1845 بعد ما كان برفقة سفارة الكونط مورنى Mornay التى

تمت عام 1832 وهناك ايضا مصور Album في متحف اللوفر يرسم نفس الزيارة ويحتوى على مجموعة مناظر (هسبريس 1952 ص 391) .

الديموقراطية ـ تحدث رونان عن ديموقراطية البربر Revue des Deux Mondes فاتح شتنبر 1873 حيث يوجد نظام اجتماعى حقيقى لا ظل فيه لاى حكم خارج عن الشعب وهو المثل الحق للديموقراطية .

ــــ ر ــــ

الراية ـ اقدم راية مغربية لونها ازرق واحمر وابيض يرجع تاريخها الى القرن الثامن الهجرى ويشبه علم تطوان العلم الجزائرى (الاحمر والابيض والاخضر) ويوجد اللون الاصفر فى اعلام ثلاثة لقرصان سلا وعلم ملك المغرب فى القرن الثامن عشر أحمر يحمل رسم مقص ابيض بينما العلم الوطنى حوالى 1870م اخضر يحمل ثلاثة أهلة بيضاء والعلم المغربى للحرب والتجارة الى حد عام 1915 أحمر اللون كله أما العلم المغربى الرسمى من تاريخ 17 نونبر 1915 الى الان فهو الاحمر ذو الخاتم الخماسى الاخضر (هسبريس تمودة 1960 ج 1 فصلة 3)

ـ **نشرت رايات** المسيحية منكسة فى أعلى منار القرويين ومنار جامع الكتبيين بمراكش ليعاينها الحاضر والبادى وذلك بعد الانتصار على المسيحين فى الاندلس عام 674هـ (الذخيرة السنية ص 174)

ـ **لاحظ ليون روشى** أنه عندما رفع المركب الفرنسى الراية رفع العلم المغربى حينا فى ابراج سلا والرباط والقصر الملكى (رحلة ليون روش Léon Roches عام 1845م ـ طبعة 1947 ص 54)

الربيع (أم) ـ فرض ملك البرتغال يوحنا الثانى عام 1481 جزية سنوية قدرها عشرة ءالاف حوتة من الشابل على الاهالى القاطنين بشاطىء أم الربيع اعترافا بسيادته عليهم (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 2 ص 248)

الرحالون ـ ورد فى رحلة نييتو Nieto حول معركة وادى المخازن (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ القسم الثانى ج 1 ص 503) أن المولى عبد الملك كان يتكلم الاسبانية ويكتبها بسلاسة كما كان يتقن الايطالية والتركية واشتهر كشاعر بالعربية وقد أحكم العزف على ءالات الطرب والرقص والرماية وكان يصنع الأسلحة بيده كما أحب المسيحيين وبنى لأسراهم بمراكش مستشفى جميلا

قرب المسجد الاعظم ، كما لاحظ فرانشتى Franchi Conestaggio في رحلته حول معركة وادى المخازن (ص 537) ان عبد الملك صنع بنفسه أربعة مدافع وأكد دوبينيى Agrippa d'Aubigné أيضا أنه كان يعرف حتى الارمنية والصقلية (راجع رحلة المؤلف فى Histoire universelle المطبوعة عام 1626) وأكد السفير الانجليزى ادمون هوكان في رسالة الى اليزابيث ملكة انجلترا ان عبد الملك متضلع فى علوم الزبور ج 1 ص 225)

— **تحدث** جان موكى فى الرحلة التى كتبها عن المغرب (1601 — 1607) (السلسلة الأولى — السعديون ج 2 ص 383 — 417) عن مراكش فذكر أنها أعظم من مدينة باريس وأن سكانها يتراوحون بين 300و400 ألف نسمة ومدح فضاة المغرب واصفا سرعة وعدالة المسطرة القضائية (ص 400) كما ذكر عن الخيل بالمغرب أنها أجمل أفراس العالم (406) .

— **ورد فى مذكرة لرجل انجليزى** هو جورج ويلكنس G. Wilkins كتبت عام 1604 ان عدد الهالكين فى الوباء بالمغرب **بلغ سبعمائة ألف فى مراكش وخمسمائة ألف بفاس ولعله يقصد مملكتى مراكش وفاس (السلسلة الاولى — السعديون — انجلترا ج 2 ص 248)**

— كتب رحالة انجليزى هو وليام ليتكوف Wiliam Lithgow عامى 1615 — 1616 مذكرة حول المغرب صدرت عام 1640 حيث وصف مدينة فاس وقناطرها (وعددها سبع وستون) وفنادقها المائة ومساجدها وعددها اربعمائة وستون وسكانها البالغ عددهم المليون وألعاب مقارعة الثيران ومباراة الشعراء فى ساحة السوق الخ (السلسلة الاولى السعديون انجلترا ج 2 ص 491) .

الرشيد (مولاى) — كانت عادة مولاى رشيد فى دخوله لفاس ان يبدأ بجامع القرويين ومنه يتوجه الى المدرسة المصباحية (سلوة الانفاس ج 1 ص110)

الرصيف — جامع الرصيف بناه مولاى سليمان (سلوة الانفاس ج 1 ص 325)

رقراق (ابو) — بعد وفاة المولى اسماعيل بعشرين سنة وقع زلزال فى

اشبونة وسع مصب ابى رقراق مما ساعد بعض المراكب الكبرى على الدخول الى الميناء (اسماعيل الاكبر امبراطور المغرب ـ ماكسانج ص 7I

الرماية (مدرسة) ـ اشار كامبو فى « المغرب المعاصر» الى وجود مدرسة مركزية للرماية فى الجديدة فى عهد مولاى الحسن (ص I6)

الرومانـ راجع بحثا (فى هسبريس I957 ص 73) حول بقايا الطريق الرومانية الممتدة من سلا الى وادى بهت

الرياض (قصر) ـ كان فى قصر الرياض الاسماعيلى مائتا مدفع من النحاس حسب جان ايستيل ومائة وخمسين حسب سانت أولون اخذت من العرائش والمعمورة بعد احتلالهما ومن مركب اسبانى غرق قرب سبتة (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 4ص690)

ـ فى عام II45 هـ أصدر المولى عبد الله الامر الى الاسرى المسيحيين وبعض الجند بهدم مدينة الرياض التي كانت زينة مكناس (مقتطفات من الترجمان المعرب للزيانى ـ ترجمة هوداس ص 7I)

ريشليو ـ كان الكاردينال ريشليو Richelieu يتقاضى كل سنة من أسلاب القراصنة وخاصة الافارقة عدة ملايين لفائدته الخاصة كما كتب بذلك عام I63I للويس الثالث عشر (حروب لويس الثالث عشر للمؤرخ بيرنار ـ الكتاب الخامس عشر)

ـــ ز ـــ

الزبور ـ نقلت سفينة انجليزية الى العرائش عام I562 مقاذيف ورماحا ومعادن كالقصدير وأسلحة وستة وعشرين صندوقا مملوءا بكتب الزبور بالعبرانية لليهود (السلسلة الاولى ـ السعديون ج I ص 44) وقد تزايد ايراد المنسوجات الصوفية الانجليزية الى المغرب بعد أن رغب مولاى عبد الملك فى اشاعة لبس الازياء التركية بالمغرب (ص 200)

الزربية (التركية) :ورد فى رسالة لسفير زار مراكش عام I579 ان ردهات العرش فى عهد المنصور الذهبى كانت مفروشة بالزرابى التركية ، وان السفراء الاجانب كانوا يلبسون فوق الحذاء جوارب ينزعونها عند الدخول الى قاعةالعرش

وان المحظوظين منهم كانوا يقبلون يد السلطان (دوكاستر ـ السعديون السلسلة الاولى ج 2 ص 48)

زرقون (ابن) ـ أشار ابن القاضي في الدرة (ص 313) الى محمد بن علي زرقون أحد قواد اسطول المنصور السعدي في بحر النيل (أى النيجر) بالسودان

زروال (بنو) ـ قبيلة زروال تسمى قبيلة الخلفاء لان في أصغر قراها على ما قيل حفدة الخلفاء الثلاثة : ابى بكر وعمر وعلى ٠

الزعفران (جبل) ـ جبل العرض أو جبل الزعفران يقع يسار الخارج من باب الجيسة أى عجيسة بفاس(سلوة الانفاس ج 3 ص 149 وجبل الظل هو زالغ (ص 182) ٠

الزليجى ـ لاحظ ابن سعيد أنه كان يصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف في المشرق بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجى يشبه المفضض (نفح الطيب ج 1 ص 187 طبعة 1949)

زمور : كان أهل زمور حسب الشريف مولاى على بن عبد السلام الوزانى يعتبرون الأحد يوم عطلة ولعل ذلك من بقايا تأثير الحكم البرتغالى (الرباط وناحيته ج 2 ص 222 من سلسلة مدن المغرب وقبائله)

الزيدانية (الخزانة) ـ نشرت كازيط دوفرانس Gazette de France عام 1631 بحثا قومت فيه الخزانة الزيدانية مع المجوهرات بأربعة ملايين ليرة (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 2 ص 431) (راجع كسطلان حرف الكاف ـ ففيه معلومات اختلاس هذه الخزانة)

ـــ س ـــ

سانشو ـ ذكر المؤرخ الالمانى أشباخ (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ـ ترجمة عبد الله عنان ج 1 ص 61) ان سانشو هو حفيد المعتمد بن عباد لان احدى بناته تزوجت بملك قشتالة وتنصرت باسم ايليزابيت وانجبت سانشو ٠

سبتة ـ ذكر محمد بن القاسم الانصارى في كتابه « اختصار الاخبار عما

كان بثغر سبتة من سنى الآثار » مقتطفات فى مجلة هسبريس ج 12 النشرة الثانية عام 1931) خمس عشرة مقبرة فى سبتة (عام 825 هـ وهو تاريخ تصنيف الكتاب أى بعد احتلالها من طرف الاسبان بسبع سنوات) وألف مسجد منهـا مدرسة أبى الحسن الشارى الغافقى ومدرسة ابى الحسن المرينى واثنتين وستين خزانة علمية منها خزانة موقفة على مدرسة الشارى وهى أول خزانــة وقفـت بالمغرب وسبعا وأربعين مابين الزوايا والروابط اعظمها رابطة الصيد وهى قائمة فى الهواء على اثنى عشر عمودا ومنها زاوية ابى عنان للغرباء أما المحارس فعددها ثمانية عشر علاوة على ناظور المرابطين بأعلى الجبل المشرف على بادس ومالقة ومجموع الزقاق وعدد الازقة مائتان وخمسون تحمل أسماء سكانها من العلماء كزقاق عياض وزقاق العزفى وزقاق ابن الشاط وعدد الحمامات اثنان وعشرون علاوة على عشرة فى القصبة وبكل دار من ديار سبتة حمام ومسجد الا القليل وكان بمنزل المؤلف حمامان ومسجد وعدد الاسواق 174 منها 32 سوقـا فـى الارباض الثلاثة وعدد الحوانيت أربعة وعشرون الفا وكانت فيما مضى أكثر وعدد التربيعات احدى وثلاثون للحرارين والخرازين وغيرهم وكانت أعظمها عبارة عن معقل أو قلعة على ثلاث طباق وفى صحنها مسجد وعدد المنجرات المعدة لعمل القسى أربعون وعدد الفنادق ثلاثمائة وستون اعظمها الفندق المعد لاختزان الزرع يحتوى على اثنين وخمسين مخزنا من بناء أبى القاسم العزفى ويشتمل فندق غانم على ثلاث طبقات وعدد الافران ثلاثمائة وستون والسقايات خمس وعشرون والميضاءات اثنتا عشرة وديار الاشراف أربع (الديوان والقاعة والبناء والنجارة والسكة) وعدد المطامير أربعون ألفا مفترقة فى الدور والحوانيت وعدد الطواحين مائة وثلاث وعدد الارباض ستة والابواب خمسون والمصلات ستة وعدد المرامى واماكن السبق أربعة وأربعون وعدد المقاصر خمسة وعشرون مع ابراج لصيانة الامتعة والمراسى ثلاثون فيها دار الصناعة و 299 مصيدا للحوت وتوجد مدينة أفراك حيث القصر الملوكى الذى أعده بنو مرين لنزولهم وقرية بنيونس الكثيرة العيون والانهار والتى بلغ عدد حماماتها 126 والارحى 50 والمساجد19 وتصدر فواكه الى المغرب والاندلس منها 65 نوعا من العنب و28 نوعا من التين و15 نوعا من التفاح والخوخ ستة انواع والسفرجل اربعة والرمان 16 الخ وتوجد قرى كثيرة

— **السبتى** (ابو العباس) — انتشرت أسطورة بالمغرب بين المسيحيين خاصة تدمج شخصيه أبى العباس السبتى فى القديس المسيحى سان — او كستان

Saint Augustin ويظهر ان ذلك راجع لاسم المدينة التى ولد فيها هذا الاخير وهى Tagaste واسم المدينة السوسية Tagaste (السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3 ص 214)

سبستيان ـ يزعم المؤرخون الاجانب ان مولاى عبد الملك وجه الى الملك سبستيان رسالتين عام 1377 لم يعثر على نصيهما ورسالة ثالثة كذلك بعد نزوله فى أصيلا يذكره فيها بأن ابن اخيه مولاى محمد هو الذى قتل قبطان طنجة خلال حصار البريجة وان ماوعد به من تسليم مراسى مغربية مع مساحات من الاراضى يتعذر عليه مادام عبد الملك ملكا لذلك فعبد الملك نفسه مستعد لتسليم هذه القواعد وتعليق الراية البرتغالية فوق جامور الكتبية والتنازل لابن اخيه عن قطعة الارض التى يختارها مثل اكادير (عدا مراكش) على ان سبستيان هالك لا محالة لان القوات المغربية عتيدة (السلسلة الاولى السعديون ج 3 ص 419ـ427) وقد حمل سبستيان معه اكليلا ليتوج به ملكا على المغرب ولكن المولى محمد نفسه نصحه بان يبقى فى اصيلا وأن لا يعرض نفسه للخطر (ص 474)

ـ كان عدد سفن سبستيان فى معركة وادى المخازن ثمانمائة وسبعة وأربعين (847) السلسلة الاولى السعديون ج 3 ص 474)

ـ حاول الكردينال هنرى وصى البرتغال مفاوضة المنصور للحصول على جثمان سبستيان الذى سلم يوم رابع دجنبر 1578 الى والى سبتة حيث بقى الى ان مات الكردينال واصبح فيليب الثانى ملكا للبرتغال فنقل **الجثمان الى دير** بيلم Belem مقبرة ملوك البرتغال (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ القسم الثانى ج 1 ص 625)

سجلماسة ـ اشتهرت سجلماسة فى العالم الاسلامى بالعمارة والبساتين الرائقة والقصور والمنازل المتصلة على نهر فياض قد حفت به مغارس النخيل واحاط بها سور طوله أربعون ميلا وأهلها من اغنى الناس لهم متاجر الى بلاد السودان وقد لاحظ ابن حوقل وابن سعيد أنهما رأيا صكا لاحدهم على ءاخر مبلغه اربعون الف دينار واكد ياقوت ان نساءها مهرة فى غزل الصوف وصنع ازر تفوق الازر المصرية كما لاحظ ابن حوقل ان نهرها يزيد فى الصيف كزيادة النيل وزعم القلقشندى (صبح الاعشى ج 2 ص 180) أن بها شجرا اذا جعل الرجل منه اكليلا على رأسه لم ينم ولاينااله ضرر السهر

ـ ذكر ابن حوقل فى المسالك والممالك (ص 70) أنه رأى « صكافيه ذكر حق على رجل من أهل سجلماسة لرجل ءاخر من أهلها بأربعين الف دينار » ثم قال وما سمعت بالمشرق لهذه الحكاية نظيرا ولقد اخبرت بها بخراسان والعراق فاستظرفت » .

ـ ماذكره البكرى عن سجلماسة غالبه لم يكن موجودا فى زمن محمد بن عبد السلام الناصرى صاحب الرحلة لانه لم يعرج عليه .

ـ ذكر لاووست (هسبريس ج18ص151 . 1934 ان سجلماسة هدمتها ءايت عطة حوالى عام 1818م

سطمبول ـ ذكر صاحب نشر المثانى (ج 1 ص 143) أن أحمد المنصور أرسل عشرة قناطير من الذهب الى ملك سطمبول

السفارات ـ يقال بأن المولى ادريس الازهر وجه الى الامبراطور شار لمانى Charlemagne عام 801 سفيرا فصادف وجود مبعوث الخليفة هارون الرشيد الا ان الوثائق الملكية بفرنسا تنص على ان اسم الامير ابراهيم (ولعله ابن الاغلب) بينما يوجد اسم Fossatum الذى ظن بعض المؤرخين أنه مدينة فاس فليس هناك اذن ما يؤكد هذه السفارة الادريسية الى فرنسا (هسبريس تمودة 1960 ج 1 ص 41)

ـ وجه ملوك المغرب الى فرنسا نحوا من سبعة وعشرين سفارة أولاها عام 1576م والاخيرة سفارة محمد المقرى عام 1909 ـ 1910 (سفارات وبعثات المغرب الى فرنسا ـ هسبريس تمودة 1960 ج 1 ص 39)

ـ اقدم سفارة فرنسية بفاس هى سفارة الكولونيل دوبيتون Piton الذى وفد على السلطان احمد بن محمد الوطاسى ثم تلتها سفارة ملك نافاريا التى جاءت الى فاس فى عهد مولاى عبد الله السعدى (هسبريس ـ المجلد الثامن والعشرون ص 234)

ـ كان أول سفير لانجلترا بالمغرب هو ادمون هو كان Edmon Hogan الذى ورد على المغرب عام 1577 واستقبل رسميا بالقصر حيث قدم أوراق اعتماد الملكة وأمر السلطان بخروج البرتغاليين والاسبان لاقتباله خارج المدينة ومن أهم ما أشار اليه فى رحلته (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 1 ص 239ـ249) ألعاب الكلاب الانجليزية والثيران وكذلك صيد البرك ويظهر ان هذه الالعاب لم تعرف الا فى عهد المولى عبد الملك الذى كان له ولوع بالعادات الاوربية

ـ كان الوفد الاسباني الذى ورد على المغرب لتهنئة أحمد المنصور غداة معركة وادى المخازن يتركب من ستين شخصا زيادة على السفير لابسين حللا مطعمة بالجواهر والذهب واشتملت الهدايا على ياقوتة بقدر كف اليد قد علقت بها جوهرة بقدر الجوزة قيمتها ثلاثة ءالاف دينار مع زمردة بقدر التفاحة تتدلى منها زمردة اخرى طولها أصبع مع عقد انتظمت فيه اثنتا عشرة ياقوتة تخللتها ست وثلاثون جوهرة مع مائة وعشرين اوقية من الجواهر (دوكاستر ـ السعديون السلسلة الاولى ج 2 ص 31)

كلف كيوم بيرار Guillaume Bérard غداة معركة وادى المخازن بتهنئة أحمد المنصور والتذكير بروابط الود التى استوثقت بين فرنسا ومولاى عبد الملك وبالعمل على تحرير الاسرى وفتح المراسى المغربية للسفن الفرنسية واستيراد ملح البارود واستقراض مائة وخمسين الف دينار من ملك المغرب لملك فرنسة (دوكاستر السعديون ـ السلسلة الاولى ج 2 ص 22)

ـ وجه احمد المنصور عام 1600م الى ايليزابيث ملكة انجلترا وفدا برياسة سيدى عبد الواحد الفاسى والحاج باحماد وكان الغرض الظاهر هو الابحار فى مركب انجليزى الى الاسكندرية (مرسى حلب) لشراء الجواهر والغرض الحقيقى هو القيام بما مورية سرية من اجل تحقيق التحالف الانجليزى المغربى ضد اسبانيا (السلسلة الاولى ـ السعديون انجلترا ج 2 ص 177) وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثانى يستمد موارده من الهند وقد شاطرها السلطان هذا الرأى مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف ليرة (ص 206)

ـ يوجد نص رسالة موجهة من احمد بن عبد الله المرنى وساموبل بالاش الى هولندا مؤرخة ب 8 يوليوز 1610 من لاهاى حيث كانا سفيرين للمولى زيدان يعرضان فيها باسم السلطان اقراض مليون ونصف مليون لهولندا مع اعتماد سفراء فى البلدين وفتح مراسى الدولتين فى وجه السفن الحربية والتجارية (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ هولندا ج 1 ص 528) ، وقدسبق للسفير حمو ابن البشير ان اقترح تسليف مليونواحد (ص 567) راجع نص المعاهدة المبرمة بين البلدين بمراكش فى 24 محرم 1020 موافق 18 ابريل 1611 (ص 613)

ـ كان لسمويل بالاش يخت وسفينة كبرى يستغلهما للقرصنة علاوة على

استغلاله لمنصبه كممثل للمولى زيدان للقيام بمؤامرات على حساب المغرب مما ادى الى اعتقاله من طرف حكومة لندن عام 1615 بسبب قضية قرصنية ومات بلاهاى بعد سراحه فى بؤس فى العام التالى وقد عثر زيدان على رسالتين زور بالاش فيهما العلامة السلطانية (راجع ج 2 من السلسلة الأولى من تاريخ الدولة السعدية ـ مستندات دو كاستر)

ـ وجه مولاى زيدان الى هولندا عام 1619م مبعوثا خاصا لقضاء بعض اغراضه هو الفرنسى جاك فابر Jacques Fabre (السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3 ص 109) وهو الذى كلف بتذويب مدافع النحاس بهو لندا ثم بعث يوسف بالاش عام1624 لمساعدة سفيره يوسف بسكانيو (ص 558)

جوهن هاريسون J. Harrisson مبعوث ملك انجلترا جاك الاول Jacques Ierالى المولى زيدان زار المغرب ثمانى مرات وعندما شبت الحرب بين اسبانيا وانجلترا عام 1625 اتصل بالمهاجرين الاندلسيين فى تطوان وسلا وساند فكرة تحالف انجلترا مع القراصنة وامدادهم بالعتاد عام 1627 ضد زيدان واطلاق الاسرى الانجليز ولكن شارل الاول رفض التفاوض مع الثوار وظلت مراكبه تقتنص السفن القرصانية (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ انجلترا ج 2 ص 431) وقد استقر قراصنة انجليز فى المهدية وعددهم ألفان يملكون اربعين مركبا (ص 462)

ـ راجع نص الامر الاسماعيلى المؤرخ بربيع الاول 1110 ه (1698) لتعيين الرئيس القبطان عبد الله بن عائشة قائدا للبحر (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 4 ص 675) مع نص رسالة اعتماده سفيرا لدى لويس الرابع عشر (ص681)

ـ أسفرت سفارة عبد الله بن عائشة الى فرنسا رغم فشلها عن احداثشركة تجارية (1700م) لمؤسسها جان جوردان J. Joudan الذى قدم للسفير المغربى مصانع زجاج المرايا فقررا هذه الصفقة المشتركة بينهما وأصبح جوردان بعد ذلك يلعب دورا مهما فى دبلوماسية البلدين وتسومح مع الشركة فى اصدار الزيوت والقموح وحصل بن عائشة من السلطان على مراقبته الشخصية لتجارة جوردان وهذا الشخص هو الذى كان صلة وصل فى خطبة الاميرة دوكونتى De Conti ولكن الشركة اخفقت بعد ثلاث سنوات (1703م) .

سفراء سيدى محمد بن عبد الله :

I ـ للاستانة ج) الخياط عديل والطاهر بنانى الرباطى والطاهر بن عبد السلام السلوى وعبد الكريم راغسون التطوانى ومحمد الحافى وعبد الكريم العونى التطوانى وعبد الملك بن ادريس العلوى ومحمد بن عثمان المكناسى والزيانى والقائد الرحمانى والقائد الطاهر فنيش

2 ـ ولا سبانيا احمد الغزال الفاسى وابن عثمان المكناسى
3 ـ ولفرنسا على مرسيل الرباطى والطاهر فنيش
4 ـ ولمالطة محمد الحافى وابن عثمان المكناسى
5 ـ ولانجلترا الرئيس العربى المستيرى الرباطى
6 ـ وللسويد ج) التهامى المدور

(الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 347)

ـ يستنتج من الوثائق الفرنسية ان السلطان سيدى محمد بن عبد الله تلقى عام I774م من لويس السادس عشر رسالة اخبار باعتلاء العرش فوجه لتهنئه ملك فرنسا السيد عبد الله شكالانط وتعزيته فى لويس الخامس عشر ثم رجع المبعوث مع القنصل شينى Chénier من مدينة بريست Brest (هسبريس تمودة I960 ـ ج I ص 55)

ـ راجع نص رسالة من مولاى سليمان الى رجال الثورة بفرنسا Directoire بتاريخ 22 ربيع الاول عام I2I3 حملها الى فرنسا الحاج عبد الرحمن بن زاكور والحاج محمد بن صالح الذى كان من ضحايا القرصان الفرنسيين (هسبريس تمودة I960 ج I فصلة 3)

ـ **محمد بن عثمان** سفير السلطان مولاى سليمان بنابل توجه الى جمهورية دوبرونيك بيوغوسلافيا وهى محمية الباب العالى (الوثائق العربية لدار المحفوظات بدوبروونيك)

لاحظ ميبيج Miege فى بحث حول المغرب وحرب القرم (I854 ـ I856) (هسبريس I559 ص 26I) أن ممثل السويد فى الجزائر الذى كان مكلفا بشؤون روسيا ورد على طنجة مؤيدا من طرف الولايات المتحدة لحمل المغرب على الانضمام الى كتلة المحايدين أولا ثم استدراجه للدخول الى الحلف الروسى الامريكى مقابل ارجاع مليلية الى المغرب .

ـ ذكر كابريال شارم الذى اتصل بالسلطان مولاى الحسن ضمن البعثة الفرنسية التى أشرف عليها السفير فيرو Féraud فى وصف السلطان أنه بالقطع أجمل رجل فى مملكته ومن أجمل من يمكن لقياه فى امبراطورية ما ولو فى عالم الاحلام (سفارة الى المغرب ص 196 ـ 197)

السكانـ لاحظ كوتيي (العصور الغامضة فى المغرب ص 405) ان مغرب القرن التاسع الميلادى كان اكثر عمرانا

ـ أكد كوستاف لوبون (حضارة العرب ـ الطبعة الفرنسية ص 263)

أن سكان المغرب يقدرون فى عصره بستة أو سبعة ملايين نسمة بينما كان سكان فاس وحدهم فى القرن العاشر خمسمائة نسمة وكانت فاس اذ ذاك تنافس بغداد وتحتوى على 800 ، وأكد كوتيي (العصور الغامضة ص 405) أن مغرب القرن التاسع كان اكثر عمرانا

ـ بلغ عدد سكان مراكش 1811 حسب جاكسون Jacksor 270000 نسمة (كودار ج 1 ص 35)

ـ أوصل صاحب النخبة الازهرية عدد سكان المغرب الى ثمانية ملايين ج1 ص 85)

وقدر كامبو هؤلاء السكان (المغرب المعاصر ص 187) فى العهد الحسنى بخمسة ملايين نسمة زيادة على اربعمائة ألف من اليهود

وأوصلهم ايركمان Erckmann فى نفس العصر الى ثمانية ملايين (المغرب الحديث ص 6)

وقدر الدكتور رينو عددهم عام 1902 بتسعة ملايين الى عشرة (دراسة حول الصحة والطب بالمغرب ـ الجزائر 1902

وقد تراوحت تقديرات السكان بين ثلاثة ملايين وثلاثين مليون نسمة واجريت عام 1917 احصاءات اسفرت عن تسجيل خمسة ملايين ونصف مليون فى منطقة النفوذ الفرنسى ابان الحماية غير ان انعدام الحالة المدنية لا تعطى لهذه الاحصائيات سوى صبغة تقريبية (نشرة معهد الدروس المغربية العليا رقم 1 ص 45)

السكر: كان السكر يصنع فى شقى العروبة بافريقيا: المغرب ومصروقدحدثنا المقريزى أنه كان بسمهود سبعة عشر حجرا لعصر القصب كما كان بملوى عدة أحجار (الخطط ج I ص 203) وكذلك فى قابس وجلولا (البكرى فى المسالك جزء افريقية والمغرب ص I7 و 32)

ـ أكد ماس لاطرى ان المغرب كان يصدر السكر فى القرن الثالث عشر الميلادى الى الفلاندر والبندقية(علائق وتجارة افريقيا الشمالية ص 376) وقد نبه الحسن ابن محمد الوزان على وجود السكر بسوس قبل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا أساليب تصفية هذا السكر وتبييضه فى معاصر ساهم الاسرى المسيحيون فى تأسيسها باكادير وخاصة ،سكساوة وشيشاوة (مستندات دوكاستر ج I ص 303)

ـ يوجد نص رسالة موجهة من مولاى محمد بن عبد الغالب ـ المسلوخ ـ عن اذن والده الى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء (فاس الجديد) فى رجب 968 (مارس I56Iم) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربى مع زيادة نسبة فى المائة وكذلك اصدار النحاس المغربى لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحا وعتادا (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 746)

ـ لما عجز الاوربيون المجلوبون لعصر قصب السكر فى معمل اكدال بمراكش وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عمليتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصناع المهرة من مصر القاهرة (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 556)

أسس مولاى الحسن عام I878 مصنعا للسكر بمراكش وكلفه ذاك نفقات باهظة ولكن هذا المصنع احيل بعد سنوات الى مدبغة للجلود (كامبو ص 59)

السلطان ـ السلطان اسم خاص فى العرف العام بالملوك ويقال بأن أول من لقب به خالد بن برمك وزير الرشيد ثم انقطع التلقيب به الى ايام بنى بويه فتلقب ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة (صبح الاعشى ج 5 ص 447)

ـ اقتصرت صنهاجة ـ حسب ابن خلدون (التاريخ ـ المجلد الاول القسم الثانى ص 4II) على اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا

شيئا من هذه الالقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة

ـ **يقال بأن مولاى** عبدالملك نجل زيدان بن المنصور السعدى كان أول من تلقب بالسلطان من ملوك المغرب (كودار ج 2 ص 483)

السمك ـ لاحظ الادريسى وجود مائة نوع من السمك فى سبتة حيث تكثر المصايد المعززة بالرماح التى توجد فى اسنتها اجنحة بارزة تنشب فى الحوت (اختصار النزهة ص 108)

السوس ـ السوس بلدة بخوز ستان وبلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية وهناك السوس الادنى مدينة طنجة والسوس الاقصى والسوس أيضا بلدة فيما وراء النهر والسوسة مدينة صغيرة بافريقية **وسوسية** كورة بالاردن (معجم البلدان ج 5 ص 173)

ـ **سوسة** اسم مدينة بالصين (**صبح الاعشى ج 4 ص 483**) **ونهر سوس** تقع عليه مدينة **استجه وقرطبة واشبيلية**

ـ أكد ابن القاضى (**جذوة الاقتباس** ص 8) أن « السوس الادنى يمتد من وادى ملوية الى وادى ام الربيع وهو اخصب بلاد المغرب واعظمها بركة وفاس منه وأما السوس الاقصى فمن جبل درن الى وادى نول »

السياحة : تعرض كودار (ج 1 ص 242) الى حركة المغاربة السياحية فى الخارج في عهد مولاى عبد الرحمن فلاحظ أن نحو السدس (أى 400 الى 500 من بين ثلاثة ءالاف) كانوا يتوجهون الى اوربا والباقى الى الحجاز بقصد الحج

السيارات ـ كان لمولاى الحسن نحو عشرين سيارة (**المغرب الحديث** ص 263)

ـــ ش ـــ

شالة ـ أشار عبد الله بن عيشة فى احدى رسائله للمسؤلين فى فرنسا الى الكشف عن دار تحت الارض فى هيئة كنيسة مع ثلاثة تماثيل من الرخام والظاهر ان المدينة المقصودة هى شالة (السلسلة الثانية ـ **العلويون ج 5 ص** 411) وقد ورد فى رسالة لجان ايستيل (1699) انه وقع العثور فى شالة على

ثلاثة تماثيل اثنان من المرمر والثالث من الفضة (السلسلة الثانية فرنسا ج 5 ص 418) وقد حاول جور دان ourdan التعلق بابن عيشة للحصول على هذه التماثيل ونقلها الى فرنسا (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 6 ص 134)

ويظهر ان شالة كانت مركزا تجاريا فنيقيا وقد سكت فيها نقود تحمل شارات فينيقية أواخر القرن الاول قبل الميلاد (تاريخ افريقيا الشمالية القديم كزيل Gsell ج 2 ص 176) وقد عثر على تسعة وثلاثين اسما لاشخاص كانوا بهذه المدينة من بينهم اثنان افريقيان وثمانية من الافارقة وسبعة ايطاليين وخمسة أسبان (هسبريس 1950 ـ ص 427)

الشام ـ الشام الصغير هو اقليم فشتالة من تطوان الى وادى سبو ويشبهون جاية مثلا بالشام لوفرة فواكهها •

الشاى ـ لاحظ طوماس لوجوندر Thomas le gendre فى رحلته المنشورة فى مستندات دوكاستر (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 691 ـ 739) وجود الشاى فى المغرب زيادة على القهوة عام 1665 وكانا حديثى عهد بالدخول الى اوربا كما أكد ان مراكش فسيحة ولاتقل عظمة عن باريس بدون أرباض

وقد لاحظ القنصل الفرنسي شينيي Chénier فى عهد سيدى محمد بن عبد الله (ابحاث تاريخية حول المغاربة ج 3 ص 208) انتشار الشاى بالمغرب فى هذا العهد •

الشركات الاجنبية ـ شركة الشرق Compagnie du Levant قامت مقام شركة المزمة Compagnie d'Albouzème التى أوقف فريجوس وأصحابه أعمالها وذلك بقرار مجلس الدولة الفرنسي عام 1670 (الفلاليون السلسلة الثانية ج 1 ص 313) واذن لها بنقل المدافع والعتاد الى المزمة (ص 327) وألقى القبض على فريجوس من طرف مولاى رشيد الذى وقف على تصميم الحصن الذى اعتزمت فرنسا اقامته فى احدى جزر المزمة (ص 389)

شخصية (المغرب) ـ أكد روبير مونطانى Robert Montagne فى كتابه ثورة فى المغرب ص 375 Révolution au Maroc أنه ليس ثمة بلد اسلامى حديث توفر خلال العصور واحتفظ الى الان بشخصية سياسية فى مثل قوة وأصالة الشخصية المغربية

الشكايات (وزارة) ـ وزارة الشكايات أول من أحدثها هو محمد الرابع وسمى فيها محمد بن ج عبد الله الصفار (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 569) ·

شمس ـ أشارت الدخيرة (ص 137) الى حصن شمس (أى ليكسوس Lixus وحصن العرائش التين دخلهما النصارى عام 668 هـ

ـــ ص ـــ

الصادرات : كان السكر المغربى يصدر الى البندقية والفلاندر فى القرن الثالث عشر الميلادى (ماس لاطرى ص 376) ومحمد الشيخ هو أول من عمل على تصفيته بناء على عملية التكرير التى اخترعها البندقيون وأشاع استعمالها الاسرى المسيحيون (مارمول ـ الكتاب الثالث) ولم تكن ايليزابيت ملكة انجلترا تستهلك فى البلاط سوى السكر المغربى نظرا لصفائه (السعديون ـ السلسلة الاولى ج 1 ـ المقدمة) وكان ملح البارود يشكل المادة الثالثة فى الصادرات بعد الذهب والسكر ولم تكن حسب سان ماندريى St. Mandrier سوى أربعة مناجم لملح البارود فى اقليم مراكش (اثنان فى مراكش واثنان فى اغمات والشبانات) (المقدمة) وكان النحاس يسبك قوالب ويصدر وقد حصل ملك فرنسا هنرى الثالث على الاذن باستخراج أربعين الف قنطار وهذه القوالب هى المعروفة بفرنسا Pains de Rosette (السلسلة الاولى ـ فرنسا ج 2 ص24)

ـ كان اصدار الطيور وكذلك الخيول محظورا فى المغرب وكان الاجانب يتذرعون بوسائل غير قانونية لحمل بعض الطيور الى الخارج (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 507)

الصحراء ـ لاحظ الزيانى ان المولى سليمان احتل فجيج عام 1221 هـ وكورارة وتوات 1223 هـ (مقتطفات من الترجمان المعرب ـ ترجمة هوداس ص 189)

صقلب ـ صقلب أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج5 ص 372) ولعل جزءا من الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس السلاف (Slaves

الصناعة: تحدث الشريف الادريسى (اختصار النزهة ص 49) عن معدن النحاس الخالص الذى لايعد له غيره بمشارق الارض ومغاربها فى مدينة داى حيث يزرع القطن الذى يتوافر خاصة فى تادلا ·

ـ نشطت الصناعة المعدنية بافريقية الشمالية خاصة خلال العصور الوسطى وقد نص البكرى على وجود الذهب والفضة قرب تازا وهوذهبصاف جيد واشار صاحب الاستبصار الى وجود منجم ذهبى قرب سجلماسة وقبله اليعقوبى الذى ذكر ذهب وفضة مدينة تمدلت وكذلك الحسن الوزان وتوافرت مناجم الفضة كذلك بالاطلس الكبير وقرب مكناس ، وقد أصدر المغرب الحديد والرصاص والفضة الى الشرق ونحاس السوس الى السودان ويوجد جبل الحديد قرب الصويرة والرصاص بالناظور ووجدة والحديد بتمسمان وبين سلا ومراكش وقرب فاس (باب الحديد بفاس) وقد امتازت الجزائر وتونس بالرصاص والحديد فى حين ان الفضة والنحاس لم يتوفر الا فى المغرب (كزيل ـ هسبريس 1928 ص 1 ـ 21)

ـ كانت معاصر السكر فى مراكش والصويرة وتارودانت تدر على المنصور أزيد من ستمائة الف اوقية ذهبية فى السنة السلسلة الاولى ـ السعديون ج 2 ص 358) ووزن الاوقية يعادل ثلاثين غرام تقريبا .

ـ يظهر انه كانت بالمغرب فى عهد مولاى زيدان مصانع للطلس Satin حيث ورد فى قائمة هدايا السلطان الى هولندا عام 1612 الاشارة الى حياطي « عمل دار السلطان » (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ هولندا ج 2 ص 175)

ـ بعد ان طلب مولاى زيدان من هولندا ان تصنع له أربع سفن عاد فطلب منها عام 1621 بناء فركاطتين (السلسلة الاولى ـ الدولة السعدية ج 3 ص 188) وقد تقرر توجيههما الى المغرب بخفارة بارجة حربية عام 1622 ولكنهما وصلتا الى مياه انجلترا وعادتا لعدم استطاعتهما مواجهة امواج عرض المحيط (ص371)

ـ مولاى زيدان عين سان مندريي St. Mandrier الفرنسي مهندسا ساعده على تاسيس مصانع لاذابة المدافع وتكرير ملح البارود وأصبح هذاالمهندس يتمتع بحظوة كبرى فى البلاط (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3) وهو الذى أوعز الى مولاى زيدان ببناء مرسى فى الوليدية نظرا لكون الجديدة والمعمورة والعرائش كانت فى قبضة المسيحيين واكادير فى يد ثوار السوس وأسفى هى المرسى الملكية الوحيدة وكان يود ان تتكفل فرنسا بالبناء وبالفعل تأسست شركة فرنسية لهذا الغرض غير ان مولاى زيدان فضل تحمل نفقات الانجاز فرسم تصميما واستخدم اختصاصيين هولنديين لنسف صخور الشاطىء فثارت قبيلة دكالة ضد وجود الهولنديين بدافع من عائلة بالاش فعدل زيدان

عن المشروع واكتفى مولاى الوليد ببناء قصبة ، وقد قتل زيدان المهندس مندريى عام 1626 ـ المقدمـة ـ وكان من اهداف بناء هذا الميناء صيد العقيق واستخلاص الاملاح ٠

ـ كان المغرب يصنع فى عهد سيدى محمد بن عبد الله البنادق وانواعا من الاسلحة البيضاء كالحناجر والرماح فى تطوان وفاس ومكناس والبارود فـى مراكش وفاس وقد أسس مصانع لتذويب نحاس المدافع وجلب لذلك الخبراء من الاستانة كما أسس خاصة مصنعا للقنابل فى تطوان

الصويرة ـ لاحظ دوكاستر (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ البرتغال ج 1 ص 120) ان فشل البرتغال فى الصويرة عام 1510 (915هـ) فى الوقـت الذى استطاعوا بسط نفوذهم فى اسفى واكادير يرجع للفوضى التى كان يعيش فيها الناس حول هاتين المدينتين بينما اصطدم البرتغاليـون حول الصويـرة بمقاومة اذكت روحها عناصر صوفية من ركراكة المصامدة الذين وصفهم الحسن الوزان بالاستقامة والتقوى وقد عاش سيدى محمد الجزولى ودفن بأفوغـال الواقعة على مسافة 35 كم من الصويرة حيث يؤكد الافرانى والمصادر البرتغالية وقوع اول اصطدام بين البرتغاليين والسعديين وهذا يؤكد ان الحركة الصوفية المنبثقة من هذه الناحية كانت مصدر الثورة ضد الوجود البرتغالى بالمغرب ٠

ـــ ط ـــ

طارق (جبل) ـ جبل الطر بدل جبل طارق (تاريخ الدولة السعدية ص 95)

ـ راجع نص رسالة من مولاى اسماعيل غير مؤرخة (كتبت قبل 1706) الى البرلمان الانجليزى وأميرال البحر فيها يحتج على اقتراح انجلترا بعد احتلال جبل طارق (عام 1704) التحالف مع الاسبان الذين يحتلون سبتة ضد المسلمين مع ان ذلك مناف للمعاهدة المغربية الانجليزية ومادامت انجلترا لاتسعـى الا لضمان مرور سفنها فى المضيق فعليها ان تساعد المغرب على استرجاع سبتـة، وكانت انجلترا تشترط على اسبان سبتة الانضمام الى ملك اسبانيا الدوق شارل بدلا من فيليب الخامس حفيد لويس الرابع عشر الذى ملك اسبانيا بعد وفاة شارل الثانى ٠ (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 6 ص 349)

وتجد بالاسبانية نص رسالة اخرى مؤرخة بـ 14 جمادى الاولى عام1121هـ

(1709) يقترح مولاى اسماعيل فيها على لويس الرابع عشر تزويده بالجند لطرد النمساويين من اسبانيا ومعلوم ان ارشيدوق شارل النمسا Charles d'Autriche

سعى للاستيلاء على اسبانيا وطرد حفيد لويس الرابع عشر منها بعد ان اعتلى العرش منذ 1700 (ص 424) ولكن ملك فرنسا أجاب (3 يوليوز 1710) متشكرا بانه يعتمد على الله وحده فى النصر (ص 454)

— يؤكد هاريسون فى مذكراته (السلسلة الاولى — السعديون انجلترا ج 3 ص 124) أن قراصنة سلا أبدوا استعدادهم لمساعدة حلفائهم الانجليز على احتلال جبل طارق .

طاطو — بانى قنطرة بن طاطو هو سيدى أحمد الشاوى (نشر المثانى ج1 ص 97)

طرابلس — افتدى ابوعنان طرابلس — حسب ابن بطوطة — بخمسة قناطير من الذهب العين (نشر المثانى ج1 ص 248)

طريف — نشرت هسبريس (1956 ص 7 — 27) مذكرة برتغالية عن معركة طريف (سلادو Salado عام 1340) زعمت ان المغاربة فقدوا فى هذه المعركة 57300 بين قتيل وأسير .

طفيل (ابن) — ذكر مونك فى كتابه امتزاج الفلسفة اليهودية والعربية Mélanges de Philosophie juive et arabe طبعة 1927 (ص 410) أن أبن طفيل وزر لابى يعقوب يوسف الموحدى .

طنجة — وهم البكرى فخلط بين طنجة ووليلى ثم نقل عن غيره ان وليلى غير طنجة وانها تقع على مسافة يوم من فاس (افريقية والمغرب — المسالك ص 109 — 118)

— **علقت** نشرة « مدن المغرب وقبائله » (طنجة وناحيتها ج 7 ص 58) على ما قاله صاحب مرآة المحاسن من أن البرتغاليين احتلوا طنجة عام 841هـ (1437) فلاحظت ان البرتغاليين انما حاولوا ذلك فطور دوا واستسلموا .

— **يوجد** نص رسالة حول ظروف زواج ملك انجلترا شارل الثانى باميرة البرتغال كاثرين ومعارضة اسبانيا لذلك ولكن المعاهدة امضيت فى 23 يونيه 1661 سلمت بمقتضاها طنجة الى ملك انجلترا كصداق فوجه هذا خمس سفن حربية لاحتلال المدينة وسمح للسكان بالهجرة الى البرتغال أو الا ستيطان بالمدينة (دو كاستر — الفلاليون — السلسلة الثانية ج 1 ص 4) وكان الاسبان يخشون انهيار

تجارة الهند بسبب تعذر صناعة السفن فى قادس (ص 19) ويقال بأن الخضر غيلان رفض ما أوعز به الاسبان من التعرض لاحتلال طنجة من طرف الانجليز لأن هؤلاء أمدوه بعشر سفن لمحاربة خصمه عبد الله بن محمد الحاج الدلائى عندما كان يحاصره بسلا وقد تلقى الامير الدلائى يوم 15 يونيه 1661 خمسة مراكب لقرصان الجزائر محملة بالمؤن (ص 23) ولكن مذكرات اخرى تشير الى امداد اسبانيا غيلان بالمال وقيامه بحملات ضد الانجليز وفتكه بثمانمائة منهم فى ارباض طنجة (ص61) ومساعي ملك فرنسا لشراء المدينة من الانجليز(ص65) ويظهر ان الهدنة انعقدت بين غيلان والانجليز لستة أشهر عام 1663 ثم تجددت واستونفت المناوشات بعدها فمات والى المدينة خلال مكيدة دبرها غيلان فى وادى اليهودى (ص78) ، وقد تنازل عبد الله أعراس لتجار انجليز عام 1666 عن مركز فى فرضه المزمة (ص87) ولكنه مالبث أن أسر من طرف مولاى رشيد قبل أن يتوصل برسالة وجهها اليه ملك فرنسا لويس الرابع عشر لاخباره بتاسيس شركة فرنسية للتجارة فى المزمة حيث عين رولان فريجوس Roland Frèjus قنصلا (ص 95) وقد وجه مولاى رشيد بعد اعتلائه العرش رسالة الى لويس الرابع عشر بتاريخ 26 شوال 1076) يعطى فيها ضمانات للفرنسيين الواردين على المغرب بقصد التجارة (ص 114) وكان من نتائج انتصار مولاى رشيد وانهزام غيلان فى زحفه ضد الاسبان بالعرائش تجديد الصلة بين الانجليز والخضر للحصول على السلاح (ص 116)

ـ عندما احتل الانجليز طنجة نهبوها وهدموا الاصنام والاوانى المقدسة فى الاديرة والكنائس ولم يتركوا من السبع عشرة كنيسة التى اسسها البرتغاليون سوى واحدة مع دير لعبادة بعض الكاثوليكيين الذين بقوا فى المدينة ويظهر ان أهم هذه الكنائس قد خصصت للبروتستانت ولعلها كانت فى موضع الجامع الاعظم الحالى (طنجة وناحيتها ـ مدن المغرب وقبائله ج 7 ص 70)

ـ صدر فى **طنجة** عام 1668م ميثاق يشكل هيئة بلدية تتركب من شيخ البلد وستة أعضاء واثنى عشر مستشارا وكان جميع سكان طنجة المسيحيين سواء منهم الانجليز او الاجانب ناخبين ومنتخبين فى هذا المجلس (الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 461 نقلا عن كتاب روت Routh حول طنجة ص 117 ـ 147)

ـ اتخذ تحرير طنجة حسب المصادر الاجنبية مراحل فقد حوصرت من طرف

القائد عمر بن حدو بمساعده مهندسين أوربيين ووقع احتلال حصنين دون تدخل من طرف الانجليز لانقاذ حاميتهما التى هلكت ولم يكد يمر شهران اثنان حتى اضطرت انجلترا لعقد هدنة (31 مايه 1680) ملتزمة بالجلاء عن حصنين من خمسة الحصون الباقية (روث ـ طنجة ص 180) الفيلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 493) وقد اسست ثمانية حصون حول المدينة لتوسيع شبكة المستعمرة على نصف مرحلة ودارت معارك عديدة بين الطرفين تدخل خلالها الاسطول الانجليزى بدون جدوى وامضيت بين الطرفين معاهدة صلح لاربع سنوات بين 29 مارس و8 ابريل 1681 تمنع انجلترا من بناء أى حصن خارج طنجة (ص 535)

ـ سفير فرنسا بانجلترا يقترح عام 1682 على لويس الرابع عشر بيع طنجة لفرنسا نظرا لعزم انجلترا تحطيمها أو دفعها الى البرتغال (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 2ص 300) احتذاء بماتم فى شأن مدينة دو نكيرك Dunkerque التى سلمها شارل الثانى للويس الرابع عشر عام 1662 مقابل أربعة ملايين (هامش ص 303) .

ـــ ع ـــ

العبيد ـ فى عام 1109 وجه المولى اسماعيل الى فاس مرسوما قرىء فى المساجد يضمن حق الملكية للعبيد وكان قد وجه فى العام السابق الى قضاة فاس وعلمائها توبيخا لتعرضهم لملكية العبيد المسجلين فى الديوان (مقتطفات من الترجمان المعرب للزيانى ـ ترجمة هوداس ص 47)

العبيديون ـ تكلم بعض المؤرخين فى نسب العبيديين وقد قال صاحب نشر المثانى العجب من ابن خلدون حيث عد نفيهم من النسب من الاخبار الواهية واحتج بطول ولايتهم وخدمة الشيعة اياهم ،، وهى تعد من سقطاته ـ ج 2ص102

وافقت بيعة ابى يعقوب الموحدى 558 انقراض الدولة العبيدية بالمشرق (البيان لابن عذارى ج 4 ص 72)

العدير ـ العدير هى المراعى التى احتفظ المخزن بها لنفسه فى الأراضى التى كانت تابعة لبيت المال والتى اعطيت للقبائل العربية وذلك لتربية الخيل والبغال خارج أيام الحركة أو السوائم من أجل تزويد القصر السلطانى بالزبد واللحوم وقد اضيفت اليها أراض حجزت من قواد متركين

العراقيون ـ أشار ابن القاضى (جذوة الاقتباس ص 16) الى وفد جماعة من الفرس من بلاد العراق انزلهم المولى ادريس بعين علون بفاس

العرائش ـ لاحظ الجغرافى اليونانى سترابون ان بسيط العرائش كان من الخصب بحيث تنتج حقوله مائتين وخمسين ضعفا نظـرا لتوافـر الازوط والفسفور الضروريين لتغذية النجيليات Graminées ومنها الزرع وأعشاب المروج والخيزران وقصب السكر (راجع المغرب المعاصر لكامبو ص105)

ـ تأسست العرائش (حسب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ص 97) عام 657 على يد يوسف بن على

العرب ـ ابن خلدون تناقض فى الظاهر مع نفسه حيث وصف العـرب بالتوحش والنهب والعبث وروح التخريب (ص 135) من مقدمة تاريخه ثم ذكر ـ ص 144 ـ أنهم بعد الفتح الاسلامى تمدنوا فبلغوا الغاية فى ذلك وتطوروا بطور الحضارة واستجادوا المطاعم والمشارب والملابس والمبانى والاسلحة والفرش والانية

والواقع انه لم يقصد بالتوحش سوى الاعراب الاجلاف فى الجاهلية أو بعدها ممن احتفظوا بحياة البادية بتاثير من طبيعتها أما العرب الحضريون فهم غير ذلك وبهذا لا يكون العرب بدعا من الشعوب الاخرى كالبربر مثلا الذين نلمس فيهم نفس الخصائص فى البادية ونفس الاستعداد للتطور فى الحاضرة

العربية ـ كتب الوزير العثمانى محمد سلحدار باشا بالقلم الديوانـى واللغة التركية الى سلطان المغرب سيدى محمد بن عبد الله فى شأن قيام المراكيب الجهادية السلطانية بتهديد سفن جمهورية دوبرنيك محمية الباب العالى فأرجع الوزير المغربى محمد بن احمد الدكالى الرسالة راجيا تحريرها باللغة العربـية (الوثائق العربية فى دار المحفوظات بمدينة دوبرونيك ـ يوغوسلافيا طبعة 1960 ج 1 ص 14)

عروبة (الفينيقيين) ـ أكد الاستاذ توفيق المدنى فى تقويم المنصور «1348 (ص 72) أن الكشوف الحفرية ونقوش الحجارة اثبتت كنعانية الفينيقيين كما ابرزت » ان كلامهم كان عربيا شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصا بنواحى العاصمة التونسية وبجزيرة مالطة قبل ان تختلـط اختلاطـا فاحشـا

بمختلف اللغات الاوربية وأهل مالطة هم بقايا العنصر الفينيقى الخالص ..
وقد نشر توفيق المدنى (ص 76) نص الحفرية القرطاجنية التى وجدت فى البرازيل على قبر السبط خليفة الملك ويتضح منها تقارب البونيقية مع لهجة شمال افريقيا مثال ذلك : حتى خبر اللون أى حتى خبر الهون ومعناها بالفصحى « لايصلنا أى خبر الى هنا »

ومثال ءاخر :

كى مات عصبط عبد هبلت اى عليه كيف مات عصبط العباد هبلت عليه العامية (بالفصحى) لما مات السبط اصاب العباد الاختبال عليه (ومازال لفظ هبل يستعمل الى الان فى المغرب بهذا المعنى) ، ووجود هذه الحفريات فى البرازيل تدل على أن القرطاجنيين هم أول من اكتشف امريكا **قبل الميلاد** ب 125 سنة

العزيز (عبد) ورد فى كتاب كابريال فير فى رفقة السلطان الخاصة Dans l'intimité du Sultan 1905 ان السلطان مولاى عبد العزيز باشر بقوة أنواع الرياضات المستعملة فى الجيش البريطانى وكذلك التنس وكرة القدم ومهر فيها بصورة فاق بها مدربيه (ص 87) وكان القصر يتوفر على ءالة لصنع الثلج (ص 91) وقد جلب السلطان سكة حديدية للذهاب من قصره الى دار الدبيبغ على مسافة أربعة كيلومترات وجيء بها من فرنسا الى العرائش ولكنه لم يعثر على عجلات قاطراتها (ص 100) وكان يلعب النرد — ص 104 — وقد وضع فى عهده اول خط تلفونى بمراكش — ص 105 — كما وضع دينامو لاضاءة القصر بالكهرباء فى مراكش ومصنع تام الاجهزة بفاس — ص 109 — وكانت حديقة الحيوانات المجلوبة من المانيا بواسطة المنبهى تشتمل على أربعة نمور وستة سباع وأربعة ضباع وحمر رقطاء وجواميس الخ ، — ص 123 — وكان القصر يحتوى على ثلاثة ءالاف ساعة زمنية — ص 145 — واذا تحرك السلطان صاحبته مدينة كاملة قوامها خمسة وأربعون الف نسمة ويحمل خيمة السلطان وحدها ستون جملا وهى محاطة بسور من النسيج الكثيف تحدق بها الاخبية الاخرى فى عمق يبلغ احيانا ألف متر (ص 159 — 160)

العسكر — مولاى عبد المالك أول من اتخذ الجيش من فاس وأمر بانشاء السفن فى العرائش وسلا — تاريخ الدولة السعدية ص 53 —

ــ تحدث مندوسا Mendoça عن وجود سجل عسكرى بفاس يقيد فيهالجند يتقاضون اجورا منتظمة (السلسلة الاولى ــ السعديون القسم الثانى ج I ص 548)

ــ كانت افراس البرتغاليين الاهلية تفر الى المعسكرات المغربية ولا يمكن امساكها الا بالعلف الجيد (السلسلة الاولى ــ السعديون ج I ص 145)

ــ يمكن اعتبار سيدى محمدبن عبد الرحمن كمؤسس حقيقى لفرقة المشاة المغربية (المغرب الحديث ص 265)

عقبة (بن نافع) ــ لاحظ أحمد بابا مؤرخ سونغاى أن عقبة بن نافع ترك اثنى عشر مسجدا فى عاصمة غانة عندما خرج ــ الاسلام فى افريقيا الغربية ــ ص 52 ــ

عمران ــ ادعى البعض أنه كان لمولانا ادريس الاكبر ولد اسمه عمران ذكره صاحب النبذة المختصرة (سلوة الانفاس ج I ص 70)

عنان (رحلة ابى) فيض العباب ، واحالة قداح الاداب فى الحركة السعدية الى قسنطينية والزاب .

تأليف ابى اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميرى الغرناطى المشهور بابن الحاج ، ولم يذكر مترجموه وفاته ، وانما بقى بقيد الحياة الى عام 768هـ (راجع الاعلام للزركلى ج I ص 43) والحذوة لابن القاضى والاحاطة لابن الخطيب ، والكتاب وصف لرحلة ــ للفتح ــ قام بها السلطان ابوعنان المرينى للمغرب الاوسط ابتداء من 20 جمادى الاولى 758

وتكمن اهمية الكتاب فى الفصول التى يتناول فيها اعمال ابى عنان وحالة المغرب الحضارية فى ايامه مما لايعرف لحد الان فى كتاب سواه ، ومن الموضوعات التى تناولها فى هاذا الصدد :

كتابة ابى عنان لجميع قضاة ايالته بالاهتمام باقامة الصلاة جماعة ، وتعيين موظفين خصوصيين اسندت لهم هاذه المهمة فى كلمدينة واوقاف ابىعنانعلى المدارس والزوايا والمارستانات وعلى فداء الاسرى ــ وصف عدد من النواعير المائية بفاس وناحيتها ــ ذكر رحلته للعدوتين (الرباطوسلا) مع وصف مابناه بشالة ، وزاوية النساك بسلا ــ وصف مسهب للزاوية التى بناها خارج فاس

وذكر حفل افتتاحها ونظامها ووصف موكبه لدى خروجه من فاس نحو المغرب الاوسط وهنا يذكر فرق الجيش وتركيبه وشاراته واعلامه وموسيقاه ـ وصف افراك العناني ـ وصف الاسطول، وذكر اسماء بعض رؤسائه وشاراته واعلامهم وموسيقاهم ـ وصف الموكب العناني عند الوصول لقسنطينة ـ خمس قصائد في التهنئة بالفتح ـ وصف الموكب العناني عند الاوبة لفاس ٠

ـــ غ ـــ

غرناطة ـ فاوض ابو عبد الله العنابي نزيل درعة والعالم في الكيمياء والزجر اباز كرياء الوطاسي في فداء اسارى غرناطة فتوجه اليها عام 875 وهو سنة سقوطها مزودا من نساء القصر السلطاني بالحلي ولكنه غرق في البحر (دوحة ابن عسكر ص 69) ٠

ـ يلاحظ ان في سنة دخول النصارى لغرناطة وهي 886هـ نزلت الصاعقة على الحرم النبوي (جذوة الاقتباس ص 150)

الغزالي ـ ممن انتصر لعدم احراق احياء الغزالي ابو الفضل يوسف ابن النحوي الذي دخل سجلماسة وكان علي بن يوسف قد كتب الى فاس بالتحرج على الناس وتحليفهم بالايمان المغلظة ان الاحياء ليس عندهم فاستفتى ابو الحسن ابن حرزهم ابا الفضل في ذلك فقال انها لاتلزم وكانت على محمل ابي الفضل أسفار من الاحياء (جذوة الاقتباس ص 346) وعلي بن حرزهم هذا هو نجل اسماعيل ابن اخ صالح بن حرزهم الذي لقي الغزالي وعاد الى فاس (سلوة الانفاس ج3 ص 69) ٠

غيلان (الخضر) ـ الانجليز هم الذين اعانوا الخضر غيلان عام 1666م عند حصار مولاي رشيد لاصيلا حيث بقي غيلان الى يوليوز عام 1668م ففر الى طنجة على ظهر سفينة انجليزية ومنها ذهب الى الجزائر وقد أبرمت معاهدة اتحاد وتحالف بين الانجليز وغيلان (12 ابريل 1666) واستغلت فرنسا هذا الوضع فحرضت مولاي رشيد على مهاجمة الانجليز في طنجة بمساعدة القوات الفرنسية (دوكاستر ـ الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 189) ولكن حامل الرسالة وهو تروبير Trubert لم يستطع الوصول الى المغرب حيث بقي في الجزائر الى عام 1668م وكانت الهدنة قد انعقدت عام 1667 بين فرنسا وانجلترا في خصوص ممتلكاتهما بامريكا ٠

ــــ ف ــــ

فاس ـ لاحظ القلقشندى (صبح الاعشى ج 5 ص 154) أن فاس مدينتان احداهما بناها ادريس بن عبد الله وتعرف بعدوة الاندلس والاخرى بنيت بعده وتعرف بعدوة القرويين

ـ لاحظ دوزى (تاريخ مسلمى اسبانيا ـ طبعة ليفى بروفنصال 1932 ج 1 ص301 أن ثمانية آلاف عائلة اندلسية استقرت بفاس بعد وقعة الربض فوجدت بالعاصمة الادريسية جالية قيروانية وكان العرب عمالا وتجارا بينما اشتغل الاندلسيون بالفلاحة

ـ هدم يوسف بن تاشفين أسوار فاس وردها مصرا واحدا (الانيس المطرب ج 2 ص 44) ثم جددت فهدمها عبد المومن ولم تزل فاس بدون سور حتى بناه حفيده المنصور (ص 137)

ـ لاحظ المراكشى (المعجب ص 221) أنه لا يظن فى الدنيا مدينة كفاس وقد وصفها بأنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة .. رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس الى أن قال « ومازلت أسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب »

ـ ذكر ابن سعيد أنه لم ير فى الشرق والغرب مايشبه رونق الاندلس فى مياهها واشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفى حماة مسحة اندلسية ولم يرمايشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتضييع الا ماشيد فى مراكش فى دولة بنى عبد المومن ، ولاحظ المقرى (النفح ج 2 ص124) أن حضرة مراكش بغداد المغرب

ـ فى عام 1033 سقطت ديار فاس ولم يسلم منها الا القليل وهدم الباقى لتفطر جدرانه (نشر المثانى ج 1 ص 149)

ـ وصف باديا لبليش الذى يسمى نفسه على باى العباسى مدينة فاس فلاحظ أنه يمكن اعتبارها بمثابة اثينة افريقيا تشبيها لها بعاصمة الفكر الافريقى (رحلة لافريقيا واسيا من 1803 الى 1807م)

فرنسا : بلغت قيمة التجارة القرنسية بالمغرب عام 1697 معدل ستمائة الف ليرة فرنسية وكانت السلع المجلوبة الى المغرب هى الصوفيات والقطنيات والورق مقابل الجلود والصوف والصمغ القصدير واللوز والعملة المغربية الذهبية رغم تحظير خروجها من المغرب وكانت ترد عن طريق مرسيلية سلع من فرنسا وايطاليا والشرق كالحرير وخيوط الذهب والفضة والشب والكبريت والورق والافيون والادوات المنزلية مما تبلغ قيمته ثلثى المجموع أى 400 ألف ليرة وذلك مقابل الصوف والجلود والصمغ والكحل والغاسول والقصدير والنحاس وريش النعام والدينار الذهبى (السلسلة الثانية العلويون ج 4 ص 471)

فرانسوا داسيز – فكر فرانسوا داسيز François d'Assise مؤسسة مؤسس هيئة الفرنسيسكان فى تمسيح المغرب فى القرن الثالث عشر الميلادى وقد وجه لهذه الغاية خمسة من الرهبان عام 1219م فى هيئة الدراويش غير أن تحمسهم الخارق أدى الى قتلهم عام 1220م نظرا لسبهم القرءان والرسول عليه السلام وقد قتلهم يوسف المستنصر الذى سمح بعد ستة أعوام بطلب من مليشيته المسيحية بمجيء بعثة ثانية من الفرنسيسكان وأصدر عام 1226م مرسوما ياذن ببناء الكنائس بشرط أن يكون الاسقف من الفرنسيسكان الذين عدلوا عن فكرة تمسيح المسلمين ويظهر ان اول أسقفية اسست بمراكش عام 1233 م بأمر من البابا كريكوار التاسع وكانت تتمتع باقطاعات فى الوادى الكبير بالاندلس منذ عام 1257م غير ان الاسقفية اندرست معالمها من المغرب حوالى عام 1530 أى منذ قيام دولة الشرفاء الذين طردوا المسيحيين من المغرب وهكذا ازدهرت بعثة الفرنسيسكان بالمغرب خلال ثلاثة قرون (من 1230 الى 1530م) (السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3 ص 93)وكان الشعب يثور ضد صلصلة نواقيس الكنائس لذلك عمد المسيحيون الى نوع من الاذان للدعوة الى الصلاة (ص 107)

الفرنسيسكان – أكد كوهلير ان مولاى اسماعيل كان أعظم حماة الفرنسيسكان وأنه منحهم امتيازات ما كان لاية دولة أن تجرؤ على المطالبة بها لهم وأشار الى ظهيرين مؤرخين بيوليوز 1714 و 20 دجنبر 1711 فى شأن امكان اعدام كل من سبهم أو نكل بهم (مجلة ماروك – موند Maroc Monde 19 نونبر 1949)

الفسيفساء – جلب (الى الحكم الأموى) الفسيفساء عام354من ملك الروم اقتداء بالوليد فى بناء مسجد دمشق فرجع وفد الحكم بالصانع ومعه من الفسيفساء

320 قنطارا هدية فرتب جملة من المالك لتعلم الصناعة فابدعوا وأربوا على الصانع الذى صدر راجعا عند الاستغناء عنه (البيان لابن عذارى ج 2 ص 354)

فضالة ـ فكرت فرنسا فى صلاحية جزيرة فضالة واحتلالها لان القراصنة يجدون فيها ملجأ يأوون اليه انتظارا للمد الذى يسمح لهم بالدخول الى سلا وهو أيضا بالنسبة اليهم مرصدهم يراقبون منه مايجرى فى عرض البحر (الفلاليون السلسلة الثانية ج 1 ص 335)

الفنون ـ مدرسة ـ أسس محمد بن عبد الرحمن على عهد والده مدرسة للفنون بفاس الجديد تخرج منها فئة منهم من توجه الى اوربا لاتمام دروسه مثل الصدر محمد الجباص بانجلترا ومحمد العلمى بايطاليا وغيرهما فى حدود 1300هـ الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367)

الفوضى ـ لاحظ المؤرخ العالم ليفى بروفنصال أن المغرب كان يرصص وحدته السياسية فى بحبوحة الفوضى (تاريخ الشرفاء ـ المقدمة ص 9)

فيليب الثانى ـ وجه زونيكا zuniga الى فيليب الثانى ملك اسبانيا رسالة (مؤرخة ب 1577) بعد اتصاله بالسلطان عبد الملك بمراكش يؤكد فيها أنه اذا ما هاجم الاتراك وهران فان السلطان يفضل ان تشيع اسبانيا والبرتغال عزمهما على مهاجمة المغرب ليكون هو فى حل من مساندة الاتراك (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 312)

الفينيقيون ـ يؤكد سترابون (58ق‌م ـ 25م) فى جغرافيته ان الفينيقيين وصلوا فى جولاتهم بعد سقوط طروا Troie حوالى 1100 قبل الميلاد الى ما وراء اساطين هرقل واسسوا عدة مدن غير ان العناصر الاثرية قليلة فى خصوص المراكز الفينيقية بشاطىء المغرب وهذا هو ما جعل كزيل وكاركو بينو Gsell, Carcopino وغيرهما متحفظين وقد قام خبراء برحلة تنقيبية فى سواحل المغرب (هسبريس 1956) لاحظوا فيها ان تيط مركز بونيقى محقق وتدل المقبريات على ان البونيقيين تغلغلوا داخل التراب المغربى بالاضافة الى مراكزهم الساحلية

ذكر سنطاس P. Cintas فى كتابه حول التوسع القرطجنى بالمغرب (طبعة 1954) أنه عثر على مآثر بونيقية فى سواحل المحيط الاطلنطيقى

فى رأس اشقار وليكسوس وشالة وأزمور (؟) وتيط قرب الجديدة ورأس كانطان والصويرة ضمن مقابر رومانية ومن ذلك قطع من البرونز وقرط من ذهب وأوان وقناديل وصحون عليها كتابات وهى من النوع الاحمر المعروف غربى البحر المتوسط والمحيط الاطلسى والمتوافر باسبانيا والمغرب من القرن الرابع الى الثانى ق م

— ق —

القادر (الامير عبد) أقام المغرب مهرجانات دامت ثلاثة ايام عند دخول الامير عبد القادر الجزائرى الى تلمسان وذلك بأمر من السلطان نشر فى مجموع البلاد (فرنسا والمغرب خلال غزو الجزائر ـ هسبريس ج 13 ـ عام 1931 فصلة 1 ص 88)

ـ راجع رسالة من المريشال بوجو الى سيدى محمد بن عبد الرحمن موجهة فى 16 غشت 1844 يشترط فيها للسلام بعد قنبلة طنجة والعمل على احتلال الصويرة تسرير جيش الامير عبد القادر ونقل جنوده الى الجزائر واسكان الامير مع ذويه وحلفائه فى طنجة أو الصويرة أو مراسى اخرى تحت المراقبة المغربية وعدم السماح له بمغادرة المدينة واقرار الحدود التاريخية بين المغرب والجزائر (هسبريس 1948 ص 385) ويفهم من رسالة الجواب السلطانى أنه أصدر الامر للشيخ حمدون باعتقال الامير عبد القادر وأقر الحدود وتنازل لفرنسا عن مركز فى لالة مغنية (ص 400) وقد اخذت هذه الوثائق من مستندات المكتبة العامة بالرباط

القاهرة ـ حبس السلطان سيدى محمد بن عبد الله على القاهرة والاسكندرية نسخا من ابن خلدون وابن خلكان وقلائد العقيان والاغانى ونفح الطيب وتأليف ابن الخطيب (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 251)

القرصنة ـ فى 5 غشت 1670 وجه لويس الرابع عشر ملك فرنسا أمرا الى كونت ديسترى Le Comte d'Estrée باستخدام قطع الاسطول الفرنسى لمحاصرة سلا والضرب على يد القراصنة وحملهم على طلب الهدنة غير أن هذه التعليمات تغيرت بسبب احتمال شبوب حرب ضد هولندا التى كانت تملك مراكز سواحل غينيا (الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 321) مع الاحتفاظ

بسفينتين أو ثلاث أمام سلا (ص 326) ولم يستطع ديسترى احراق المراكب القرصانية نظرا للحواجز الرملية فحاول اقناع صديقه عبد القادر مرينو الذى أقره مولاى رشيد فى قيادة الرباط عام 1666 من أجل احتلال القصبة (ص386) ويذكر مويت أن مرينو كان فى عام 1670 قائدا عاما للبحرية فى سلا بعد أن عينه مولاى رشيد قائدا على العدوتين الرباط وسلا (ص 384) وورد فى مذكرة ديسترى أن مرينو طلب جوازا من القائد الفرنسي لللجوء عند الاقتضاء الى السفن الفرنسية (ص 404)

القرءانية (المبادىء) ـ أكد موليراس (المغرب المجهول ج 1 ص 28) أنه تسود فى أعماق الجبال المغربية حضارة حق هى ثمرة المبادىء القرءانية كما تتغلغل ثقافة فكرية مدهشة

القرويين (جامع) ـ أكد دلفان فى كتابه (فاس وجامعتها والتعليم العالى الاسلامى ص 81) أن جامع القرويين هو أول مدرسة فى الدنيا

القصدير ـ اكتشف قرب سلا عام 1638م منجم للقصدير أجود من القصدير الانجليزى يعطى 50 فى المائة فى مساحة دائرتها ثمان مراحل أو يزيد (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3)

القصر الكبير ـ المنصور الموحدى هو الذى أسس القصر حسب الحسن بن محمد الوزان أى ليون الافريقى ولكن الناصرى يؤكد أن سيدى على بوغالب ورد على القصر قبل تتويج المنصور بسنتين ويظهر من مسالك انطونان Itinéraire d'Antonin وهو مصنف رومانى مجهول تاريخ صدوره) أن القصر الكبير هذا هو موقع المدينة الرومانية المعروفة Oppidum Novum ومن أسمائها قصر كتامة وقصر صنهاجة (ابن خلدون) وقصر ابن عبد الكريم والقصر والقصر الكبير

القضاء ـ **قضاء** الجماعة بالمغرب يوازى منصب قاضى القضاة بالمشرق (نفح الطيب ج 1 ص 338) ولم يطلق المغرب وصف القضاء على غير الحكام الشرعيين فى حين أطلق احيانا خارج المغرب على الكتاب (صبح الاعشى ج 5 ص 451) وعلى التجار (البرد الموشى ص 7)

— كان القضاة ياتون لتونس من مراكش قاعدة مملكة الموحدين (الاعلام ـ عباس بن ابراهيم ج 1 ص 75)

القطن ـ كان المغرب يزرع القطن فى الاقاليم الوطئية المنخفضة عن سطح المغرب منذ العصور الوسطى بل القديمة وقد كتب نائب قنصل فرنسا بالدار البيضاء عام 1866 تقريرا أكد فيه أن انجلترا شجعت مواطنيها عام 1864 على زراعة القطن فى ناحية الجديدة وان الانتاج القطنى فى دكالة بلغ اربعمائة قنطار عام 1865 قيمتها مائة الف فرنك ذهبى وكان فيه نوعان مطلوبان فى اوربا واورليان الجديدة فيهما سدى حريرى امريكى طويل (النشرة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب رقم 51) **(راجع مادة ارز)**

القناصل ـ كان بعض قناصلة فرنسا فى المغرب والشرق من الاطفال ومن هؤلاء فرانسوا دوبواى François de Boyer **الذى عين وهو ابن اثنتى عشرة** سنة قنصلا فىاسفى والصويرة واكادير عام 1647 كما سمى فى نفس السنة بقنصلية القاهرة والاسكندرية الكسندر برنار Alexandre Bernard وهو ابن سبع سنين (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3)، وكانت قنصلية سلا وتطوان الفرنسية تابعة مثل قنصليات الشرق الادنى الى سفارة فرنسا فى الاستانة وهى التى تعين نوابا فى هذه القنصليات وكان القناصلة ينيبون عنهم ابناء هم مثل انطوان شيلان Antoine Cheillan الذى أسلم عام 1666 فاستبدلته فرنسا برجل أمى (المقدمة)

قنطرة (ابى رقراق) أكد المراكشى (المعجب ص 222) أن الموحدين بنوا على نهر وادى الرمان (أى ابى رقراق أو نهر اسمير وان كان البكرى يجعل موقع اسمير قرب القصر (**راجع افريقية والمغرب** ـ المسالك ص 106) قنطرة من ألواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر فاذا مد عبروا فى القوارب

ـ ذكر ابن سعيد أنه كان فيما بين قصر المجاز وطريف قنطرة عظيمة وصلت مابين البرين يزعم الناس ان الاسكندر بناها (الاستقصا ج 1 ص 32)

ويستبعد وجود مثل هذا المعبر نظرا لتعذر الوسائل العلمية حتى فى العصر الحاضر لبناء قنطرة طولها نحو خمسة عشر ميلا اللهم الا اذا كان ذلك فى اوائل العصر الجيولوجى الرابع حيث كانت المسافة قصيرة أو تكاد تكون منعدمة بين العدوتين ويتجلى اتصال هاتين العدوتين من شكلية جبال الريف بالنسبة للسلسلة الجبلية الاسبانية التى هى امتداد لها (Sierra Nevada

وتبنى الان اليابان قنطرة طولها 7٠500م وفى الولايات المتحدة قنطرة تزيد طولها على أربعة ءالاف متر ٠

القواد ــ شعر مولاى حفيظ بأن خير وسيلة للقضاء عـلى رشوة الموظفين هى منحهم رواتب كما اقترح ان يكون تعيين القواد نتيجة نوع من الانتخاب فى القبائل يعقبه تمحيص من السلطان لضمانـات المرشحين (غـزوة فـاس للكولونيل بول ازان Paul Azan ص 6و105)

القيادات ــ أضاف السلطان مولاى الحسن الى القيادات الثمان عشرة التى كانت موجودة فى المغرب ثلاثمائة وثلاثين جماعة جعل على رأس كل منها قائدا

القيسى (محمد بن سعيد) قاضى المولى ادريس هو محمد بن سعيد القيسى من قيس غيلان سمع مالكا وسفيان الثورى ــ جذوة الاقتباس ص 13 ــ ووزيره هو عمير بن مصعب الازدى وقد زوجه المولى ادريس ابنته عاتكة وانزله بفاس فى عين عمير (سلوة الانفاس ج ص 215)

ــــ ك ــــ

كاسبارو كورسو Gasparo Corso اخوة كورسيون أهمهم اندريا Andréa كان بالجزائر المستشار الخاص لمولاى عبد الملك السعدى وصديق علوج باشا وقد صاحب المعتصم الى المغرب الى يوم معركة وداى المخازن وكان سفيره فى المحادثات قبل نزول سبستيان وبعد وفاة المعتصم عاد الى اسبانيا فأصبح جاسوسا لفيليب الثانى فى البرتغال (وغم) السلسلة الاولى ــ السعديون ج3 ص157) وبواسطة هذه العائلة من التجار استطاعت اسبانيا ان تبث عيونها فى البحر المتوسط قبل وادى المخازن وبعدها وأن تفاوض الجزائر فى الكف عن مساعدة الثوار المسلمين فى غرناطة (ص 160)

كريسطوف ــ وجه المنصور الذهبى يوم 25 يونيه 1596 ثلاث سفن الى قادس لاعانة كريسطوف الذى كان رهينة عنده ولكن المدينة لم تقبل مساعدة المسلمين واقتصرت على المؤن المهداة وقد وجه كريسطوف بعد حصار قادس الى المغرب من كان فيها من الاسرى المغاربة على ظهر المراكب المذكورة فيما يلوح (راجع كتاب كوربيط Corbette, The successors of Drak (ص 105)

— راجع نص رسالة ايليزابيت ملكة انجلترا الى احمد المنصور تشكره على الوعد باعانة الدون انطونيو المرشح لعرش البرتغال وتخبره بانهزام الاسطول الاسباني Invincible Armada في 10 غشت 1588 كما توصيه بالامير كريسطوف الذى وجهه والده انطونيو رهينة الى ملك المغرب (السعديون — السلسلة الاولى ج 2 ص 151) مقابل قرض مالى ووصل كريسطوف الى اسفى مع مبعوث انجليزي وكانت المراكز البرتغالية بالمغرب مازالت محتفظة بحامياتها البرتغالية رغم الوحدة بين الدولتين مما حدا المنصور الى الاعتقاد بأن هذه الحاميات تساند انطونيو وكان حامل جواب المنصور الى لندن هو سفيره الرايس احمد بلقاسم الذى اتصل أيضا بانطونيو وقد وعد المنصور بتوجيه المال والعتاد والرجال بمجرد اعلان وصول انطونيو الى البرتغال — ص 180 — ولكن حملة انطونيو فشلت — ص 185 — وأشيع ان المنصور يرغب فى تسليم كريسطوف الى ملك اسبانيا فلذلك طلبت انجلترا من الباب العالى التدخل لدى المنصور لتسريح الامير الشاب — ص 188 — وفى هذا الوقت بالذات طلب المنصور من ملك اسبانيا ان يسلمه مولاى الناصر أخ محمد المسلوخ الذى فر الى اشبونة غداة معركة وادى المخازن وكذلك ابن اخيه مولاى الشيخ الذى كان بالجديدة فكانت المساومة بين الطرفين — ص 205 — غير أن اسبانيا اضطرت الى ارجاع الناصر الى المغرب لانه حاول اثارة مسلمى الاندلس واستقر الناصر بمليلية واستنفر القبائل لمحاربة المنصور فى وقعة الركن — ص 208 —

— بعد انهزام المولى زيدان من طرف ابى محلى قرر التوجه بحرا الى السوس فاكترى مركبا هولنديا وكذلك مركبا فرنسيا بقيادة كاسطلان فنقل أهله على ظهر السفينة الهولندية ودفع أمتعته وخزانته — 73 حملا من الكتب — مقابل أجر قدره ثلاثة ءالاف دوكا ووصل المركبان فى 16 يونيه 1612 الى اكادير فنزل مولاى زيدان وأهله من الاول ورفض كاسطلان انزال حمولته قبل اخذ الثمن وفى 22 يونيه قرر الرجوع الى مرسيليا ولكن العواصف أخرته فاصطدم فى عرض سلا بأربع سفن اسبانية وكانت اسبانيا تعطى لنفسها الحق فى حجز كل مركب فرنسى يوجد فى المياه المغربية وقد تجلى غضب المولى زيدان فى الرسائل الموجهة الى ملك فرنسا لويس الثالث عشر الذى لم يرد على التبرؤ من عامله كاسطلان الذى سجن باسبانيا (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3) ولذلك فضل لويس عدم اقتبال سفير السلطان احمد الجزولى (1612 — 1613) لان الكتب لم تكن بفرنسا وقد شدد السلطان الخناق على الاسرى الفرنسيين وسجن المبعوث

الفرنسي في آسفي نظرا لرفض ملك فرنسا استقبال سفير السلطان سيدي فارس وتقاعسة عن التدخل لدى اسبانيا لارجاع الكتب المنقولة الى الاسكوريال وتازمت العلائق بين البلددين فسجن مازى Mazet وكذلك دوبوى Du Puy الذى نكل به الوليد واعتنق الاسلام

ويرى لوجندر Le Gendre في رحلته ان كسطلان لم يتوجه الى اكادير بل اتجه من اسفي نحو فرنسا ويزعم لوجندر ان المولى زيدان كان عازما على التوجه الى فرنسا على ظهر السفينة الفرنسية بجواهره وحليه للاستنجاد بملكها ولكن كسطلان أقلع بمجرد ما حمل المجوهرات تاركا السلطان في البر
l'Etat des affaires cherifiennes P. 11 - 12

الكوديت ـ تؤكد وثيقة اسبانية بقلم الكونط الكوديت d'Alcaudete مؤرخة سنة 1554 أن صالح الرايس باشا الجزائر الذى احتل مدينة فاس في نفس العام نادى بنفسه ملكا على المغرب باسم السلطان العثماني ونصب أبا حسون خليفة له وأعانه يهود فاس بثلاثين الف دوكة وانصاعت مراسى الساحل ومدن المملكة عدا تادلا حيث لجأ السلطان ووجد ستة عشر مركبا في بادس وتطوان وشحن اثنين منهما بالذهب والغنائم وبعث بهما الى الباب العالي بقيادة علوج علي (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ اسبانيا ج 2 ص 151) وقد نقل الى الجزائر اربعمائة أسير مسيحى وأزيد من مليون دوبل (ص 164)

كونتي (الاميرة) ـ لعل مما يؤكد خطبة مولاى اسماعيل للاميرة كونتي الفرنسية وجود أربع رسائل بامضاء عبد الله بن عيشة وجهت احداها الى بونشا رتران Pontchartrain عام 1699م باسم السلطان حيث أكد أنه اذا ماقبل لويس الرابع عشر هذه الخطبة فان ابن عيشة سيبحر حينا لامضاء معاهدة حلف مع فرنسا (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 5 ص479) وقد اثارت هذه الخطبة في البلاط الفرنسي موجة من الاستهزاء تردد صداها في قصائد وفي تمثيلية كانت فرصة للنيل من العوائد الفرنسية في ءاخر القرن السابع عشر ولايوجد أى نص جواب عن هذا المطلب (ص 477) وقد حمل بعض المؤرخين الفرنسيين على جهل الدبلوماسية الفرنسية لاساليب اللياقة والحكمة مع المغرب وجهل الشعب الفرنسي لحقيقة شخصية مولاى اسماعيل الذى وصفه مويت كسفاك

كيوم بيرار ـ عند ما كان عبد الملك مريضا قبيل معركة وادى المخازن

عالجه زيادة على كيوم بيرار طبيب يهودي وقبطان وكيوم بيرار هو القنصل الفرنسي (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية 32 وقد خلف بيرار في عهد المنصور ارنولت دوليل Arnoult de Lisle الذى جاء الى المغرب عام 1588م بعد ان كان هنرى الثالث قد أسس فى كوليج دوفرانس عام 1587 كرسيا للغة العربية بغية الاسهام فى تقدم علم الطب بفرنسا حيث كان نفوذ اطباء العرب واسعا وعين ارنولت أول استاذ فيه خلفه بالمغرب عام 1598 الطبيب هوبير المستشرق وأستاذ العربية

ـــ ل ـــ

لبريرى ــ كان يطلق احيانا على اسبانيا اسم Librairie لاسيما فى مشاريع التحالف المغربى الاسبانى ضد الاتراك ايام السعديين (السلسلة الاولى السعديون ج 2 ص 348 ــ وصف المغرب للرحالة البرتغالى المجهول)

لويس (الرابع عشر) ــ طلب مولاى اسماعيل فى رسالة مؤرخة ب 12 جمادى الاولى عام 1111هـ (5 نونبر 1699) من لويس الرابع عشر ان يبعث الى المغرب مهندسين وبنائين لاشادة قنطرة (السلسلة الثانية العلويون ج 5 ص 458 النص العربى للرسالة)

ـــ م ـــ

مارستان (المنصور) ــ لاحظ المراكشى (المعجب ص177) ان المارستان الذى بناه يعقوب المنصور بمراكش لايظن ان فى الدنيا مثله لما احتوى عليه من نقوش واشجار ومياه وبرك وفرش نفيسة وادوية واطعمة مجانية وصيادلة لعمل الأشربة والادهان والاكحال وتبادل ثياب الليل والنهار للمرضى وتزويد هؤلاء بالمعاش فى فترة النقاهة

مازيغان ــ اشار ابن عذارى (البيان ج 4 ص 393) الى مرسى مازيغان Mazagan كما اشار اليها البكرى (مختصر نزهة المشتاق ــ ص 48 ــ)
وكتبها مازيغن

الماشية ــ كان المغرب فى عهد مولاى عبد الرحمن يتوفر على اربعين مليون رأس من الغنم وما بين 10 و12 مليون رأس من المعز وما بين 5 و 6 ملايين

من البقر ونصف مليون من الابل ومثله من الافراس ومليونين من الحمير ومثلها من البغال (كودار ج 1 ص 188)

مالطة ـ كان المنصور السعدى يفدى الاسرى الذميين من رعاياه وقد اخرج يهوديا من الاسر من جزيرة مالطة (المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور لابن القاضى)

المالكى ـ (المذهب) ـ حاول يعقوب المنصور محو المذهب المالكى من المغرب باحراق المدونة ونوادر ابن ابى زيد ومختصره وتهذيب البرادعى وواضحة ابن حبيب بفاس والاستعاضة عنها بجمع احاديث من المصنفات العشرة (المعجب المراكشى ص 171)

المتوكلية ـ مدرسة ابى عنان تعرف بالمدرسة المتوكلية (سلوة الانفاس ج 3 ص 247)

مجاز : مجاز الرمان ـ وادى ابى رقراق ـ قد ورد فى مذكرة بالاسبانية والعربية حول غزو يعقوب المرينى تامسنا عام 657 هـ وكان والى رباط الفتح اذاك هو محمد بن ابى يعلى الكومى من قبل المرتضى وقد اشير فى هذه المذكرة الى هجوم 37 مركبا نصرانيا على سلا وفدت بعد ان استنجد يعقوب بملك قشتالة ضد المرتضى ثم حرر ابو يوسف المدينتين وطرد الاسبان عام 658هـ (هسبريس 1952 ص 53)

المجاعة الكبرى: المجاعة الكبرى استمرت من سنة 619 الى 637 هـ (جذوة الاقتباس ص 17)

المحارس : اشار ابن مرزوق فى المسند الصحيح الحسن (نخب منشورة فى هيسبريس ج 5 ـ سنة 1925) الى انه كان يوجد بين اسفى وجزائر بنى مزغنان (الجزائر العاصمة) مدارس ومناظر تتخابر فيما بينها باشعال النيران فى اعلاها وفى كل محرس رجال مرتبون ونظاروطلاع يكتشفون البحرفلا تظهر فى البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا والتنيير يبدو فى المحارس للتحذير .

وقد اشار البكرى الى محارس سوسة والمنستير (افريقية والمغرب فى المسالك ص 35 و 84)

محمد (الاغصاوى) ــ عندما سلم محمد الشيخ المامون بن المنصور العرائش الى النصارى عارضة محمد بن على الاغصاوى فقتله صبرا بفاس عام 1017 هـ وفر الشيخ العربى بن يوسف الفاسى واخوه احمد من فاس (سلوة الانفاس ج 1 ص 266)

المخازن (وادى) : لم تشر المذكرات التى كتبت عن معركة وادى المخازن الى وجود جنود انجليز فى المعسكر البرتغالى عدا ستوكلى Stukley وكذلك السفير الاسبانى مندوزا Mendoza الذى اخبر فيليب الثانى فى رسالة بوجود هذه العناصر (السلسلة الاولى السعديون ج 1 ص 339)

ــ من جملة قتلى معركة وادى المخازن الشاعر الاسبانى الشهير فرانسيسكو دو الدانا Francisco de Aldana المدعو القبطان الالاهى وهو ممن اعجب به سرفا نطيس وقد دخل الى المغرب عام 1577 فى زى تاجر يهودى مع دييكودوطوريس Diego de Torres مؤلف تاريخ الشرفاء ويقال بان الغاية من هذه الرحلة هى ان فيليب الثانى ملك اسبانيا الذى وجه الشخصين الى المغرب اراد اقناع سبستيان بخطر الهجوم على المغرب بواسطة شاهد عيان هو الدانا ولكن العكس هو الذى وقع لان سبستيان اصر على عناده واغرى الدانا فرجع هذا الى اسبانيا واعدا بالمشاركة فى الغزو وجعله الامير البرتغالى قائدا للمشاة فقتل وعمره لايتجاوز احدى واربعين سنة (السلسلة الاولى السعديون ج 3 ص 443) وكان طوريس قد اخبر فيليب الثانى بالمصير المحتوم لهذه المغامرة لان ملك اسبانيا كان عليه ان يمد سبستيان بثلاثين مركبا وستة الاف جندى (ص 468)

المخزن ــ كان لفظ المخزن يطلق منذ قديم بالمغرب والاندلس على الدولة او الحكومة (الاحاطة لابن الخطيب ج 1 ص 86 ــ نفح الطيب ج 4 ص 462)
والحقيقة أن كلمة «مخزن» معروفة في المغرب منذ القرون الاولى .

المدافع ــ استعمل الغربيون المدفع لاول مرة فى موقعة كريسى Crécy بفرنسا عام 1342 م وسبقهم الغرناطيون الى ذلك باستخدامه فى احتلال قلعة اشكر سنة 724هـ التى توافق عام 1324م غير ان ابن الخطيب لم يذكر هذه الالة باسمها وانما اشار الى الالة العظمى المتخذة من النفط التى ترمى بها كرة محماة (اللمحة البدرية فى الدولة النصرية) وقد لاحظ Quatremère

في المجلة الاسبوعية (180ج1ص237) ان هذه الكلمة عرفت في مصر لاول مرة عام 792هـ (1383 م)

ـ كان المدفع المسمى ميمونة بين 24 مدفعا هاجم بها المولى عبد الله الغالب البريجة بجيش من المتطوعين بلغ 120700 من المشاة و 37000 من الفرسان و13500 من الطلائع كان يقودهم نجل مولاى محمد وذلك عام 1562 م ولم يكن في الحصن اكثر من 2600 برتغالى (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ ج 1)

مولاى محمد بن عبد الله السعدى كان في محلته اكثر من مائة وخمسين نفضا ومن المعلمين الجرائحيين والحجامين ما ينيف على المائة رجل (تاريخ الدولة السعدية ص 51)

ـ كان مولاى عبد المالك يهتم بصنع المدافع وقد اشرف بنفسه على اعداد نحو ثمانية (دوكاستر السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 258)

ـ لاحظ المؤرخ الانجليزى هاريسون ان المدفعية لم يكن لها اى مفعول على البنايات المغربية المؤسسة بالطابية سواء في المدن أو الواحات الصحراوية وهو شيء ملحوظ الى الان (دوكاستر ـ السلسلة الاولى انجلترا ـ 8 اكتوبر 1630)

مدرسة (دار المخزن) ـ في عام 1844م احيلت مدرسة دار المخزن المسماة ايضا مدرسة فاس الجديد ـ وهى من بناء المرينيين ـ الى مدرسة للمهندسيين وقد نظم السلطان انذاك تدريس العلوم

(المجلة الاسيوية ـ المجلد العاشر ص 152) الكتابات العربية بفاس

المدن القديمة ـ يظهر ان بعض المدن الحالية كانت مركزا لمدن رومانية مثل رأس الدير Rusadir امام مليلية Jagath بتطوان و appidum Novum بالقصر الكبير وقيل بالرباط و Acra باسفي و Dyris بالاطلس appinumm بشفشاون و Banasa بالبصرة و Vala بتارودانت و Silda أو Gilda بمكناس

ـ تحدث المؤرخون عن مدن اند ثر بعضها منذ عهد غير بعيد منها سرنو التى كتب عنها مارمول وذكر انها على ثلاث مراحل من اسفى وانها قامت بدور هام في العراك بين المغاربة والبرتغاليين وتوجد انقاضها اليوم في المحل الذى يدعى المرسى (دوتى ـ مراكش ص 185) كما تحدث ليون الافريقى عن تمراكشت

التى سماها مارمول تمراكش وكلاهما يوقعها على الضفة اليسرى لأم الربيع (ص 226)

— **اشار الشريف الادريسى** الى عدد من المدن المغربية التى اندرس معظمها مثل ايكسيس قرب سلا (اختصار النزهة ص 47) ومغيلة بين مكناس وفاس (ص 51) وصاع قرب مليلية وكذلك جراوة وترنانة (ص 54) وتشمش (لوكسوس) قرب البصرة التى تبتعد عن مدينة باب اقلام التى بناها عبد الله ابن ادريس ب 18 ميلا (ص 109) وماسنة جنوبى البصرة وهنين قرب مصب وادى اكرسيف (ص 111)

— المدينة اسم بلدة تقع حسب مارمول فى سفح الاطلس الكبير على بعد ثلاثين مرحلة من مراكش شرقا وهى محصنة بالاسوار والابراج وءاهلة بالتجار والصناع فيهم كثير من اليهود وارباضها حافلة بالكروم والزياتين واشجار الجوز (مارمول الجزء الثانى — الكتاب الثالث الفصل 70) ويؤكد مارمول ايضا ان بلدة اخرى تسمى المدينة كانت تقع على مسافة مرحلة ونصف من الاولى بارض دكالة)

المرابطون — لاحظ صاحب الحلل الموشية (ص 69) ان على بن يوسف هو اول من استعمل الروم بالمغرب

— ذكر احمد امين فى ظهور الاسلام (ج 3 ص 7 حول الاندلس) فى حديثه عن المرابطين والموحدين انهم « لم يكونوا من سعة الافق والعراقة فى **المدنية والحضارة** بحيث يستطيعون ان يحكموا الاندلس طويلا »

— تحدث صاحب الانيس المطرب (ج 2 ص 37) عن حدود المملكة المرابطية فلاحظ ان يوسف بن تاشفين خطب له على 1900 منبر وان ملكه امتد من اقصى شرق الاندلس الى اشبونة ومن جزائر بنى مزغانة الى طنجة الى أخر السوس الاقصى الى جبل الذهب من بلاد السودان

مراد الرايس: مراد الرايس هو من القراصنة الالبانيين المقيمين بالجزائر استطاع الهجوم على الانزرروط وهى احدى الجزائر الخالدات حوالى عام 1586م وقد سبق للقراصنة الاتراك ان اغاروا عام 1569م على هذه الجزيرة (السعديون — السلسلة الاولى ج 2 ص 125) وقد لجأ مراد الى العرائش بعد هذه الوقعة ثم استطاع المرور من مضيق جبل طارق رغم معارضة السفن الاسبانية (ص 127)

المراكز (الاسبانية) : كان ملك اسبانيا ينفى الى مراكزه بالمغرب الشخصيات التى سقطت حظوتها عنده او التى تثير الفتن (رحلة فريجوس ـ دوكاست الفلاليون السلسلة الثانية ج I ص I29)

مراكش ــ مروكش هو اسم مراكش فى عهد المرابطين انتقلت الى الاسبانية Marruecos (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة وهى مذكرات الامير عبد الله بن بلقين ــ طبعة ليفى بروفنصال عام1955ص125)

ــ **لاحظ** المراكشى فى المعجب (ص I38) انه « تم لعبد المومن رحمه الله ملك افريقية كلها منتظما الى مملكة المغرب فملك فى حياته من طرابلس المغــرب الى سوس الاقصى من بلاد المصامدة واكثر جزيرة الاندلس وهذه مملكة لم اعلمها انتظمت لاحد قبله منذ اختلت دولة بنى امية الى وقته »

(**مراكش** والرباط) : نشرت جماعة دو كاستر فى الجزء الثالث (ص358) من السلسلة الاولى الخاصة بدولة السعديين مذكرة مؤرخة ب I63I (اى سنة وفاة مولاى عبد الملك بن زيدان) حول المغرب تحدثت عن مراكش ووصفتها بانها اكبر من باريس وان سكانها مترا وحون بين 500و600 الف نسمة وان قصر البديع اجمل قصر فى العالم ثم اشارت الى وجود السكر فى ارباض اكادير مع معاصر ووصفت الرباط بانها اجمل وامتع مدينة فى ساحل افريقية جودة ارض وعذوبة مياه (ولعل فى ذلك بعض الايغال لان صاحب المذكرة ينص على ان قرصان سلا اقتنصوا فى ظرف عشرة اعوام ازيد من الف سفينة مسيحية) ووصفت كذلك جامع حسان بما هو عليه اليوم ووفرة قصب السكر بتارودانت كما ذكرت عن انفا انها مدينة النمل وان تيط مدينة السباع

ــ لم يتحدث المؤرخون عن تاريخ دخول مولاى احمد بن محرز الى **مراكــش** ويظهر من كلام مويت فى تاريخ مولاى رشيد ومولاى اسماعيل ان ذلك تم قبل شهر ابريل I675 م

ــ **اعترف** دوتى (مراكش ص I8) بانه لاحظ خلال رحلته لجنوب المغرب ان سكان حوز مراكش كانوا يعيشون عيشة اقتصادية اقوى واكثر نظاما من الجزائريين

مروان (ابو) : فكر مولاى عبد الملك السعدى فى اسكان القبائل الرحالة فى القرى وقد وصفه اليفرنى بالميل الى التجديد (وصف المغرب لمؤلف برتغالى

مجهول ـ نشر فى السلسلة الاولى من تاريخ السعديين ج2ص231ـ313) وقد وقع مثل هذا ايام ما سينيسة حيث بنى ما ينيف على 70 مدينة اسكن فيها البرابرة الرحل

ـ لوحظ فى وثائق دوكاستر ان مولاى عبد الملك هو الملك السعدى الوحيد الذى كان يوقع رسائله بحروف لاتينية وتوجد ثمانى رسائل من هذا النوع مؤرخة بين 1571و1577 م (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 179) (راجع نسخة من احداهما ص 180) •

المزمة ـ طمع الاسبان منذ القرن السادس عشر الميلادى فى جرز المزمة الثلاث الواقعة فى الفرضة التى ينصب فيها وادى نكور ووادى غيس وفى مدينة المزمة التى هدمها مولاى الرشيد عام 1666 وهى غير مدينة نكور خلافا لابن خلدون واكبر هذه الجزر هى المعروفة بحجرة نكور حيث اسس الاسبان مركزا عام 1673م

(دوكاستر ـ الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 21) وقد لاحظ فريجوس فى رحلته ان مرسى البوزيم Albouzème تقع على بعد ثلاث مراحل غربى نكور وهو موقع مدينة المزمة القديمة وان واليها فى عهده كان هو الشيخ احمد اغراس صهر مولاى رشيد الذى تنازع مع اغراس وهدم مدينته لرفضه معونته لانتزاع فاس من الدلائيين (ص 122) ويزعم ان اغراس كان قد اودع فى قصبة المزمة حيث كان يسكن ، ثلاثة ملايين دينار ذهبى (128م) •

المزمة ـ اشترى فريجوس Fréjus فى مرسى المزمة دارا بخمس وخمسين دوكا أى 110 ريال (رحلة فريجوس ـ عام 1666 ـ دوكاستر ـ الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 181)

مسجد الشرفاء ـ يقال بان مسجد الشرفاء فى قبيلة بنى فلواط بالاخماس شمالى المغرب بناه طارق بن زياد عند الفتح الاول (دوحة الناشر لابن عسكر ص 18) •

ـ مسجد الشرفاء والقرويين منحرفان عن القبيلة وقد الف سيدى العربى الفاسى فى التشنيع على هذا الانحراف واجتماع اهل فاس عن الامر السلطانى لتحسين قبلة مسجد الاشراف (نشر المثانى ج 2 ص 119) •

ـ مسجد ابى مدين الغوث بفاس كمساجد الريف ليست له منارة •

– قراءة الحزب بعد الصبح والمغرب امر به يوسف بن عبد المومن فى سائر البلاد (جذوة الاقتباس ص47) كما ان ابا عنان هو الذى جعل باعلى منارة القرويين صاريا من الخشب ينشر فيه علم اوقات الصلاة (ص 31) واول من احدث العلم الازرق بفاس يوم الجمعة فارس بن ابى الحسن المرينى (ص 314)

– اشار ابن الفاخ جذوة الاقتباس ص 28) الى ان مساجد فاس كانت فيما قبل 785 واما فى عصره فلا تحصى كثرة كما ان حماماتها كانت تبلغ 93 فاصبحت لاعدد لها والارحى تبلغ 472

– تحدث مويت فى كتابه تاريخ المغرب فى العهد الرشيدى الاسماعيلى ان عدد مساجد فاس البالى بلغ انذاك ازيد من خمسمائة مسجد صغير علاوة على اربعة جوامع (وثائق دوكاستر – نص الرحلة فى الجزء الثانى من السلسلة الثانية – الدولة العلوية ص 1 – 199) وهذا الكتاب هو غير اخبار الاسر بالمغرب الذى نشر بعد التاريخ المذكور بشهور عام 1683 بعنوان

Relation de la captivité de sieur Mouette

المسيحيون – كانت المليشية المسيحية فى عهد المولى زيدان خاضعة لقيادة القبطان الانجليزى جوهن جيفار John Giffard الذى كان يساعده القبطان سميث Smith وهو من المع مهندسى اوربا وكان الاول يتقاضى 25 شيلين فى اليوم والثانى 12 بينما كان الجنود الاجانب العاديون يتقاضون 12 بنس فى اليوم (السلسلة الاولى – السعديون – انجلترا ج 2 ص 372 نقلا عن مذكرة جورج ويلكنس Wilkins .

اكد فوكولدفى رحلته (ص 10) ان المغرب كان يخشى المغير الاجنبى اكثر مما يخشى المسيحيين .

مضغرة – مضغرة قبيلة مغربية قرب تلمسان (نشر المثانى ج1 ص 60) وذكرها احمد بابا السودانى فى نيل الابتهاج بالطاء (ص 205) .

مصطفى (الدكالى) – سماه دو شاطو التاجر الاول بالمغرب وكان يقطن بجبل طارق ويتقن الانجليزية والاسبانية وقد رحل الى اوربا لاسيما مرسيلية وباريس ولندرة وحصل من السلطان عام 1847 على استغلال مناجم الاثمد قرب طنجة (بعثة ليون روش بالرباط عام 1845 – طبعة 1947 ص 65) .

المطبعة ـ اسست المطبعة الحجرية بفاس بامر من سيدى محمد بن عبد الرحمن وقد طبعت اول الامر مجموعةمهمة من الكتب على نفقة بيت المال ثم سلمت للتجار ٠

المظـل ـ الملوك السعديون هم اول من استعمل المظل فى المغرب حسب نزهة الحادى ٠

المعادن ـ فى عام 1846 باع السلطان مولاى عبد الرحمن للجزائرى بودرية القاطر بتطوان معدن نحاس هذه المدينة فلم يوفق فى استغلاله واراد بيع امتيازه لشركة فرنسية فاسترجع السلطان المعدن بتعويض قدره اربعون الف فرنك للسيد بودرية (كودار ج 1 ص 172) ٠

وقد زار محمد الدكالى باريس ولندن عام 1845م وطلب الحصول على احتياز لاستغلال معادن الحديد بالزيايدة فرفض طلبه (ص 173) ومنع مـولاى عـبد الرحمن كل تنقيب من طرف الاجانب عن مناجم الفحم بالمغرب وخاصة فى جبل انجزة (ص 175) ٠

ـ تشير مذكرة وجهها اسحاق بالاش الى الحكومة الهولنديـة مؤرخـة ب 1647 الى العثور فى المغرب على مناجم للقصدير والنحاس (دوكاستر السلسلة الاولى ـ السعديون ج 5 ص 128) وفى عام 1639 كتب نائب القنصل كاسبار Gaspard الى ريشليو يعلمه بالكشف على مرحلة من الرباط عن معـدن للقصدير اجود من معدن انجليرا واوفر نظرالوقوع المنجم فى مركز طول دائرية ثمانى مراحل وقد صدر المغرب لهولندا (السلسلة الاولى ـ فرنسـا ج 3 ص 588) وكان النحاس موفورا باع منه المغرب لفرنسا اربعين الف قنطار عام 1579م كما كان يبيع لانجلترا القنطار باثنين وعشرين فرنك (السلسلة الاولى فرنسا ج 1 ص 24 و 108)

المعاهدات : راجع النص العربى لمعاهدة ابرمت فى متم رمضـان 966هـ موافق يوليوز 1559م بين مولاى عبدالله الغالب باللهوأنطوان دوبوربون Antoine de Bourbon ملك نافاريا وهى المملكة القديمة الواقعة على جانبى جبال البرانص شمالى اسبانيا وقد التزم الامير الفرنسى بدفع خمسمائة رجل مـن النصـارى للخدمة فى القصر مع العتاد مقابل تسليم القصر الصغير حيث يمكنه تجديد بناء المدينة وقد حلت المعاهدة كثيرا من المشاكل المتعلقة بالمواطنين وشملت

فوائدها مجموع الفرنسين لان ملك فرنسا كان عم الامير انطوان • (السلسلة الاولى ـ السعديون ج1 ص 178)

ـ ينص مشروع المعاهدة بين فيليب الثانى وعبد الملك (عام 1577) على تحظير سلطان المغرب على نفسه تكوين اسطول حربى (السلسلة الاولى السعديون ج1ص214) •

مشروع معاهدة بين المغرب واسبانيا (1581) ـ

رسالة من هنرى الثالث ملك فرنسا (1580) يؤكد فيها ان مهادنة الباب العالى لفيليب الثانى ملك اسبانيا والبرتغال ستمكن هذا الاخير من الزحف ضد المغرب لذلك يجب تنبيه الاستانة الى الاخطار التى ستنجم عن ذلك (دوكاستر ـ السعديون السلسلة الاولى ج 2 ص 86) وكانت فرنسا تشجع انطونيو لاعتلاء عرش البرتغال وتحاول اقناع الباب العالى بان ملك اسبانيا المستبد بالبرتغال يحاول احتلال المغرب للنزو بعد ذلك على الجزائر (ص91) وقد خشى الباب العالى فى نفس الوقت من تحالف المغرب مع ، اسبانيا وهدد بالزحف على المغرب وخاف المنصور من وجود مولاى اسماعيل نجل السلطان عبد الملك فى القسطنطينية (ص 94) ولم يكن السلطان مراد واثقا من الاميرال علوج الذى اشيع انه يعتزم الاستقلال بالحكم فى الجزائر (حوالى 970)وهذا التجاذب فى المصالح هو الذى دفع كلا من المنصور ومراد الى التهادن وشجع المنصور على المماطلة فى امضاء مشروع المعاهدة المتفق عليها فى 2 غشت 1581 لاقرار الهدنة عشرين سنة مع اسبانيا وتسليمها العرائش (ص 98) •

ـ بلغت الهدايا التى توصل بها احمدالمنصور من فيلب الثانى ملك اسبانيا سبعمائة الف درهم للحصول على العرائش مقابل مركز ءاخر من المراكز التى يحتلها الاسبان بالمغرب ولكن هذه المفاوضات اخفقت وقام المغاربة بتحصين المدينة وتدل رسالة اخرى وجهت لملك فرنسا هنرى الثالث ان الباب العالى وجه هدايا الى فاس بعد شيوع نبأ المفاوضات المغربية الاسبانية (دوكاستر ـ السعديون ـ السلسلة الاولى ج 2 ص 112ـ114) •

ـ تشير المعاهدة المبرمة بين مولاى الوليد بن زيدان ولويس الثالث عشر فى مراكش (8 صفر 1041ـ17شتنبر1631) الى ان التجار الفرنسيين يؤدون فى

المغرب مقابل صفقاتهم العشر والطبلية (دراهم الخراج حسب تاج العــروس ولسان العرب وكانت الطبلية تسمى مكسا قبل بنى مرين وانخفضت نسبتها الى خمسة فى المائة فى عهد مولاى عبد الرحمن العلوى وسميت بالمستفاذ ولعله كان فى المغرب كما فى تونس حقا اضافيا يؤديه التجار الاجانب للديوانة زيادة على 10٪ (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 ص 406 مع الهوامش) .

ـ امضى محمد الشيخ الاصغر مع شارل الاول ملك انجلترا عــام 1637 بواسطة راسنبوروخ (Rains borongh) معاهدة تحظر على الانجليز المتاجرة مع اكادير وماسة والصويرة والا اعتبرت عدوة وعوملت بمقتضى ذلــك بينمــا وافق سفير السلطان فى لندن عام 1638 جودر ورفيقه روبير بلاك R. Blake على نص ءاخر يحظر التجار مع رعايا السلطان الثائرين دون اشارة الى العقوبات وتنص المعاهدة الاولى ايضا على امكانية امداد ملك انجلترا السلطان عند الحاجة بسفن حربية لمساعدته على قمع الثوار وتطويقهم وتؤكد المعاهدة الثانية التزام السلطان بالاعتراف بوجود شركة تجارية انجليزية بالمغرب وقد شعر السلطان بالمكيدة واتهم سفيره جودر بن عبد الله عندما امتنعت عليه السفن التجارية الانجليزية المرابطة باسفى عندما طلب منها مساعدته على قمع التهريب بالصويرة كما لاحظ ان التجارة المغربية اصبحت محتكرة الشركة الانجليزية Barbary Company (السلسلة الاولى السعديون انجلترا ج 3 ص 328 ـ400) وقد راوغت انجلترا لانها كانت صديقة لبودميعة بسوس كما كانت تخشى من منافسة التجار الفرنسيين والهولنديين لها اذا ما اوقفت صفقاتها بهذا الاقليم (ص 358) وجودر هذا برتغالى الاصل اسرو هو ابن ثمانى سنوات وخصى واصبح مستشار السلطان (ص365) وقد وجه السلطان سفيره القائد محمد بن عسكر الى لندن للاحتجاج على متاجرة الانجليز مع رعاياه الثوار فى الصويرة واكادير (ص523)

ـ راجع نص معاهدة حول حرية التجارة والدين ابرمت عام 1657 بين انجلترا ومحمد الحاج الدلائى (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ انجلترا ج 3 ص 588) .

ـ راجع النص العربى للمعاهدة المبرمة بين هولندا وعبد الله بن محمد ابن ابى بكر الدلائى فى سلا بتاريخ حادى عشر ذى القعدة 1068 الموافق 10 غشت 1658 حول القرصنة وتبادل الاسرى(السلسلة الاولى ـ السعديون ـ هولندا ج

6 ص 429) وبمقتضى ذلك قررت الاميرالية الهولندية تعويض الرايس احمد القرطبى عن مركبه المقتنص بمركب جديد يعادله حمولة وعتادا (ص 486) .

ـ راجع النص الفرنسى لمشروع المعاهدة المغربية الفرنسية المؤرخ من المعمورة (المهدية) ب 13 يوليوز 1681 (وكان عمر بن حدو الحمامى قد احتلها قبل ذلك ببضعة أشهر) فى شان قراصنة سلا وحماية الاسطولين من العبث القرصنى وتبادل الاسرى واقرارالتجارة وتعيين قنصل فرنسى فى سلا او تطوان (الفلاليون السلسلة الثانية ج 1 ص 548 هـ) وقد رفض لويس الرابع عشر التوقيع على هذه المعاهدة (ص 560) مما حدا مولاى اسماعيل الى توحيد سفيره الحاج محمد تميم للتعرف الى نوايا ملك فرنسا (567) .

يؤكد جان ايستيل J. Estelle فى مذكرته (السلسلة الثانية العلويون ج 4 ص 54) ان مولى اسماعيل كان يامل ان يعقد مع فرنسا حلفا هجوميا ضد المراكز الاسبانية فى المغرب فى حين ان سفير فرنسا انذاك (عام 1693) وهو سانت او لو St. Olon لم يكن يهدف الى اكثر من تحرير الاسرى .

ـ من نصوص مشروع المعاهدة المغربية الفرنسية (1699) وتبادل الاراء كتابة بين عبد الله بن عائشة فى باريس والحكومة الفرنسية تتجلى لنا صورة عن مسطرة المفاوضات الدبلوماسية بين المغرب والخارج (السلسلة الثانية العلويون ج 4 ص 54) ان المولى اسماعيل كان يامل ان يعقد مع فرنسا حلفا

ـ هل تكالف مولاى محمد العالم مع ديوان الجزائر ضد والده مولاى اسماعيل من اجل مساعدته على احتلال مكناس وفاس ؟ (رسالة تاجر فرنسى مؤرخة ب 1705 ـ السلسلة الثانية ـ العلويون ـ ج 6 ص 322) وقد حاول مولاى محمد كذلك التحالف مع فرنسا واسبانيا (ص 326) .

وبذلك تمكن الرهبان بين 1700 و 1718م من افتاك 70 اسيرا (ص 12)

فشلت المحادثات المغربية الفرنسية خلال الربع الاخير من القرن السابع عشر نظرا لتشبث مولاى اسماعيل لابالمال بل باستبدال مالديه من أسرى فرنسين بمن يعينهم هو من بين رعاياه المعتقلين بفرنسا او بالاسلحة والعتاد الا ان فرنسا لم تكن مستعدة للتنازل عن الاصحاء من الاسرى المغاربة الذين كان لويس الرابع عشر يستخدمهم فى تجديد مراكبه كما كان هنالك مرسوم بابوى يحظر على الامم الكاتوليكية امداد المسلمين بالسلاح وكان هذا الوضع يمس

مصالح فرنسا فى حين كانت الامم البروتستانتية متحللة من قيود الرضوخ الى البابا مثل انجلترا وهولندا (راجع السلسلة الثانية من تاريخ العلويين ج 6) هنالك تدخلت جماعة الرهبان واكدت استعدادها عام 1706 لدفع اسير مغربى ومائتى بياستر (600 ليرة) عن كل اسير فرنسى مع اربعة الاف بياستر للوسيط القائد على بن عبد الله (ص 6) وبذلك تمكن الرهبان بين 1700و1718م من افتكاك 70 أسيرا (ص 12) ولم يكن عدد الاسرى الفرنسيين بالمغرب يعدو المائتين بينما بلغ الاسرى المغاربة مابين 200و300 حسب القنصل الفرنسى (1700 ـ 1705)و 500 حسب الاحصاء المغربى وكان هؤلاء معتقلين فى مرسيليا ودانكيرك (ص53) ومن بين الاسماء الواردة عبد الله بربيش (سلا) وعبد السلام فنيش واحمد بسير (الرباط) واحمد شمسى (سلا) واحمد صندل وعلى الزناتى (الرباط) وعلى بربيش (سلا) ومحمد الصمار .

ـ نصت معاهدة 1860 (البند التاسع) على تحمل المغرب لتعويضات الحرب وقدرها عشرون مليون بياستر ((Piastre) قوية اى مائة وعشرة ملايين فرنك ذهبى وقد أستقرض المغرب عام 1861 من بنوك لندن مليونى بياستر بفائدة عشرة فى المائة واقترح التاجر المصرفى البريطانى فورد Levis Ford عام 1862 دفع قسط من الغرامة الى اسبانيا مقابل تسليمه حقوق الديوانة المغربية وهى 30 مليون من الخمسين مليون الباقية ولكن المغرب رفض وكذلك اسبانيا لانها كانت تستغل وجود ممثليها فى الجمارك المغربية لفتح ثغرات فى البلاد والتدخل فى شؤونها وقد اصبح المغرب عام 1869 لما شعر بتلاعب تجار اسبان من اجل القيام مقام الموظفين الاسبان فى الجمارك بالمراقبة (هسبريس 1958) (ص 13 ـ 27)

المعمورة ـ ذكر مويت ان القائد عمر بن حدو لما احتل المعمورة عام 1681 بعد مرور ست وستين سنة (منذ 1614م) على احتلالها وجد فيها 88 مدفعا من البرونز و 15 من الحديد علاوة على اعتدة اخرى اكثر مما يوجد فى مجموع المملكة (تاريخ مولاى رشيد واسماعيل ـ خاتمة الكتاب الثانى) .

ـ معمورة تنسيفت او معمورة اسفى هى مدينة مهدمة تقع بمصب وادى تنسيفت قرب اسفى .

المغاربة ـ اطلق المشارقة احيانا اسم المغاربة على الافرنج وقد اكد البيرونى فى الاثار الباقية (ص 50) ان المشهور هو ان المغاربة هم الفرنج .

لطائف المنن (ج1 ص 143) نقلا عن اخيه الشيخ افضل الدين ان صوفيا جاب الارض كلها فلم يجد شيئا من الحلال الا عند عجوز فى مدينة مراكش .

المغرب الاقصى ـ لاحظ ابن عنارى ان المغرب الاقصى كان يقال له فى عصره المغرب الادنى وهو موضع تادلا وتامسنا (البيان ج 1 ص 307).

المغرب العربى ـ تحققت وحدة المغرب العربى سياسيا منذ القرن الاول حيث ولى هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وافريقية والاندلس فكان له من العريش الى طنجة الى السوس الاقصى الى الاندلس وما بين ذلك (البيان لابن عذارى ج 2 ص 40).

ملكية (الاجانب) ـ يظهر ان مولاى الحسن اصدر امره الى مناء الديوانة بشراء الاملاك التى اقتناها الاجانب مهما كان الثمن (طنجة وناحيتها ـ سلسلة مدن المغرب وقبائله ج 7 ص 128) .

مليلية ـ استغل اتراك الجزائر حصن مليلية الاملمى (مارتشيكا **Marchica** لمرابطة اثنى عشر مركبا تحمل اثنى عشر مدفعا ثقيلا لانجاد حسن باشا الذى كان يحاصر مدينة فاس وذلك عام 1558 (السلسلة الاولى ـ السعديون اسبانيا ج 2 ص 449) وقد اهتم الاتراك بهذا الحصن وسموه الميناه الجديد (ص 467)

وقد فكر الاتراك عامى 1553م (960هـ) و 1555م (963هـ) فى امتلاك مدخل مليلية واقامة حصن (و.غ.م. السلسلة الاولى ـ السعديون ج 3 م 153) .

المنصورية ـ لم يشر اليها من الخرائطيين القدماء Cartographe سوى Battista Agnesi ولكنه يحصل موقعها غلطا بعد انفا (مدن وقبائل المغرب المجلد الثانى حول الدار البيضاء والشاوية ص 33)

ـ ذكر ابن ابراهيم فى الاعلام (ج 5 ص 123) ان السلطان سيدى محمد ابن عبد الله بنى المنصورية ومساجد اكدال الستة بالرباط ومدينة تيط عام 1182هـ الصويرة عام 1178 هـ وكذلك انفا وفضالة .

المهدية ـ كانت تسمى حلق المعمورة وحلق سبو (نشر المثانى ج1 ص 126) وهى التى اختطها المهدى الشيعى على يد بعض عماله (ج 2 ص 75).

سمح مولاى زيدان لهولندا بطرد القراصنة من المهدية واقامة حصن بالساحل وبينما كانت ثلاث سفن هولندية تنتظر عام1614تعليمات مولاى زيدان

للنزول وصل 99 مركبا شراعيا مع سبعة ءالاف جندى نزلوا جميعا شمالى المعمورة وفر القراصنة الى سلا (مقدمة السلسلة الاولى الدولة السعدية ج 3) .

المواصلات ــ ورد فى الذخيرة السنية ان ابا يوسف المرينى بلغه وهو فى تازة ان النصارى احتلوا سلا فركب بعد صلاة العصر فى خمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهرها فتلاحقت العساكر وفر الروم بعد اربعة وعشرين يوما وبنى عليها السور الغربى المقابل للوادى من حيث دخل النصارى (ص 103) ولكن ابن مرزوق لاحظ فى مسنده انه خرج من فاس فوصل اليها (اى سلا) فى ليلتين وهو فى نظرى اشد احتمالا .

الموحدون ــ امتدت حدود مملكة الموحدين من سويقة ابن مكتود بين افريقية وبرقة الى السوس الاقصى الى ءاخر بلاد القبلة ومن قاصية شرق الاندلس الى شنتريى غربيها (الانيس المطرب ج 2 ص 174) .

ــ تحدث احمد امين (يوم الاسلام ص 79) عن مملكة الموحدين فقال : « وكانت مملكة واسعة لم تجتمع لأى من الدول الاسلامية من قبل » .

ــ لاحظ ابن خلدون فى تاريخه ان عمر ان المغرب فى دول الموحدين كان متصلا من البحر الرومى الى بلاد السودان فى طول ما بين السوس الاقصى وبرقة (المجلد الاول ــ القسم الثانى ص 166) .

ــ اكد ابن جبير فى رحلته (ص 49) « لا اسلام الا ببلاد المغرب لانهم على جادة واضحة » .

موسى (بن نصير) ــ لاحظ ابن عذارى ان موسى بن نصير لم يجعل سوى سبعة عشر من العرب على رهائن المصامدة والبربر فى طنجة لتعليمهم القرآن واصول الاسلام وقد دخل بهم الى الاندلس (البيان المغرب فى اخبار المغرب ج 1 ص 37 بيروت عام 1950) .

مولولاشة ــ يقول تيسو بان مركز مولاى بوسلهام هو المكان الذى كانت تقوم فيه المدينة الفنيقية مولولاشة Mulelacha وقد كانت الى حد العصور الوسطى من اوسع المراسى واكثرها حصانة فى الشاطىء المغربى (الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية ص 85) .

مونتينى : اشاد، مونتينى Montaigne فى فصل ضد الكسل بكيفية وفاة السلطان مولاى عبد الملك كمثال لسيادة الروح على الجسد وقد اكد انه لم يسبق لرجل ان جند نفسه بقوة واستبسال رغم مرضه مثل مولاى عبد الملك Essais-Livre II. chap. XXI

ـــ ن ـــ

نابليون (الاول) ـ فى 1808 هدد نابليون الاول امبراطور فرنسا السلطان مولاى سليمان بأنه اذا ما قام بأى عمل ضد فرنسا فان هذه ستهاجم افريقيا بمائتى الف من الفرنسيين والاسبان (رسالة من نابليون الى دوق برك Grand-Duc de Berge مؤرخة ب 28 مايه 1808 مثبتة فى مراسلات نابليون المنشورة بأمر من نابليون الثالث بباريس عام 1865 ـ المجلد السابع عشر ص 227)

النار (اليونانية) ـ استعملها العرب فى ايطاليا وبعض جزائر المتوسط ويرجح أنها تتركب من النفظ والكبريت والجير والقار ينتج عن الكل سائل ملتهب يحدث دخانا وانفجارا وقد استعملها الموحدون فى حصار لبلة من أعمال البرتغال ٠

الناصر (الاموى) ـ عبد الرحمن الناصر ثامن خلفاء بنى امية فى الاندلس هو أول من أمر باستعمال الكتابة بالهاء للغائب دون الكاف للمخاطب فرقا بينه وبين من دونه (الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ص 21) ٠

النقـد ـ وقع العثور عام 1951 فى الانقاض الاسلامية خارج اسوار قصر فرعون (ولعل هذا يؤكد النظرية القائلة بأن وليلى هى غير Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الاموى مع دينار ذهبى دمشقى واحد (هسبريس 1956ص133) وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واصطخر وافريقية وجند يسابور ودمشق وحمدان وأقدم تاريخ هو 79هـ وءاخر تاريخ عام 125هـ ويبلغ عدد الدراهم الواسطية (بين 85هـ و99هـ ثم بين 103 و108هـ) مائة درهم بينما الدراهم الدمشقية تبلغ 27 ومعلوم حسب ابن خرد دبة ـ أن التجار الصقالبة فى القرن الثالث كانوا يتوجهون من الاندلس الى السوس الادنى (عمالة طنجة) ثم افريقية فمصر فالبصرة فالهند فالصين ٠

ـ كانت الاندلس تتعامل بالدنانير السجلماسية (البيان لابن عذارى ج2 ص 344) ٠

ـ عرفت بسوس المثاقيل القزديرية لا لانها مسكوكة من معدن القصديرولكن لان الذى تولى سكها هو ابو الحسن القزديرى (افريقية والمغرب ـ مسالك البكرى ص 163) ٠

— قل الصرف فى أيام عبد المومن الموحدى فتعذرت اكثر الحوائج وقد كانت العادة فى المغرب ضرب انصاف الدراهم وارباعها واثمانها والخراريب فيستريح الناس (المعجب المراكشى ص 124) ٠

— قيمة الدينار خمسة عشر فرنكا ذهبيا (الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا ج 4 ص46) ٠

— عثر قرب ابى الجعد على نقوذ فضية وذهبية منها 34 قطعة برتغالية وقطع ذهبية عثمانية ترجع لعهد السلطان سليم الثالث (عام 1209 هـ ـ 1794م) و 82 دينارا سعديا أصغر وزن فيها 3ر8 غراما فى عهد محمد المسلوخ وهو يمثل 28 قطعة بينما أكبر وزن يمثل فى عهد زيدان 55 قطعة تزن كل واحدة 4ر91 غراما (هسبريس 1958 ص 291)

نكـور ـ صالح بن منصور الحميرى افتتح قطر نكور زمن الوليد بن عبد الملك ونزل تمسمان وعلى يديه أسلم بربرها من صنهاجة وغمارة ثم ارتد أكثرهم واخرجوا صالحا ثم استردوه وسعيد بن ادريس هوباتى نكور (افريقيا والمغرب

مسالك البكرىص 91) ومراسى نكور هى ملوية وهرك وكرط ومرسى الدار واوقتيس والمزمة وباديس وبقوية وبالش مرسى صنهاجة (ص 90) وهادم نكور هو مرسى بن ابى العافية الذى قتل أميرها المؤيد (ص 97) وقد خلط البكرى بين نكور والمزمة (ص 99)

ـــــ هـ ـــــ

هانون (رحلة) ـ رحلة هانون كتبت بالبونيقية وترجمها بوليب Polybe المؤرخ اليونانى الى الاغريقية ويقال بانه عثر على نصها فى معبد اثناء احتـلال الرومان لقرطاج عام 146 قبل الميلاد ويظهر ان هانون نزل فى قادس ودرعة والساقية الحمراء وربما غينيا

لاحظ كابريال جيرمان Gabriel Germain (هسبريس عام 1957 ص 205) أن اسلوب رحلة هانون يدل على أن كثيرا من النصوص مزيدة نظرا لصفاء لغتها بحيث يصعب الاعتماد على المعلومات الواردة فيه وقد أكد ان المراكز المشار اليها فى الرحلة الاصلية لايمكن ان تعدو المجال الممتد بين طنجة ولكسوس أووادى لكوس

هنرى (الكاردينال) ـ الكاردينال هنرى هو الذى تولى عرش البرتغال نحوا من ثلاث سنوات بعد وفاة سبستيان (1578 ـ 1580) وكان وصيا للعرش مع كاترينة النمسوية اخت شارل الخامس وجدة سبستيان لانها تزوجت ملك البرتغال يوحنا الثالث فتنازل عن الوصية لهنرى عام 1562 بعد ان شاركته فيها خمس سنوات

هنين ـ هنين ناحية فى سواحل تلمسان حسب ياقوت ـ منها بليدة تاجرة التى منها عبد المومن بن على (معجم البلدان ج 8 ص 484)

هولندا كانت هولندا تمد المغرب بالعتاد والقطع الصالحة لصنع السفن وحاولت فرنسا اقناع السلطان بقطع الصلة مع الهولنديين فكان المغرب يرى أن على فرنسا ان تمد المغرب بذلك بدل هولندا (مذكرة جان ايستيل السلسلة الثانية ـ العلويون ج 3 ص 441)

ي

يعقوب (الموحدى) ـ المنصور مدفون بتينمل وقد حكى بعض المشارقة وجود قبر للمنصور فى الشام (البيان لابن عذارى ج 4 ص 191)

ـ ذكر ابن بطوطة انه شاهد ضريح مولاى يعقوب ببيروت بمحل يعرف بالكرك وأنه دخل دمشق أيام نور الدين وهذا لايصح لانه دفن بتينمل وقد انكر المقرى ذلك فى النفح فى ترجمة تاج الدين بن حمويه السرخسى .

يعقوب كول ـ ورد على المغرب حوالى 1655 الاستاذ كوليوس Jacob Van gool (1596 ـ 1667) لشراء بعض المخطوطات والخرائط من سلا ولم يعثر على قائمة هذه الكتب وأشير فى أحد السجلات الى أربعة مخطوطات منها روض القرطاس (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ هولندا ج 6 ص 205) ويظهر ان هذه الكتب لاتتعلق الا برحلات وتاريخ افريقيا الشمالية (ص 284)

اليمن ـ لاحظ هانز هو لفريتز Hanz Helfritz فى كتابه حول اليمن (تعريب خيرى حمار ص 134) التشابه الملحوظ بين الالحان فى اغانى الجنوب العربى وبين الموسيقى البربرية التى تمكن العالم الالمانى كارل ولهلم لخمان (1793 ـ 1851) من تسجيلها فابرز وحدة انشاد الاغانى اضف الى [illegible] وجود ابنية مرتفعة بالاطلس تشبه تلك التى تقوم فى الجنوب العربى

نفس المظاهر المعمارية كالنتوءات والانابيب الخشبية لنقل مياه الامطار والكوات والثقوب ومن جهة اخرى يوجد نفس التشابه مع الموسيقى المغولية وقد شرح هورن بوستل النمسوى (1877 ــ 1935) انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى اسيا الشرقية

اليهود ــ درس شلوش Slonch تاريخ اليهود بالمغرب

فى الجزئين الرابع والسادس من الوثائق المغربية فذكر ان يهود خيبر هاجروا من اليمن عام 628م الى افريقية والمغرب والعراق وسوريا

نشرت مجلة Revista de Trajas coloniales فى عدد شتنبر 1925 وثيقة بالعبرانى تزعم ان أول مملكة قامت بافريقيا الشمالية كانت يهودية وجدت بالريف

ــ خصص المنصور لليهود عام 595هـ لباسا يشبه حداد ثكلى المسلمين فكانت اردان قمصهم وبرانسهم وقلانسهم من لون ازرق(البيان لابن عذارى ج4 ص181)

ــ لاحظ ليون كودار ان معظم يهود المغرب منحدرون من الاسرائيليين المطرودين فى العصور الوسطى من انجلترا (عام 1290م) وجنوب فرنسا (1395م) وخاصة من اسبانيا عام 1492م (وصف وتاريخ المغرب ج 1 ص 19)

ــ قام الاسرائيليون فى المغرب بدور هام فى الميدان العلمى وقد لاحظ الشعرانى (الطبقات ج 2 ص 215) أن خلوف المغيلى اليهودى كان شيخ التعاليم بفاس وعنده نزل الابلى العبدرى قبل أن يرتحل الى ابن البناء بمراكش .

(راجع بحثنا حول وضعية اليهود بالمغرب خلال التاريخ فى مخطوطنا بالفرنسية L'islam en marche

ــ أمر أبو يوسف المرينى مناديا فنادى بفاس الا يتعرض أحد الى يهود الذمة (الذخيرة السنية ص 186)

ــ من اليهود الذين شغلوا مناصب عالية فى الدولة هارون وزير عبد الحق اخر ملوك بنى مرين ويعقوب Jacob Pariente وهارون كارسيني Carsnet فى عهد مولاى الرشيد وكذلك يوسف وابنه ابراهيم ممران ايام مولاى اسماعيل وشمويل سومبيل Samuel Sumbel فى عصر سيدى محمد بن عبد الله و Josué Corcas صيرفى مولاى الحسن

ــ فى عام 700 وصل الى القاهرة وزير سلطان المغرب فاجتمع بالناصر محمد ابن قلاوون والامير بيبرس فى أمر اليهود والنصارى ولاحظ انهم فى المغرب

فى غاية الذل والهوان لايركبون الخيل ولايعملون فى الدواوين منكرا حال نصارى الديار المصرية ويهودها للبسهم افخر الملابس فأثر كلامه فى أهل الدولة ورسم ان لايستخدم أحد منهم فى الجهات السلطانية ولاعند الامراء وأن يلبس النصارى العمائم الزرق والزنانير واليهود العمائم الصفر واغلقت الكنائس بمصر والقاهرة وألزموا ان لايركبوا الا الحمر ثم عادوا الى المباشرات بعد ذلك فانتدب السلطان ابن الملك الناصر عام 755 لمنعهم والزمهم بالشروط العمرية (صبح الاعشى ج 13 ص 378)

ــ لاحظ ابن عسكر فى الدوحة (ص 97) أن محمد بن عبد الكريم المغيلى كان يرى ان اليهود لاذمة لهم وألف فى ذلك رسائل وخالفه اكبر فقهاء وقته كابن زكرى وجاء الى فاس لمناظرتهم ستة من مماليكه كلهم فقهاء وعندما شك فيه ابوزكرياء الوطاسى خرج الى توات وبلغت دعوته السودان فأسلم سلطان تنبكتو وأهل عمله واليهود لايدخلون بلادهم وتستباح أموالهم وقد ادرك ابن عسكر عمر بن عبد الوهاب والشيخ ابا القاسم خجو وجماعة ممن يرون رأى المغيلى فى اليهود

ــ عائلة باريانط اليهودية Pariente لعبت على مايلوح فى شمال المغرب نفس الدور الذى قامت به عائلة بالاش فى الجنوب وكان شالوم باريانط يزعم أنه رئيس اليهود بطنجة

وظهر يعقوب باريانط فى مليلية عام 1666 حيث كان وسيطا لرولان مع مولاى رشيد (رحلة فريجوس ص 25)

ــ كان كل يهودى ذكر بلغ خمس عشرة سنة يؤدى فى عهد مولاى اسماعيل جزية قدرها السنوى ستة دنانير (مذكرة جان استيل ــ 1960 ــ السلسلة الثانية من العلويين ج 3)

ــ كان الاسرائيلى يوسف ممران مكلفا بمصالح البلاط عند مولاى اسماعيل وقد قال عنه القنصل هيندورب Heppendorp فى رسالة لهولندا بأنه يتمتع لدى السلطان بنفس حظوة كولبير Colbert بفرنسا (دوكاستر السلسلة الثانية العلويون ج 2 ص 224)

ــ منح مولاى اسماعيل لليهودى ممران حق التمتع بواحد فى المائة ثم واحد فى المائتين كسمسرة من قيمة البضائع المصدرة أو المجلوبة الى المغرب عن طريق المراسى (العلويون ــ السلسلة الثانية ج 3 ص 326)

ـ أشار التاجر الفرنسي فريجوس في رحلته عام 1666 الى ان مولاى رشيد كان له وهو لايزال بتازا صيرفي خاص وهو اليهودى هارون كارسيني

(راجع الرحلة في نصوص دوكاستر ـ الفلاليون ـ السلسلة الثانية ج 1 ص 177)

ـ يظهر ان الجالية الاوربية كانت تسكن منذ القرن الثامن عشر الميلادى في الملاح حتى بمراكش والرباط حيث كان يقع بسوق القناصل قرب البحيرة وهي بالضبط مقر الملاح القديم قبل مولاى سليمان (هسبريس 1928 ص 8).

ـ يقال بأن حزان فاس كان يملك في عهد السلطان مولاى عبد العزيز بصرف ذلك الوقت ثلاثين مليون فرنك على الاقل (في رفقة السلطان الخاصة ـ كابريال فير ص 222)

ـ لاحظ ميشو بيلير ان بعض قواد الريف استسلفوا من اليهود فلم يؤدوا مابذمتهم فلجا الاسرائيليون الى الحماية الفرنسية فتدخلت فرنسا في الامر واهتمت دبلوماسيتها بالقضية طوال عشر سنوات حتى اضطر مولاى الحسن الى اداء الديون (المحاضرات والوثائق المغربية 1927)

يوحنا الثالث ـ راجع نص رسالة من البابا بولس الثالث الى يوحنا الثالث ملك البرتغال مؤرخة من رومة بثامن نونبر 1541 ياذن له فيها بهدم المراكز التى اضطر الى الجلاء عنها بالمغرب وخاصة منها المعابد والكنائس (السلسلة الاولى السعديون ـ البرتغال ج 3 ص 540)

ـ يوسف (بن ميمون) ـ يقال بأن اقدم وثيقة حول يهوديى المغرب هي قبر يوسف بن ميمون الموجود بمقبرة ايفران بالاطلس الصغير والذى يرجع تاريخه الى عام 3756 عبرانية أى السنة الرابعة ق.م. (هسبريس ـ 1921 ص 325).

